

الخطاب والسياسة التركية "العثمانية الجديدة" تجاه العالم العربي
الهلال الخصيب نموذجا 2002- 2012

Discourse and Policy: Neo-Ottomanism and The Arab World.
The Fertile Crescent as a model. 2002- 2012

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب

إسلام عبد الكريم حلايقة

إشراف د. رائد بدر

بيرزيت- فلسطين

2012م



كلية الدراسات العليا

برنامج ماجستير الدراسات الدولية

الخطاب والسياسة التركية "العثمانية الجديدة" تجاه العالم العربي الهلال الخصيب نموذجا 2002– 2012

Discourse and Policy: Neo-Ottomanism and The Arab World. The Fertile Crescent as a model. 2002- 2012

إعداد

إسلام عبد الكريم حلايقة

إشراف

د. رائد بدر

الخطاب والسياسة التركية "العثمانية الجديدة" تجاه العالم العربي
الهلال الخصيب نموذجا 2002- 2012

Discourse and Policy: Neo-Ottomanism and The Arab World.
The Fertile Crescent as a model. 2002- 2012

إسلام عبد الكريم حلايقة

لجنة الإشراف والمناقشة

د. رائد بدر (رئيسا)

د. روجر هيكوك (عضوا)

د. وليد الشرفا (عضوا)

"قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين"

أيلول- 2012

الخطاب والسياسة التركية "العثمانية الجديدة" تجاه العالم العربي
الهلال الخصيب نموذجا 2002- 2012

Discourse and Policy: Neo-Ottomanism and The Arab World.
The Fertile Crescent as a model. 2002- 2012

إسلام عبد الكريم حلايقة

أيلول- 2012

لجنة الإشراف والمناقشة

د. رائد بدر (رئيسا)	**التوقيع.....................**
د. روجر هيكوك (عضوا)	**التوقيع.....................**
د. وليد الشرفا (عضوا)	**التوقيع.....................**

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الإهداء

أهدي دراستي هذه إلى كل من:

دولة الرئيس أردوغان، الذي أرغب بتسميته بـــ "السلطان رجب طيب أردوغان"

إلى شهداء أسطول الحرية الأتراك، الذين صبغوا بحر فلسطين بدمائهم الزكية، لهدف عظيم سام، وهو كسر الحصار عن غزة.

إلى أسطورة العصر، التي تحطمت على صخرة صمودها حزم المؤامرات، ودحرت الاحـــتلال عن ترابها يجر أذيال الهزيمة. غزة العظيمة.

للوالدين الكريمين والأصدقاء والأحبة

الشكر

الشكر لله الموفق أولا...

وأشكر جامعة بيرزيت التي نهلت من علمها، ولاسيما معهد أبو لغد بإدارته وهيئته التدريسية المميزة، كما وأشكر لجنة نقاش الرسالة ومشرفي القدير د.رائد بدر

وأشكر الإخوة والزملاء في مكتب الجزيرة- أنقرة، الذين لم يبخلوا علي بما لديهم من معلومات ومصادر.

كما وأشكر كل من ساندني ووقف بجانبي لإتمام دراستي هذه.

ملخص الدراسة

إن تركيا بلد يمتلك الكثير من عناصر القوة، لما يتمتع به من موقع استراتيجي مميز، وموارد طبيعية وأرض خصبة، ونسيج اجتماعي وكتلة بشرية كبيرة، إضافة إلى ما يستند إليه من إرث تاريخي وحضاري عظيم، لكن هذا البلد لسبب أو لآخر قد فقد أو أُفقد هذا الموقع الذي يفترض أن يتبوءه بما يتناسب وحجم هذه العناصر، التي لم يتمكن لغاية وقت قريب من استغلالها الاستغلال الأمثل. لقد بدأت تركيا تكتشف من جديد هذه العناصر، وتحاول استثمارها، وإعادة الاعتبار لذاتها ومكانتها التي فقدتها منذ تلاشي الدولة العثمانية الأم، والتي باتت بعدها سليبة التأثير والفعالية، فاقدة للهوية، قبل أن تتحول إلى جسر أو أداة للغرب بانخراطها في حلف "الناتو" في الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي.

إن وصول حزب العدالة والتنمية ذي الجذور الإسلامية إلى سدة الحكم في تركيا عام 2002، متسلحا برؤية المفكر أحمد داوود أوغلو للسياسة الخارجية التركية الجديدة، والدور الذي يجب أن تضطلع به تركيا خلال العقود القادمة، يعتبر نقطة تحول تاريخية محورية في سياسات الجمهورية التركية، التي بدأت تسعى لاحتلال موقع مؤثر وفاعل في السياسات الدولية والإقليمية، وتتوق لاستعادة مكانتها وهيبتها على غرار تلك التي كانت تتمتع بها الدولة العثمانية، وهذا ما أطلق عليه البعض "العثمانية الجديدة".

إن مشروع العثمانية الجديدة الذي بات يُلصق بقادة حزب العدالة والتنمية وكوادره، لا يعني أن تركيا تسعى لاستعادة ذات الإمبراطورية العثمانية، أو أنها تفكر بإعادة السيطرة على الأقاليم التي كانت تحت سيطرتها في العصر العثماني- لعدم إمكانية ذلك في ظل التغيرات الدولية والظروف الراهنة- وإنما هو مشروع اقتصادي سياسي ثقافي اجتماعي متكامل بدأت تركيا العمل على بنائه، بانفتاحها على الجوار ولاسيما العربي، وتدخلها الفاعل في القضايا الإقليمية، مستفيدة بذلك من الطفرة الاقتصادية التي تعيشها البلاد، والتنمية والاستقرار الداخلي الذي حرمت منه البلاد طويلا بسبب سطوة العسكر على كافة مناح الحياة في البلاد بما فيها السياسية، والتي تمكنت الحكومة الجديدة من تحجيمها، والحد من نفوذها.

إن المنطقة العربية، ومنطقة الهلال الخصيب بما تحويه من ثروات هائلة، وقرب جغرافي، وشراكة حضارية وتاريخية مع تركيا، شكلت أحد أهم الميادين لبدء تركيا بتنفيذ فكرتها العثمانية بها، حيث بدأت في التصالح معها والتدخل لحل مشاكلها، ودعم قضاياها، وقد رافق هذه السياسات منظومة من الخطابات"العثمانية" التي التزم قادة العدالة والتنمية ومتحدثيه بها، والتي تعبر في مجملها عن رغبة تركيا في التصالح والتعاون مع دول هذه المنطقة، وعن رغبة تركيا بتبوء موقع دولي مرموق يليق بعناصر القوة فيها، ومكانتها التاريخية.

Summary of the Study

Turkey is a country that has many strengths. It enjoys a distinctive strategic location, plenty of natural resources, fertile lands, a large population, a unique social structure, and finally a great cultural and historical heritage. However, the country had for one reason or another lost or was made to lose the position that it should hold because of its strengths. For the last century, Turkey has not been able to properly take advantage of these strengths so that it become a country with no influence, no identity, and a lack of effectiveness. In recent years, Turkey has started again to discover these factors and try to use them in an effort to regain the self esteem and prestige it lost when the mother Ottoman Empire vanished. There was also a time when Turkey became a tool in the hands of the West as it was engaged it in the cold war between East and West through NATO. During that period the military had a massive influence on all aspects of life including the political one. However, the new government has managed to limit and regulate this influence.

The arrival of the Islamist-rooted Justice and Development Party to power in 2002, armed with the vision of the new Turkish foreign policy envisaged by Ahmed Davutoglu, is a central and historic turning point in the policies of the Turkish Republic. The Republic has started already to occupy a more influential and active position in international and regional politics as it seeks to regain the status and prestige it used to enjoy at the time of the Ottoman Empire. That is what some have called "Neo-Ottomanism ."

That project of neo-Ottomanism is now being associated with the leaders and members of the Justice and Development Party does not mean that Turkey is trying to restore the Ottoman Empire itself, nor does it mean that Turkey is planning to recapture the regions it used to control in the Ottoman period since that is impossible in light of international changes and contemporary circumstances. Neo-Ottomanism is an integrated economic, political, cultural, and social project that Turkey has started to develop with complete openness to its neighbors especially the Arabs. Its active intervention in regional issues benefits from the economic progress the country is making, and its internal development and external stability .

The Arab region and the area of the fertile crescent –with its tremendous wealth, geographical proximity, and cultural and historical partnership with Turkey – forms one of the most important areas for the implementation of this Neo-Ottoman idea. Here Turkey could begin to reconcile with these areas, intervene to solve their problems, and support their issues. These policies were accompanied by the leaders and spokespersons of the Justice and Development Party giving a number of speeches which committed Turkey to reconcile and cooperate with the countries of this region, as well as the desire of Turkey to occupy an international position that is consistent with its strengths and historical status.

المقدمة

لم يعد يخفى على أحد، ذلك التحول المتسارع في السياسات التركية الرامية إلى التقارب والانفتاح على العالم العربي، وإعادة مد الجسور ونسج العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية... معه، في العقد الأخير، أي بعد تسلم حزب العدالة والتنمية (الإسلامي[1])،[2] لمقاليد الحكم في البلاد، فمن الواضح أن تركيا باتت تحاول استعادة الثقة والنفوذ في العالم العربي، بعد عقود طويلة من العزلة والقطيعة مع هذه الأقاليم التي كانت ذات يوم مسرحا للنفوذ والسيادة التركيتين، وبعد سنين طويلة أيضا من اليأس والملل من الهرولة خلف سراب الغرب، والفشل في دخول الاتحاد الأوروبي.

فتركيا التي شاركت في الحرب ضد العراق في 1990-1991 بسماحها للطائرات الأمريكية والبريطانية بالانطلاق من قواعدها العسكرية؛ إنجيرليك وباطمان وسيلوبي،[3] وهي التي كادت أن تغزو سوريا عسكريا عام 1998،[4] والتي طالما أدارت ظهرها للعرب واستخفت بموقعهم ومواقفهم السياسية، واعترفت بإسرائيل بل تحالفت معها، وتشددت في حل مشكلة المياه مع العراق وسوريا،[5] ولا تزال تسيطر على لواء اسكندرون السوري.. تبدو تركيا اليوم متحولة ومنفتحة على العالم العربي بشكل مثير، وتتبنى لغة خطاب تصالحية جديدة تجاه هذا العالم الذي كان يمثل امتدادها التاريخي والأيديولوجي والجغرافي، وتبدو البلاد توّاقة لاستعادة ذالك الماضي المشرق، والمجد الذي دام أكثر من أربعة قرون، امتطي الأتراك خلاله صهوة إحدى أكبر الإمبراطوريات التي عرفتها البشرية، وخلّدها التاريخ.

فيتضح من خلال السياسات التركية (الأردوغانية)[6] في السنوات الأخيرة، أن تركيا بدأت من جديد تعيد النظر في تلك السياسات التي سارت عليها حكوماتها السابقة منذ عام 1924، ويتضح أيضا أن تركيا بدأت مجددا تدرك مصالحها في المشرق العربي بما يحويه من ثروات هائلة، ومكانة إستراتيجية، وشراكة أيديولوجية وتاريخية، ومجال جغرافي وتعداد بشري كبير، وفي الوقت ذاته أدركت خيبة الأمل الكبيرة التي منيت بها من الغرب، والإهمال والتهميش الطويلين، والرفض المستمر لانضمامها كعضو في الاتحاد الأوروبي.

---

[1]- محمد نور الدين، *تركيا الصيغة والدور*. الطبعة 1. (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2008)، 21.

[2]رغم أن للبعض تحفظ على هذا المصطلح، كالباحث الفرنسي ديديه بيون، الذي ينزع صفة الإسلامية عن حكومة الحزب. ديديه بيون،"حوار تحت عنوان: تركيا غير قابلة للاحتواء.. وهي تعي دورها الجغرافي والسياسي،" *الجزيرة نت*، (13\12\2010)، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B11D4CB1-D3DA-4DA2-AF5B-C9D5223BB0ED.htm

[3]- ثامر كامل محمد ونبيل محمد سليم، *العلاقات التركية – الأمريكية والشرق الأوسط في عالم ما بعد الحرب الباردة*. طبعة1. (أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2004)، 45.

[4]- هاينتس كرامر، *تركيا المتغيرة: تبحث عن ثوب جديد*. الطبعة1. ترجمة: فاضل جتكر(الرياض: مكتبة العبيكان، 2000)، 216.

[5]- محمد، العلاقات التركية الأمريكية، 46.

[6]- نسبة إلى رجب طيب أردوغان رئيس الحكومة التركية، والمقصود هنا سياسات الحكومة التي يقودها حزب العدالة والتنمية.

في الحقيقة ليس بوسعنا القول أن تركيا اليوم في صدد قطع علاقاتها مع الغرب، أو أنها عزفت عن رغبتها في الحصول على عضوية الاتحاد الأوروبي، أو أنها ستتجه صوب الشرق دون الغرب. فتركيا تربطها علاقات سياسية اقتصادية عسكرية وقومية كبيرة مع أوروبا والغرب عامة، كما أن عضويتها في حلف شمال الأطلسي يعد امتيازا لا يمكن التنازل عنه بسهولة، إلا أنه وفي الوقت ذاته لا يمكن القول أن تركيا ستستمر بنفس الوتيرة في الهرولة نحو الغرب الذي ضحّت بعلاقاتها مع الشرق طويلا من أجله– ولا سيما في ظل الطفرة الاقتصادية التي تعيشها– أو أنها لا زالت أداة طيعة في يد الغرب وحارس يحمي مصالحه وحدوده الشرقية وينفذ مخططاته، أو أنها ستستمر في تقديس تلك العلاقة المتينة التي شيدتها مع إسرائيل، لدرجة دفعت البعض ليصفها "بالطوق الحديدي"،[7] وإنما بات لتركيا أولويات أخرى، وبناءا على هذه الأولويات فقد بدأت قيادتها الجديدة ببناء مشروع ضخم جديد، كفيل– إذا ما نجح– أن يمنح البلاد موقعا سياسيا اقتصاديا منافسا على المستويين الإقليمي والدولي.

إن من أساسيات هذا المشروع الذي تعكف الإدارة التركية الجديدة على بنائه، التغلغل الناعم، والتأثير الفعال في دول الجوار، وتلك الأقاليم التي كانت ذات يوم جزءا من الدولة العثمانية بقيادة الأتراك، والانفتاح عليها والتصالح معها، ومن هنا تفترض دراستنا هذه أن الانفتاح التركي الأخير على العالم العربي جزء من هذه السياسة الجديدة، والمشروع الكبير الذي وصفه البعض بالعثمانية الجديدة، وتفترض دراستنا أن تركيا وضمن سياساتها الرامية إلى الانفتاح والتقارب مع العالم العربي، وخصوصا الدول الواقعة ضمن منطقة الهلال الخصيب، قد لجأت إلى استخدام لغة خطابية جديدة، رأى البعض تسميتها بالخطاب "العثماني الجديد"[8] نظرا لما تحمله من ملامح تاريخية أيديولوجية عثمانية جديدة، مصحوبة بسلسلة من المواقف السياسية، والسياسات التصالحية والانفتاحية على العالم العربي والإسلامي. وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال تعزيز تركيا لعلاقاتها مع سوريا (قبل أن تسوء خلال الثورة بداية 2011)، ورفضها المتكرر للخيار الغربي العسكري ضد إيران (حليف سوريا)، وإخراج الأخيرتين من قائمة الدول التي تهدد أمنها، ورفضها تقسيم العراق، ودعمها وتبنيها للقضية الفلسطينية، ودعمها لحرية الشعوب العربية إبان الثورات الداخلية التي عصفت ببعض بلدانهم وغيرها الكثير.

7- حميد حمد السعدون، *الطوق: مخاطر التحالف التركي- الإسرائيلي*. الطبعة 1. (عمان: دار وائل للطباعة والنشر، 2002)، 118.

8- يمكن القول ان هذا المصطلح " العثمانيون الجدد"، بدأ بالظهور والتداول في الأوساط السياسية والإعلامية والأكاديمية منذ مطلع العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ولا سيما بعد انتعاش الإسلام السياسي، ووصول حزب العدالة والتنمية الى السلطة في تركيا، وسياساته الانفتاحية التصالحية مع العالم العربي، وقد أعدت قناة الجزيرة الإخبارية حلقة تلفزيونية هامة من برنامج (تحت المجهر) بعنوان "العثمانيون الجدد" وبثتها في 26/7/2007. كما ألف الباحث إدريس بووانو كتابا بعنوان:**إسلاميو تركيا.. العثمانيون الجدد**.

إن الدبلوماسية والخطاب التركيين الجديدين، المتمثلين في أحداثٍ ومواقف عدة للقيادة التركية، من قبيل موقف رئيس الوزراء أردوغان من الرئيس الإسرائيلي "شيمون بيريز" في مؤتمر "دافوس"،[9] أو التقارب المستمر تجاه سوريا، وفتح المزيد من القنوات التجارية والدبلوماسية معها ومع مصر،[10] وتكثيف زيارات المسؤولين الأتراك للبلدان العربية، والدعوات المستمرة لكسر الحصار عن قطاع غزة، والنقد المستمر للسياسات الإسرائيلية، وقبل ذلك رفض البرلمان التركي الموافقة على المشاركة في الحرب الأمريكية على العراق عام 2003،[11] تشير كل هذه المواقف إلى أن هناك توجهات جديدة، وتحولات جوهرية في السياسة والخطاب التركيين الخارجيين، بهدف التصالح والدُنو من الشرق العربي، حتى لو كان في بعض جوانبه على حساب العلاقة مع الغرب، أو مع حليف استراتيجي قديم كإسرائيل.

وقد رأى فريق أن سياسات تركيا وخطابها الجديد "محاولة لإعادة الاعتبار للدور العثماني تاريخيا، وللدولة العثمانية التي حكمت المنطقة العربية نحو أربعة قرون، ونعمت بها الشعوب العربية بالاستقرار والحماية من الاحتلالات الأجنبية"[12]– باستثناء العقود الخمس الأخيرة– كما وصف البعضُ الساسةَ الأتراك الحاليين بأنهم العثمانيون الجدد، الذين يسعون الى استعادة أمجاد أسلافهم بأدوات عصرية، لا بأدوات العصور الخالية، وأنهم يعتمدون الديمقراطية لغة للتفاهم بين الإسلام والغرب.[13] ويستخدمون خطابات تصالحية وتاريخية وأيديولوجية، لتحقيق مكاسب عديدة، يتقدمها الاقتصاد والنفوذ السياسي والأمن.

إن السياسة ولغة "الخطاب العثماني الجديدة" التي يتبناها قادة تركيا تجاه دول المنطقة، ودوافعها وظروف نشأتها ووسائلها وملامحها ستكون ومحور هذا البحث الرئيسي، التي سنتناولها من خلال ثلاثة فصول أساسية: يتحدث الأول عن التغيرات التي مرت بها تركيا وعلاقاتها بالعرب، ويتحدث الفصل الثاني عن طبيعة التركيبة الداخلية التركية، وكيف ساعدت التحولات فيها على بروز العثمانية الجديدة، فيما نتناول في الفصل الثالث تفصيلا وتحليلا معمقا للخطاب العثماني الجديد وماهيته، ونعرض ملامحه من خلال رصدنا لسلسلة من الخطابات والمواقف التركية ولاسيما إبان الثورات العربية.

---

[9]- هو مؤتمر اقتصادي عقد في مدينة دافوس في سويسرا، وصف أردوغان خلاله الإسرائيليين بقتلة الأطفال.

[10]- لقد قام وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط بزيارة إلى تركيا في الـ 22 من نوفمبر 2010 لبحث ما أسمته قناة النيل المصرية الإخبارية بـ (القضايا الإستراتيجية، وسبل التعاون بين مصر وتركيا)، وتمثل هذه الزيارة تحسنا في العلاقة بين البلدين.

[11]- نور الدين، *تركيا الصيغة والدور*، 245.

[12]- عبد الله النفيسي، *نفوذ تركيا وإيران في الساحة العربية*، قناة الجزيرة: برنامج "في العمق"،14/6/2010.

[13]- ينظر: حلقة من برنامج "تحت المجهر" قناة الجزيرة ، تحت عنوان "*العثمانيون الجدد*". بتاريخ 26/7/2007.

مشكلة الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن حقيقة "العثمانية الجديدة" وطبيعة تلك الخطابات التي تبنتها القيادة السياسية التركية تجاه البلاد العربية ولاسيما منطقة الهلال الخصيب، وهي الأكثر أهمية بالنسبة لتركيا، التي تشمل العراق "وبلاد الشام،" وذلك منذ وصول حزب العدالة والتنمية ذي الجذور الإسلامية إلى السلطة في البلاد عام 2002. وتستعرض الدراسة الملامح الخطابية العثمانية التي يضمنها هؤلاء القادة لسياساتهم وخطاباتهم، وكيف تسعى تركيا لاستحضار الماضي العثماني، وإحياء أمجاد الأسلاف، وإعادة صياغتها من جديد، وإعادة إنتاجها بثوب عصري، واستثمارها في كسب ود العرب لتحقيق مكاسب مختلفة، يتقدمها الاقتصاد والسياسة والأمن. ستقدم هذه الدراسة أيضا تحليلا معمقا لمضامين التصريحات والمواقف والخطابات"العثمانية" التي تتبناها القيادة التركية الحالية تجاه العالم العربي، والتي تحاول التركيز على القواسم المشتركة مع العالم العربي كالجغرافيا والحضارة والدين، إضافة إلى ترويج تركيا كقائد في المنطقة، ووسيط ناجح ومؤثر، ومصدر لترسيخ الاستقرار والسلام وحل النزاعات في المنطقة العربية والجوار.

وتبحث الدراسة مظاهر "الصحوة" والنهضة التركية، وأثر انتعاش الإسلام السياسي ووصوله للسلطة في ظهور العثمانية الجديدة، وكسر معادلة تقديس الغرب دون الشرق التي سارت عليها تركيا طويلا. كما تبحث الدراسة أيضا تلك الأساليب التي استخدمتها تركيا في الانفتاح على العالم العربي ودول الهلال الخصيب، وسنرى من خلال هذه الدراسة كيف استخدمت تركيا القضية الفلسطينية كبوابة إلى العالم العربي، كما نرى كيف ساهم الانفتاح الاقتصادي في تعزيز العلاقة معه. إضافة إلى الخطابات والمواقف من الثورات العربية.

تساؤلات الدراسة

تسعى هذه الدراسة للإجابة على الأسئلة الرئيسية التالية:

- ما المقصود بالخطاب العثماني والعثمانية الجديدة؟ وما مضامين الخطابات التي تمارسها تركيا تجاه العالم العربي ودول الهلال الخصيب؟
- هل العثمانية الجديدة هي عثمانية اقتصادية فقط؟ أم هي تدخل كامل، وسعي للعب دور فعال ونشط في كافة الشؤون والقضايا في البلاد العربية ولاسيما المجاورة منها؟

- وما مكان الخلفية الأيديولوجية لحزب العدالة والتنمية ودورها في سياسات تركيا الخارجية؟ وما مدى ارتباط العثمانية الجديدة بصعود الإسلام السياسي التركي؟
- هل العثمانية الجديدة هي عثمانية مصلحية ومؤقتة، أم هي عثمانية صادقة وتحول جذري في السياسة التركية تجاه العالم العربي؟

فرضية الدراسة

تفترض هذه الدراسة أن تركيا بقيادتها الجديدة، مستمرة في المضي قدما نحو الانفتاح وتعزيز العلاقات مع العالم العربي، وتسعى للعب دور نشط وكسب موقع مؤثر فيه، لذلك فإن تركيا قد سلكت وسائل عدة لتحقيق تلك الغاية وخصوصا مع جوارها، وهو ما تجلى بوضوح في الخطاب الجديد ذي المضامين العثمانية الذي انتهجته القيادة التركية، المنبثقة عن حزب العدالة والتنمية (الإسلامي)، والتي تبنت خطابا لينا وتشاركيا ووحدويا وتصالحيا واقتصاديا وتاريخيا وإسلاميا تجاه العالم العربي، وسعيها المستمر للتأكيد على كبر وسعة القواسم المشتركة معه، من حيث الدين والثقافة والوحدة التاريخية، وعلاقات الجوار أو الوحدة الجغرافية التي ربطت الطرفين تحت مظلة الإمبراطورية العثمانية مترامية الأطراف ومتعددة الأجناس والأعراق، ومتنوعة الأقاليم لنحو أربعة قرون، والتي يسعى الأتراك لاستعادة مجدها، ولعب دور شبيه بالذي كانت تمارسه تلك الدولة تجاه أقاليمها بما فيها الأقطار العربية، دون أن يصل هذا الدور إلى درجة التبعية، أو إعادة بسط النفوذ على هذه الأقاليم.

وقد صاحب هذا الخطاب العثماني الذي تبنته القيادة التركية – كما تفترض الدراسة– مجموعة من الأساليب والسياسات التي استخدمتها تركيا للتقارب مع العالم العربي، كالانفتاح الاقتصادي، وزيادة التمثيل الدبلوماسي وافتتاح سفارات جديدة [14] في البلدان العربية الإفريقية، – الصومال مثلا– واستخدام القضية الفلسطينية كبوابة يُعبَر من خلالها للعالم العربي، وكذلك اللجوء إلى الإعلام لمخاطبة الجماهير العربية، والتصريحات التصالحية والبراقة التي يطلقها أردوغان ووزير خارجيته والرئيس التركي، تجاه العالم العربي والقضية الفلسطينية، وضد إسرائيل(الخصم التقليدي للعرب)، وتكثيف زيارات الساسة الأتراك للأقطار العربية، والسعي لحل أزمة المياه مع سوريا والعراق، ورفض المشاركة في حرب الولايات المتحدة وحلفائها

[14]- يذكر أن أحمد داوود أوغلو وزير الخارجية التركي قد أمر بفتح عشر سفارات تركية جديدة في أفريقيا عقب توليه وزارة الخارجية، ينظر: "أحمد داوود أوغلو: " نحن العثمانيون الجدد،"، موقع أخبار العالم، استرجعت بتاريخ 11/5/2011، http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=31833.

على العراق عام 2003، إضافة إلى موقفها المتطور من "الثورات" العربية، وانحيازها للشعوب والديمقراطية، ورفض أي احتلال غربي لليبيا، أو سوريا، وغيرها من طرق الانفتاح "والدفاع" عن مصالح البلاد العربية، التي تساعد في الترويج لتركيا لتحقيق أهدافها.

وتفترض الدراسة أن السبب الرئيس والأهم في هذا التحول الدراماتيكي والراديكالي المشهود في الخطاب والسياسات التركية الخارجية تجاه العالم العربي هو سبب داخلي أساسا، تمثل بوصول حزب العدالة والتنمية الإسلامي إلى الحكم في البلاد، مستفيدا من إبداعاته وخططه الاقتصادية والإصلاحية، وقدرته على الحد من أثر المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية، وأن هذا الحزب حريص وتوّاق للتصالح وتحسين العلاقة مع العالمين العربي والإسلامي والجوار، وقد كان للعامل الأيديولوجي دورا أساسيا في بدء هذا التقارب مع العرب، جنبا إلى جنب مع العامل الاقتصادي والأمني والسياسي وغيره.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الدور التركي الجديد ذاته، الذي بدأت أنقرة تلعبه إقليميا وعالميا، وتحديدا التغلغل "الناعم" في منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي، "والتدخل" النشط والاهتمام المثير بشؤون دول المنطقة، الذي يأتي في ظل تغيرات جوهرية في موازين القوى العالمية والإقليمية، كالغياب شبه الكامل للموقف العربي المؤثر وما تركه من فراغ، ثم التراجع الكبير للدور الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط، بعد تعثر عملية السلام، وتورط أمريكا في مستنقع حربين منهكتين، وكذلك الأزمة الاقتصادية العالمية. في وقت يتصاعد فيه تأثير قوى عالمية أخرى، كإيران وكوريا الشمالية عسكريا، والصين والهند اقتصاديا، وازدياد صلابة وتأثير حركات التحرر في المنطقة وأخيرا ربيع الثورات العربية وما أنتجه من تغيرات راديكالية وإسقاط أنظمة في بلدان مجاورة.

وتنبع أهمية هذا البحث أيضا من كون موضوعه موضوعا جديدا، حيث أن فكرة العثمانية الجديدة هي فكرة جديدة التداول والاستخدام، تزامنت مع وصول الإسلام السياسي التركي للحكم في البلاد، وهذا ما يفسر شح الدراسات المعمقة في هذا الاتجاه، وما يضفي على هذه الدراسة أهمية إضافية. كما وتبدو أهمية هذا البحث في التعرف على ملامح هذا الخطاب الجديد للقيادة التركية الحالية، تجاه العالم العربي ومنطقة الهلال الخصيب، وما موقع هذا الهلال في خطابات الساسة الأتراك، وكيف رسمت تركيا لنفسها مسارا جديدا في التعامل مع

الدول العربية، وسنتعرف على طبيعة تلك العلاقة الجدلية بين إسلاميي تركيا وبين "العثمانية"، وسر ارتبط مصطلح العثمانيين الجدد بإسلاميي بهم دون غيرهم، وسيمدنا هذا البحث أيضا برصيد معلوماتي في استقراء مستقبل المنطقة، والعلاقات التركية العربية، والتنبؤ بصورتها المستقبلية، في حال استمر المشهد السياسي الداخلي على ما هو عليه، أو في حال فارق الإسلاميون السلطة، واستجمع الجيش قواه، ولملم الفريق العلماني أوراقه مجددا.

منهجية البحث:

نظرا لامتزج السياسي بالإعلامي بالتاريخي في هذه الدراسة، فإن منهجنا في الوصول الى نتائج هذه الدراسة وعرض فصولها متعدد المسارات، حيث استخدم الباحث أكثر من منهج في ذلك، وعلى رأسها منهج تحليل المضمون، وتحليل الخطاب السياسي، وهو المنهج الأكثر استخداما عند تحليل مضامين المواد الإعلامية المنشورة في وسائل الإعلام، وتحليل الخطابات السياسية للدول والقادة والأطراف المختلفة. "حيث يعد علم تحليل المضمون القاسم المشترك لعلوم الإعلام والسياسة والاجتماع من جهة، وفتحا جديدا في الدراسات الإعلامية – السياسية من أجل فهم المبادئ الأيديولوجية الدولية التي تتحكم في التفاعل المتبادل بين الإعلام والمجتمع من جهة أخرى".[15] وقد استخدم هذا المنهج لتحليل كافة المواد الإعلامية التي تم رصدها من أخبار وبرامج، ولاسيما التلفزيونية منها- التي تصدرتها قناة الجزيرة الإخبارية- المتعلقة بتركيا وسياساتها الخارجية، والخطابات والتصريحات المختلفة التي تحمل ملامح "عثمانية" وموجهة للعالم العربي التي يطلقها القادة الأتراك (كرئيس الحكومة ووزرائه).

كما تم استخدام المنهج التاريخي في الفصل الأول لدى سرد الباحث لبعض النقاط والمحطات المهمة في تاريخ العلاقة التركية مع العرب، لأهمية ذلك في المقارنة بين الماضي والحاضر، وإدراك حجم التحول في السياسة التركية الخارجية، كما استخدم المنهج الوصفي أيضا لدى الحديث عن أساليب الساسة الأتراك في انفتاحهم على العالم العربي. كما ويعتمد الباحث- إضافة الى المراجع التقليدية- على عدد من المقابلات الشخصية مع مسؤولين ومحللين، وأكاديميين وإعلاميين وباحثين، وجمع آرائهم وإخضاعها للبحث والدراسة والتحليل، والمقارنة فيما بينها من أجل الخروج برؤية متكاملة وواضحة عن مظاهر الانفتاح التركي على العالم العربي، والخطاب (العثماني)، والأساليب التي تسلكها تركيا لهذا الهدف.

---

[15]- إبراهيم الداقوقي، *صورة الأتراك لدى العرب*. الطبعة 1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،2001)،9.

الإطار النظري

تحدثت الكثير من النظريات عن الواقع الدولي، وحاولت تفسير طبيعة العلاقات بين الدول، لكن هذه النظريات جميعا بقيت عاجزة عن تقديم تفسير شامل لطبيعة هذه العلاقات وتحليل سبل سيرها، أو أن تفسر كل الجوانب للأحداث المستجدة، فهذه النظريات وإن نجحت في جوانب أو أزمنة معينة، قد قصرت وأخفقت في جوانب، ولعل كِتاب نشوء وسقوط القوى العظمى[16] يؤكد هذا المعنى عندما يشير الى أن عوامل وأسباب نشوء قوة دولية معينة وتعاظمها، وأسباب سقوطها وانهيارها تختلف من بلد لآخر ومن زمن لآخر ومن مكان لمكان آخر، فأسباب انهيار الإمبراطورية العثمانية تختلف عن أسباب انهيار الاتحاد السوفييتي او تلاشي إمبراطورية بريطانيا العظمى.

ففي الوقت الذي ازدهرت به نظرية الواقعية مثلا، بعد الحرب العالمية الثانية، التي أزهقت أرواح عشرات الملايين من البشر، نجد أن هذه النظرية قد تآكلت وفقدت الكثير من منطقيتها وواقعيتها، بعد انتهاء الحرب الباردة، وأخذت نظريات أخرى تتسلق ذات السلم الذي نزلت من عليائه الواقعية، كالليبرالية والبنائية (البنيوية) وغيرها. ولعل أحد أهم النظريات التي تناولت العلاقات الدولية وحاولت تفسير طبيعة سير النظام الدولي، هي النظريات والبنائية أو (البنيوية) والتي يولي منظروها للخطاب أهمية بالغة في العلاقات الدولية، والذين يشيرون إلى أن نظرية البنيوية- التي بدأت تكتسب قوتها بعيد انتهاء الحرب الباردة- باتت أقرب وأقدر على تفسير العلاقات الدولية من النظريات التقليدية كاللبرالية والواقعية والماركسية.

النظرية البنائية (البنيوية)

في الوقت الذي تميل فيه كل من الواقعية والليبرالية إلى التركيز على العوامل المادية فإن المقاربات البنائية تركز على تأثير الأفكار، وبدلا من النظر إلى الدولة كمعطى مسبق والافتراض أنها تعمل من أجل بقائها، يرى البنائيون أن المصلحة والهوية تتفاعل عبر عمليات اجتماعية (تاريخية)، كما يولون أهمية كبيرة للخطاب السائد في المجتمع، لأن الخطاب يعكس ويشكل في الوقت ذاته المعتقدات والمصالح، ويؤسس أيضا لسلوكيات تحظى بالقبول. إذاً، فالبنائية تهتم أساسا بمصدر التغير أو التحول. وقد حلت هذه المقاربة بشكل كبير محل

[16]- بول كيندي، *نشوء وسقوط القوى العظمى*. الطبعة 1. ترجمة: مالك البديري (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1994)، 302.

الماركسية كمنظور راديكالي للشؤون الدولية.[17] وتشير هذه النظرية إلى أن الساسة وصناع القرار وقادة الرأي العام، يلجؤون إلى الخطاب محكم البناء، في رسم علاقات دولهم الخارجية، والتأثير في مجريات الأحداث الإقليمية والعالمية، وفي بناء جسور جديدة مع بلدان تقتضي الحاجة "المصلحة" تشييد تلك العلاقة معها. لما للخطاب من تأثير وفعالية، قادرة على تغيير صورة أو سياسة ما، أو كسب مزيد من التأييد والدعم ليس في أوساط الدول وحسب، بل وفي مجتمعاتها وبين أفرادها ومؤسساتها أيضا.

وبينما تتعدد النظريات البنائية (البنيوية)، فإن القاسم المشترك بين كل هذه الاتجاهات النظرية يتمثل في قدرة الخطاب على صياغة الكيفية التي يحدد بها الفاعلون هويتهم ومصالحهم، وبالنتيجة يقومون بتعديل سلوكياتهم.[18] ويتضح أن هذا ما تسعى إليه الدبلوماسية التركية من خلال خطابها التصالحي والوحدوي تجاه العالم العربي، وهو تغيير سلوك دول وأفراد هذا العالم العربي إيجابيا تجاهها، لترسيخ مزيد من "النفوذ" وتعزيز دورها وصورتها في هذه البلدان، وبالتالي تكون مقبولة فيها، ومرحبا بها وبدورها واقتصادها واستثماراتها.

> إن البنيوية كأيديولوجيا هي تلك التي ترى أن من حقها أن تقول بنهاية المطاف بمُسلَّمة "موت الإنسان" أو "اللا إنسانوية النظرية"، أما البنيوية الجديدة، كبنيوية ماركس- الذي يرى البعض أنه أول من صاغ منهج بنائي ضروري للبحث العلمي- فترتبط بقوة بنظرية عن المستويات لا تستبعد مناهج أخرى للمقاربة كالمناهج التكوينية، ويرى ماركس ومن بعده ستراوس أن البنى تجابهنا بمظهر مزدوج ومتناقض، فهي عبارة عن توسطات بين الممارسة الاجتماعية، التي هي منبع البنى كافة وبين المعاش، أي النشاط الإنساني الفردي، لكن ماركس لم يجعل من البنيوية فلسفة كما لو أن البنية هي الواقع الوحيد، وميزة تصوره أنه م ينسى أن البنية من صنع الانسان كأي نتاج أو مؤسسة أو نموذج علمي، وأنه لم يفصل كليا بين كل من البنى والممارسات الاجتماعية والممارسات الفردية العينية.[19]

وحديثا فقد ظهر تيار ما عرف بـ "ما فوق البنيوية" لان البنيوية لم تعد تتسع للتعامل مع كتاب كفوكو الذين يرفضون نعتهم بالبنيويين أو ديريدا المتعارض مع البنيويين. وفي علاقتها بالبنيوية تبدو ما فوق البنيوية كأعلى بنيوية حيث أنها ظاهرة أوسع وأعلى، لكن الذي يشترك

17- Stephen walt. *One World, Many Theories*.1998. recalled in 16/6/2011, http://faculty.maxwell.syr.edu/hpschmitz/PSC124/PSC124Readings/WaltOneWorldManyTheories.pdf

18- Ibid

19 - روجيه غارودي، *البنيوية- فلسفة موت الانسان*. ترجمة: جورج طرابيشي (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1979)، 113.

فيه البنيويون والماركسيون والفوكويون وما بعد البنيويون يكمن في نمط تفكير خاص بالمـا فوق بنيات، أي أن ما فوق البنيويون يقلبون النماذج العادية للبنية الأساسية والبنية الفوقية الى حد ما اعتدنا الاعتقاد أنه فوق بنائي يتخذ في الواقع الأسبقية فوق ما اعتدنا اعتباره أساسا.[20]

إن تيار البناء الاجتماعي يعتبر الطرح القائم على معايير مادية اختزالاً وتجـاوزاً للبعـد الثقافي والقيمي، ويسعى لأن يقدم في مقابل نظريات التيار الرئيس في العلاقـات الدوليـة- والواقعية والليبرالية الجديدتين اللتين تقومان على أسس مقتبسة من الاقتصاد- نظرية نظامية تعتمد في جوهرها على علم الاجتماع، وعلم النفس الاجتمـاعي. وفيهـا تعتبـر الهويـات والمصالح المتغير التابع الذي ينبغي دراسته وفهمه. ويرى أنصـار البنـاء الاجتمـاعي أن الاعتبارات المادية وحدها لا تقدم لنا تفسيراً مقنعاً للعديد من الحالات في السياسة العالمية.

فمثلاً، تعتقد الواقعية الجديدة أن الدول تتحالف لمواجهة قوة أخرى، لكن هذا الافتـراض غير دقيق، فالدول لا تتوازن ضد القوة المجردة، وإنما ضد نوع معين من القوة، وهي القـوة المملوكة لدولة قادرة نسبياً وقريبة جغرافياً، ولها قدرات عسكرية هجومية، وتدرك أنهـا ذات نوايا عدوانية. وهذا يعني ضرورة أخذ الأبعاد الثقافية في الاعتبار، وذلك لأن عملية الإدراك تشتمل على جوانب قيَمِية وفكرية. والأهم من ذلك أن الذوات المادية التي يقوم عليها التحليل هي في المقام الأول ذوات اجتماعية. لذا يرى مدخل البناء الاجتماعي أن المهم في السياسـة الدولية ليس وجود الجانب المادي، وإنما كيف يجري عكس هذا الجانـب المـادي وتمثيلـه. فتوازن القوى مثلاً، ينبغي ألا يفهم على أنه توازن بين وسائل الدمار، ولكن على أنه تـوازن التهديد. إن الذي يردع قادة الدول عن اللجوء إلى الحرب ليس الموجود حقيقة، ولكن ما يعتقد قادة الدول أنه موجود. ويقوم التركيز هنا على المعرفة، فهي مرتبطة بالمجتمع وليس بفرد.[21]

"من جانب أخر، فان النظريات البنائية تعد الأكثر نجاعة وفعالية في تحليل كيفية تغير الهويات والمصالح بمرور الزمن، بحيث ينتج عن ذلك تغير في سلوك الدول، وفي حالات معينة تفجر تحولات غير متوقعة في الشؤون الدولية، وفي هذا السياق يصبح من المهم جدا معرفة ما إذا كانت الهوية في أوربا ستستمر في التحول من نطاق الدولة- الأمة إلى نطاق محلي أضيق أم إلى نطاق أوسع- أي الهوية الأوربية- ومعرفة ما إذا كانت مسألة الهوية في دول الجنوب وخاصة الإسلامية

---

[20]- ريتشارد هارلند، *ما فوق البنيوية*، الطبعة 1. ترجمة: لحسن أحمامة (اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2009)، 11.
[21]- ملوكي سفيان،" المدرسة البنائية في العلوم السياسية،" *دراسات آسيوية*،(13\8\2008)، http://hawariboumadian1520.maktoobblog.com/1153358

منها، بإمكانها أن تشكل ردا فعليا ارتداديا على الهيمنة الفكرية الغربية، و بالتالي التأثير التدريجي على خريطة العالم الثقافية والقيمية، وقد أثيرت بعد الحادي عشر من سبتمبر العديد من النقاشات حول أزمة الهوية والخلل الحاصل في الأنماط الفكرية والتمثلات القائمة على العنف والإرهاب، وبهذا الخصوص ليس للواقعية الشيء الكثير لتقدمه في تفسير هذه المواضيع، وصناع القرار قد يشوب نظرتهم الغموض إذا أهملوا هذه الاحتمالات بشكل كلي."[22]

ومن هذا المنطلق، فقد اعتمد الباحث في تفسير بحثه بشكل أساسي على النظرية البنائية، باعتبارها الأقرب والأقدر على تفسير قضية هذه الدراسة من النظريات الأخرى، لأننا نتحدث عن خطاب دولة. وسيكون نجاح النظرية الواقعية بشقيها الكلاسيكي والجديد محدودا في تحليل هذه الظواهر والقضايا الإعلامية والخطابية، على اعتبار أن أدبياتها لم تعط اهتماما كافيا للتحليل الإعلامي والخطابي "وخطورته" وفعاليته، وإن ردت كل سلوك دولي إلى نظام الهيمنة والسيطرة.[23]

الخطاب

عند الحديث عن الخطاب وجدلياته وتعقيداته، لا يمكن بحال تجاوز الفيلسوف الرائد في هذا المجال " ميشيل فوكو"[24] الذي شرّح الخطاب، وأوضح معالم بنيته، ونُسُق العلاقات التي تربط مكوناته ببعضها، ورسخ قواعد (علم) الخطاب، وتحدث عن قدرته وفعاليته في التأثير في المجتمعات والسلطات والأفراد وفي سلوكياتهم، ومن ثم في العلاقات بين الدول.

وقد منحت أعمال ميشيل فوكو الخطاب– كمفهوم ومنهج تحليل– حياة جديدة، وفتحت آفاقا رحبة أمام الباحثين في العلوم الاجتماعية، حيث أسس فوكو مفهوما للخطاب لا يقوم على أصول ألسنية أو منطقية، بل يتشكل أساسا من وحدات سماها بالمنطوقات، وهذه المنطوقات تشكل منظومات منطوقية تسمى بالتشكيلات الخطابية، تكون هذه التشكيلات دائما في حقل خطابي معين، وتحكمها قوانين التكوين

[22]- محمد عصام لعروسي،"العلاقات الدولية، شيء من النظرية و اخر من التطبيق،"*الحوار المتمدن*- العدد: 1766.(2006\12\16)،http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=83543

[23]- محمد أبو الرب، *دور قناة الجزيرة في تشكيل العلاقات الدولية لدولة قطر*. (بيرزيت: رسالة ماجستير قدمت لبرنامج الدراسات الدولية بجامعة، 2008)، الصفحة (ص) في الإطار النظري.

[24]- فيلسوف فرنسي 1926 - 1986 تحدث عن الخطاب وقوته، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الثاني من القرن العشرين، اختص بالحديث عن أنظمة الخطاب والقمع والسلطة، وأهم مؤلفاته: الكلمات والأشياء، نظام الخطاب، وحفريات المعرفة.

والتحويل، وعلى هذا الأساس فإن الخطاب يختلف عن الجملة والقضية، كما يختلف التحليل الخطابي عن تحليل اللغة والتحليل المنطقي.[25]

وفي استعراضه لقوة وتأثير الخطاب، يرى فوكو أن "البشر ليسوا بالفاعل الوحيد، بل هم منتجات الممارسات الخطابية، كذلك فإن الموضوعات ليست حقائق اجتماعية، بل هي عملية تتعلق بكيف يأتي الفاعلون بالأشياء إلى الوجود من خلال اللغة، لذلك يمكن القول بوجود علاقة بين السلطة أو القوة power واللغة، وبالتالي يمكن اعتبار الفاعلين تكوينات اجتماعية تم إنتاجها من خلال الخطابات الاجتماعية التي تضع هذه التكوينات الاجتماعية في حقل علاقات القوة،[26] وهنا يرى فوكو أنه حتى الفاعلين والمنظرين وممارسي الخطاب هم في الأصل تأثروا بقوة الخطاب، وتم إنتاجهم من خلاله، لذلك فإن للخطاب قوة وسلطة لا تضاهيها سلطة. كما ويؤكد ميخائيل باختين هذا الطرح برؤيته أن الخطاب حدث اجتماعي وليس حدث فردي، فهو اجتماعي لأن الذات المتلفظة وإن بدا عليها أنها مأخوذة من الداخل، إلا أنها تعد بصورة كلية، نتاجا لعلاقات اجتماعية متداخلة، ومن هنا فان الخطاب وإن بدا انه مجرد تعبير عن عالم المتلفظ الداخلي إلا أن بنيته ذاتها تعد بنية اجتماعية. كما أن كل خطاب هو في الأصل موجه باتجاه أفق اجتماعي.[27] بينما يرى ألتوسير أن الخطاب عنصر تكويني لكل الحياة الاجتماعية والسياسية.[28]

ويعرف فوكو الخطاب على أنه " مصطلح لساني، يتميز عن نص وكلام وكتابة وغيرها، أو باشتماله لكل إنتاج ذهني، سواء أكان نثرا أو شعرا، منطوقا أو مكتوبا، فرديا أو جمعيا، ذاتيا أو مؤسسيا، في حين أن المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد. وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها أو يحمل معناها أو يحيل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما."[29]

ويعرفه آخرون بأنه نوع من القول الذي تُجمع به الصنعة اللفظية والحجة المقنعة، مع عدم الإثقال على السامع، والخطاب هو فن مواجهة الآخرين بالكلام، او هو نظام صياغة الكلام المقنع والمؤثر بالآخرين، والتوجه به إليهم بطريقة تجعله قادرا على التأثير بهم وإقناعهم بوجهة النظر التي يتبناها ممارس الخطاب.[30]

---

[25]- بغورة الزواوي، *مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو*. ط1(القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2000)، 143.
[26] - المرجع السابق.
[27]- عبد الواسع الحميري، *النص والخطاب*. ط1(بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2008)، 99.
[28] - جورج لارين، *الأيديولوجيا والهوية الثقافية*. الطبعة 1. ترجمة: فريال خليفة (القاهرة، مكتبة مدبولى، 2002)، 19.
[29]- ميشيل فوكو، *نظام الخطاب*. ترجمة:محمد سبيلا. ط 1(بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 1984)،8.
[30]- الحميري، *النص والخطاب*، 11-12

أما الخطاب الإعلامي فهو ممارسة اجتماعية متغيرة، ويتعرض دائماً للتغير والتطور، كما أنه ليس شيئاً واحداً بل هناك عدد من الخطابات الإعلامية المتصارعة أو المتعاونة، كما أن هناك تداخلاً أو تعايشاً بين أكثر من خطاب. وتعكس هذه الخطابات المتداخلة حقائق اجتماعية متباينة ومصالح متعارضة، ومع ذلك فقد تحدث استعارات في المفاهيم والأطروحات في إطار محاولة كل خطاب أن يواكب الواقع ويحظى بقدر أكبر من التأثير الاجتماعي، فعلى سبيل المثال قد يتبنى الخطاب الإعلامي لحكومة ما بعض المقولات أو المفاهيم لحزب معارض ويدمجه في إطار بنيته الخطابية، بهدف التأثير في الجمهور وحرمان المعارضة من احتكار هذا التأثير. كما أن خطابات أحزاب اليمين قد تتبنى بعض مقولات ومفاهيم خطابات أحزاب من أقصى اليسار، أو العكس.[31]

وتسعى الأنظمة والأطراف المختلفة من خلال الخطاب لرسم صورة مشرقة عنها، وتغيير ما علق في الأذهان من شوائب أو صور سلبية، حيث " يُعد موضوع الصورة من المواضيع الهامة بالنسبة للأفراد والمنظمات والدول، فالصورة تبين رأي الآخر فينا، وبالتالي يؤدي الرأي إلى اتخاذ القرارات ومن ثم تشكيل السلوك، والصورة الجيدة والإيجابية هي ما يهدف الأفراد والجماعات والمنظمات والدول لتشكيله عنها. لذلك تقوم الجماعات والمنظمات والدول بدراسة صورتها في أذهان الجماهير، لتعمل على تحسينها وتسييرها على النحو الذي تتمناه، لتحقيق أهدافها وسياساتها، والترويج لنشاطاتها المختلفة".[32] ومن هنا ستُظهِر هذه الدراسة جهد القيادة التركية وسعيها الحثيث في رسم هذه الصورة وإخراجها بأبهى صورة، وتحديدا للعالم العربي والجوار.

والحقيقة أنه لا يمكن اختزال الخطاب الذي يسهم في رسم صور الدول والنظم السياسية في مجموعة من التصريحات أو الدعايات المختلفة، فهناك عوامل عدة تؤثر في تعديل وبناء الصور الذهنية والتي أهمها: الأسرة والمؤسسات التعليمية والتربوية، والاتصال بأنواعه وأشكاله المختلفة، الذي يعد من العوامل المهمة في تشكيل الصورة، بحيث تعد 70% من الصور الذهنية التي تتشكل عند الإنسان مستمدة من وسائل الإعلام المختلفة.[33] إضافة للعوامل

---

[31]- محمد شومان، "الخطاب الإعلامي: غموض المفهوم واختلاف أدوات التحليل،"*الهدى للثقافة والإعلام*، استرجعت بتاريخ: 17/1/2011 . ينظر: http://www.siironline.org/alabwab/alhoda-culture/031.html

[32]- نيفين سلامة، *صورة الولايات المتحدة كما يراها الشباب الفلسطيني*(بيرزيت: رسالة ماجستير قدمت لبرنامج الدراسات الدولية بجامعة بيرزيت، 2007)، 10.

[33] - سحر محمد وهبي، *بحوث في الاتصال*. طبعة1(القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 1996)،180.

النفسية والاجتماعية التي يعمل في ظلها الاتصال، مع العلم أن الأساس في تكوين الصورة الطيبة هو السلوك الجيد، والممارسات والأفعال الطيبة، لذلك نرى أن تركيا أولت هذه العوامل أهمية بالغة، كدأب العديد من القوى العالمية ولاسيما الغربية ضمن محاولاتها لتحسين صورتها لدى دول وشعوب الشرق الأوسط والأقاليم الأخرى حين ترى أن لها مصلحة بذلك فنراها برهة تشيد المدارس، أو تعبد الشوارع، أو تساهم في بناء مؤسسات مختلفة، وتوزع مساعدات تارة، وتارة تفتتح مؤسسات إعلامية،[34] تروج لها ولسياساتها ولنظامها وشعبها.

ويشير فلاسفة الخطاب إلى أن للكلمات معان بسيطة ومقاصد عميقة ومدروسة، وأن الخطاب يستخدم بعض المنطوقات لتحقيق أهداف أعمق، وجني مكاسب أثمن، وإيصال رسائل تخدم مصالح ممارس الخطاب وصانعه. وهنا يعزل فوكو المنطوقات التي يستخدمها الخطاب عن اللغة والفكر، وذلك للتأكد من عدم نسبة المنطوق إلى عناصر ذات طبيعة سيكولوجية (مثل قصد المؤلف أو القائل، وتكوينه النفسي، وصرامة تفكيره..).[35] ويقول فوكو بحق الخطاب أيضا: أن الخطاب يبدو في ظاهره شيء بسيط لكن أشكال المنع التي تلحقه (يقصد قيود وأساليب صياغته وإنتاجه) تكشف عن مدى ارتباطه بالرغبة والسلطة.[36]

والخطاب عموما، أعم وأشمل من الخطبة – التي عادة ما تطلق على المناسبات الدينية- لأنه كلام حاسم، ويهدف إلى الحسم في المنازعات بين الفرقاء والخصومات السياسية والدينية..، ولا يهدف إلى مجرد التأثير في ذهن المخاطبين وحسب، بل التأثير في كيانهم كله، وتوجيه إرادتهم الوجهة التي تحقق إرادة المتكلم، ومن هنا فإن الخطاب لا بد أن يخاطب عقول المخاطَبين وعواطفهم في الآن ذاته حتى يؤتي فعاليته.[37]

ويلعب الخطاب الإعلامي دورًا مؤثرًا في بناء العلاقات الاجتماعية وتحديد الهويات الاجتماعية والثقافية، فهو عملية مستمرة ومعقدة تتفاعل فيها وعبرها قوى ومتغيرات محلية ودولية تعكس أوضاع المجتمع وثقافته والمرحلة التاريخية التي يعيشها، في هذا الإطار تلعب الأيديولوجيا دورًا مهمًا في التحليل النقدي للخطاب. فاللغة عبارة عن اختيارات أيديولوجية، كما أن الخطاب ممارسة ذات طابع أيديولوجي من حيث التكوين والتأثير، مع ملاحظة أن مدارس تحليل الخطاب

---

[34]- فمثلا أنشأت الولايات المتحدة إذاعة سوا، وأصدرت مجلة هاي، وقناة الحرة التلفزيونية، ووسائل الإعلام هذه باللغة العربية.
[35]- عبد الوهاب جعفر، *البنيوية بين العلم والفلسفة* (الاسكندرية: دار المعارف، د.ت)،39.
[36] - فوكو، *نظام الخطاب*، 9.
[37]-الحميري، *النص والخطاب*، 13-14.

استخدمت مفهومًا للأيديولوجية والسيطرة الأيديولوجية، إذ يتفق فان ديـك وروث، ووداك وفيركلاو، على أن ممارسة القوة في المجتمعات الديمقراطية الحديثة لم تعد تعتمد على الإكراه بالدرجة الأولى بل على الإقناع، أي أصبحت عملية أيديولوجية، ويرى فان ديك أن الأيديولوجية أطر تفسيرية، كما تعتبر أساسـاً لإدراك المواقـف الاجتماعية. ولا شك أن الاتفاق على فكرة الهيمنة عبر الإقناع وتحقيق إجماع وتعدد شكلي داخل المجتمع، أو ما يعرف بالهيمنة الناعمة، هو ما دفع مـدارس التحليـل النقدي للخطاب نحو الاهتمام بتحليل الخطاب، والخطاب الإعلامي، إذ يعكس ويجسد كل من المجال الإعلامي والخطاب الإعلامي عملية الصراع والهيمنة عبر الإقنـاع وتزييف وعي الجماهير.[38]

والايدولوجيا كما يصورها ماركس لم بعد علما ولكنها نوع من "تشويه الوعي" الذي يخفي تناقضات المجتمع فيعيد المجتمع إنتاج ذاته، ولا يتطابق جورج لاريـن مع ماركس بالمفهوم النقدي للأيديولوجيا، بل يركز على دورها في إعـادة انتـاج النظام الرأسمالي، ويركز على عمليات التحول الأيديولوجي التي تدعم صورة القوة والسيطرة الرأسمالية بوصفها نظاما كوكبيا، ولا يركز على العمليات الأيديولوجيـة في داخل حدود الدولة القومية أو الطبقة المسيطرة، فالايديولوجيا تشوه الفكر لإخفاء الواقع وأشكال السيطرة الطبقية وأشكال أخرى مـن القهـر العرقـي والسـيطرة الاستعمارية التي تؤثر على المرأة والأقليات وشعوب العالم الثالث.[39]

وحسب فوكو فإن المذاهب السياسية- كما الدينية والفلسفية- لهـا منطوقـات وقوالـب خطابية محددة، (عند الأتراك الجدد مثلا: الديموقراطية، صفر المشاكل، عالمنـا الإسـلامي، إخواننا العرب، التعاون بين الدول الإسلامية، التاريخ الواحد..) وأنها تسعى إلـى الانتشـار بواسطة الاستعمال المشترك لنفس المجموعة الواحدة من الخطابات، والشرط الوحيد المطلوب من أعضائها هو الاعتراف بنفس الحقائق وقبول قاعدة معينة مرنة للتوافق مـع الخطابـات المصادق عليها. ويربط المذهب الأفراد ببعض الألفاظ او المصطلحات المعينة من التعبيـر، ويحرم عليهم نتيجة لذلك كل الأنماط الأخرى، لكي يتم تمييزهم عن الآخرين. فالمذهب يحقق

[38]- شومان، *الخطاب الإعلامي*.
[39] - لارين، *الأيديولوجيا والهوية الثقافية*، 17.

إخضاعا مزدوجا: إخضاع الذوات المتكلمة للخطابات، وإخضاع الخطابات لجماعة الأفــراد المتكلمين، ولو كانت جماعة ضمنية على الأقل.[40]

ولو أردنا إسقاط هذا الطرح على موضوع دراستنا هذه، لرأينا أن ثمة قيودا أو قوالــب ومحددات معينة للخطابات التي يستخدمها القادة الأتراك، تطال حتى أردوغان نفســه، تلــك الحدود المستمدة من التوجه العام لحزب العدالة والتنمية المسكون بفكرة العثمانية، التي يحاول من خلالها أن يتصالح مع الشرق دون أن يصطدم مع الغرب، وأن "يؤســلم" الــبلاد دون أن يصطدم مع العلمانية.. وعود على بدء فأن أردوغان– حسب علم الخطاب– ورغم أنه يترأس الحزب، إلا أنه يبدو مُسيّر أو تابع لمؤسسة الحزب أو خاضع لسلطة الخطاب التــي أنتجــت سلطته ومؤسساته ومكانته المرموقة على الصعيد المحلي والعربي – الإسلامي، وبهذا فهو لا يستطيع الخروج من الدائرة او المحيط الخطابي للحزب عامة، كما ويمارس قــادة الحــزب خطاباتهم وسياساتهم المختلفة ضمن الحدود والقيود العامة التي رسمها الحزب لنفسه، ومن هنا تتحقق فكرة أن الأشخاص هم منتجات المؤسسات الخطابية.

40 - فوكو، *نظام الخطاب*، 33.

الفصل الأول: الخطاب القديم.. وفصول القطيعة بين العرب والأتراك.

بما أننا أطلقنا على دبلوماسية وسياسات تركيا الجديدة تجاه العالم العربي "الخطاب الجديد"، فهذا يعني بالضرورة أن ثمة خطاب قديم لتركيا، وليتسنى لنا إدراك حجم الفجوة وسعة المساحة بين ما كان عليه خطاب تركيا قبل نهاية الألفية الثانية وما بعدها. فإننا قبل أن نتعمق فيما أسميناه بالخطاب الجديد، سنعرج على ذلك الخطاب القديم، الذي نقصد به حالة القطيعة بين الجانبين، والعلاقات المضطربة والمتوترة التي كان يشوبها بعض التحسن أحيانا مع العالم العربي، ومن هنا سنحاول في هذا الفصل بشكل موجز، استعراض أهم محطات التوتر والعلاقات السلبية بين تركيا والعالم العربي، والتي وصلت أحيانا إلى حد النظر إلى الآخر على أنه العدو اللدود، بل ومساهمة تركيا في الغزو الغربي ضد العراق عام 1991، كما وصل الأمر بتركيا أن أوشكت على غزو بلد عربي عسكريا عام 1998 وهو سوريا، عدا عن أنها شيدت حلفا من أكثر التحالفات متانة مع العدو التقليدي للعرب، وهو إسرائيل. وفي ما يلي أهم ملامح الخطاب القديم، ومحطات الجفاء والقطيعة والتأزم في العلاقات بين العرب والأتراك منذ قيام الجمهورية التركية أواخر عام 1923.

تقول المؤرخة الأمريكية "ماري ملزباتريك" والتي قضت نحو 60 عاما من عمرها في تركيا قبل أن تعود لبلدها برحيل آخر خليفة عثماني وإلغاء السلطنة والخلافة، واصفة بعض ملامح الجمهورية الجديدة:"... وبعد قليل تبدلت الأحوال في تركيا تبدلا فجائيا غير منتظر، فأصبح الدين اعتقادا شخصيا وأغلقت المدارس الدينية، واستعيض عنها بفرع خاص بالجامعة التركية. وكذلك انقلبت المحاكم الشرعية إلى محاكم مدنية، وعُدلت قوانين البلاد، فأخذت الحكومة القانون الجزائي من إيطاليا والمدني من سويسرا والتجاري من ألمانيا، وأصبح الزواج مدنيا، كما منع تعدد الزوجات..."[1]

وقد تحدثت الدراسات التاريخية كثيرا عن سياسات أتاتورك العدائية تجاه العرب والمسلمين، ففي 3 آذار 1924 قرر البرلمان التركي خلع الخليفة وإلغاء الخلافة، ونفي جميع أفراد الأسرة العثمانية الحاكمة من الأراضي التركية. وقد صُدم العرب بإزاحة الخلافة، التي كانت تمثل رمزا دينيا وعقائديا، وقاسما مشتركا بين العرب والأتراك وكافة الأعراق في الدولة العثمانية، ولم يكن للعرب حول ولا قوة

[1]- ماري ملزباتريك، *سلاطين بني عثمان*(بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1986)، 205.

حينها إزاء سياسات أتاتورك الذي بات متنفذا في البلاد. وفي تشرين الثاني 1925، غدا لبس الطربوش جريمة يعاقب عليها القانون، واستبدل بالقبعة الغربية. كما ألغى أتاتورك الطرق الصوفية، وحلَ المجالس الدينية للدراويش وحلقاتهم، ومنع زيارة المقابر والأماكن الدينية.[2]

وتشير دراسات إلى أن أتاتورك قد أصدر قرارا بإلغاء فريضة الحج، بحجة توفير الأموال التي تنفق على الحج لصرفها في بناء المجتمع التركي، كما فرض "السفور" على النساء، وحارب الحجاب، وفرض الزّي الأوروبي على الرجال.[3] وقد كانت سياسات أتاتورك تمس الجذور الثقافية للأتراك، وتسعى لتشكيل إطار ثقافي جذري جديد لمواطني الجمهورية الجديدة، وقد طبق ذلك بإلغاء منصب شيخ الإسلام، والمحاكم الشرعية، ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية، والكتاتيب وغيرها من مؤسسات صنع الثقافة العامة.[4] وقد تجلى الخطاب القديم "لتركيا أتاتورك" على الصعيد الديني بوضوح، في خطاب للزعيم التركي "أتاتورك" في مجلس الأمة عام 1937 قال فيه "ان تركيا الرسمية لم تعد تلتفت إلى الإيمان بالغيب، وإلى ما يُظن أنه كتب سماوية."[5] نلحظ من خلال هذه السياسات الكمالية أن الرجل كان يحاول فك ارتباط تركيا الوثيق ليس مع العروبة وحسب، بل ومع كل مظاهر الإسلام، وكل ما له ارتباط بالإسلام كدين ونظام وحضارة، وعادات وثقافة سائدة أيضا، باعتبار أنه نابع من بلاد العرب.

ومع بداية عام 1926 بدأت تركيا العمل بالتقويم الميلادي المستخدم في الغرب، وألغي العمل رسميا بالتقويم الهجري الإسلامي، والأجهزة الحكومية العثمانية المختصة به، وفي عام 1928 أعلن أتاتورك إجراءات تقضي بإلغاء مادة (الإسلام دين الدولة التركية)، كما استخدمت الحروف اللاتينية الجديدة في الكتابة بدلا من الحروف العربية في العام ذاته، وفي عام 1935 جرى تبديل يوم العطلة الأسبوعية من الجمعة– الذي له قدسية في الدين الإسلامي– إلى عطلة نهاية الأسبوع الأوروبية وهي يوم الأحد. رغم أن يوم الجمعة لم يكن تقليدا يوم عطلة وحسب عند المسلمين، بل أنه يوم سوق وتجمع وحركة وعبادة... واجتاز أتاتورك هذا الحد بإصداره أمرا بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية، كما أجبر المؤذنين

[2]- وليد رضوان، *العلاقات العربية التركية* (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2006)، 75.
[3]- محمد طه الجاسر، *تركية ميدان الصراع بين الشرق والغرب* (دمشق: دار الفكر، 2002)، 265 و255.
[4]- كرامر، *تركيا المتغيرة*، 20.
[5]- هدى درويش، *الإسلاميون وتركيا العلمانية* (القاهرة: دار الآفاق العربية. 1998)، 5.

على الأذان باللغة التركية، والمصلين على الصلاة بالتركية أيضـا.[6] كمـا ألغيـت مقررات اللغة العربية في المدارس، وألغيت دروس العلوم الإسلامية،[7] حتى لا يبقي ثمة أي صلة ثقافية أو حضارية بالعرب ولغتهم وحضارتهم.

كان "القوميون" الأتراك في تلك الفترة يرون أن التخلص من التـأثير العربـي شرطا ضروريا للتمكن من تشكيل ثقافة تركية مستقلة، كما افترض المثقفون الأتراك وجود ارتباط بين ثقافة الأتراك قبل الإسلام وبين الحداثة، وعملـوا علـى تجـاوز الموروثات السلجوقية– العثمانية التي من المفترض أنها قد تطورت في ظـل هـذا التأثير العربي، ورغم طول هذه المدة التي تزيد عن ثمانية قرون، إلا أن المثقفـين القوميين الأتراك سعوا إلى إسقاط هذه الحقبة "المظلمـة" بوصـفهم، مـن فكـرهم وتاريخهم لارتباطها بالعرب، الأمر ذاته تقريبا قام به بعـض القـوميين المثقفـين العرب– الذين نشؤوا في ظل نظام تعليمي وضعته الإدارات الاستعمارية– عنـدما اعتبروا العهدين السلجوقي والعثماني حقبة تاريخية ساقطة من سجل تاريخ العرب.[8]

ومع تولي "عصمت إينونو" رئاسة الجمهورية التركية عام 1938، عقـب وفـاة سـلفه مصطفى كمال أتاتورك، دخلت العلاقات التركية– السورية فصلا داميا بعد إعلان تركيا عـن ضمها لواء اسكندرون السوري إلى أراضيها، والذي بقي طوال العهود التاريخية منذ الفـتح الإسلامي وحتى سلخ اللواء عام 1939 تابعا لولاية حلب، ورغم أن إينونو مشى على منوال سياسة أستاذه أتاتورك داخليا وخارجيا، والتي تتلخص في جملة واحدة (سلام في الداخل، سلام في الخارج)،[9] إلا أن تركيا كسرت "عزلتها" المصطنعة، ومضت في استيلائها على اللواء ذي الأكثرية العربية، وذلك بتواطؤ واضح من فرنسا التي كانت تستعمر سوريا وقتها. ولعل هذا ما يفسر مبالغة الدراما السورية في إظهار الصـورة السـوداوية للحقبـة العثمانيـة ضـمن مسلسلاتها التلفزيونية ووسائل إعلامها لغاية تحسن العلاقات بين البلدين مـع بدايـة الألفيـة الثالثة، حيث لا زالت سوريا متمسكة بحقها في استرجاع اللواء، رغم إغماض سوريا لعينهـا قليلا عن هذه القضية منذ تحسن العلاقات مع أنقرة.

---

[6]- رضوان، *العلاقات العربية*، 76.
[77]- درويش، *الإسلاميون وتركيا*، 5.
[8]- أحمد داوود أوغلو، *العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية*. ترجمة: ثلجي، محمد جابر وطارق عبد الجليل. الطبعة 1. (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2010) 442.
[9]- رضوان، *العلاقات العربية*، 81

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وجدت تركيا نفسها أمام خيارين لم يكن الخيار العربي ثالثهما، وهما إما المعسكر الغربي، أو المعسكر الشرقي، ثم انحازت تركيا- لعوامل عديدة- للمعسكر الغربي، وحصلت كثمن لذلك على عضوية بحلف شمال الأطلسي عام 1952، والذي كان يهدف إلى تقييد حلف وارسو، وتقليص المد السوفييتي الذي كان في أشد المنافسة مع الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين على النفوذ العالمي.[10] وبعيد قيام إسرائيل عام 1948، كانت تركيا من أوائل الدول التي اعترفت بها، في 28 آذار 1949، وعززت تركيا اعترافها بإسرائيل بخطوة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي افتتاح سفارة لها في تل أبيب، في 9 آذار 1950، بينما التحق أول سفير تركي بمركز عمله في إسرائيل عام 1952.[11] الأمر الذي أثار حفيظة العرب، وزاد من حنقهم على تركيا وسياساتها تلك، وجاءت هذه الخطوات قبل أن تدخل تركيا في حالة زواج كاثوليكي مع إسرائيل، تجلى في الحلف العسكري المتين الذي شُيّد بين البلدين، والمستمر حتى اللحظة.

وكان "وايزمان" أول رئيس إسرائيلي يقوم بزيارة لأنقرة في 2\12\1995.[12] وفي شباط 1996 عقدت تركيا اتفاقا للتعاون العسكري مع إسرائيل، من خلال أطروحة "النظام الشرق أوسطي"، على نحو يضمن لتركيا دورا إقليميا بارزا ومؤثرا، وبما يخدم مصالحها في المنطقة والعالم، ويتيح لإسرائيل وأمريكا هامشا أكبر من المناورة والضغط على الدول العربية المشاركة في عملية التسوية. وقد بررت تركيا موقفها هذا بالقضاء على حزب العمال الكردي، واحتواء العراق وردع سوريا، والخوف من الحركة الإسلامية المتنامية فيها.[13]

وقد تطورت العلاقات التركية بإسرائيل تدريجياً إلى أن وصلت إلى اتفاق التعاون الاستراتيجي والعسكري عام 1996 ، في محاولة من كِلا الجانبين إلى الاستفادة من إمكانات الآخر، وتحقيق المصالح الذاتية لهما على حساب الأمن القومي العربي. الأمر الذي انعكس سلباً على السلوك السياسي التركي والإسرائيلي تجاه دول المنطقة، وعمل على تعميق الخلاف التركي- العربي.[14] ورغم أن الكتاب الأتراك، يبررون حسن العلاقة التركية بإسرائيل، "بأن تركيا كانت مجبرة على الإبقاء على تلك العلاقة سليمة بسبب التأثير الأمريكي الكبير في هذا الاتجاه، باعتبار أن العلاقات التركية الأمريكية متينة، وبينهما تعاون عسكري، وبسبب ارتباط

---

[10]- محمد عبد العاطي، *تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج*، الطبعة1. (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2009)، 133

[11]- رضوان، *العلاقات العربية*، 108.

[12]- الداقوقي، *صورة الأتراك*، 10.

[13]- محمد، *العلاقات التركية- الأمريكية*،56.

[14]- يسري الغول، أثر صعود حزب *العدالة والتنمية التركي على العلاقات التركية – الإسرائيلية* (غزة: رسالة ماجستير قدمت لجامعة الأزهر، 2011)، 47.

المساعدات الأمريكية لأنقرة بالكونغرس الأمريكي، وضرورة موافقته عليها"[15] إلا أن هـذا المبرر لم يكن مقنعا بالنسبة للعرب، ولم يجعل من التعاون ومن العلاقة التركية الإسـرائيلية المتينة أمرا طبيعيا أو مقبولا. وعلى امتداد الحرب الباردة كانت تركيا جزءا لا يتجزأ مـن المنظومة الغربية وامتدادها الإسرائيلي في منطقة الشرق الأوسط، وقد كان الـدور التركـي فاعلا، لكن من زاوية سلبية ضد شعوب المنطقة وتياراتها القومية والإسـلامية والتحرريـة. وليس وقوف تركيا في الأمم المتحدة ضد استقلال الجزائر وتحررها من الاستعمار الفرنسـي في مطلع ستينيات القرن العشرين، سوى العنوان الأكثر فجاجة في هذا التوجه. [16]

وفي المجال الثقافي الديني، وبناء على سياسات تركيا هذه، "فقد تشكلت فجوة دينية– ثقافية بين العرب والأتراك، انعكست على التيارات السياسية المختلفة التي نشأت فيها، تحديدا بعـد بروز التيار القومي الراديكالي في تركيا، تزامنا مع نشاط التيار الديني التقليدي فـي الـبلاد العربية، وقد دفعت تلك الفجوة الأتراك دائما لاتهام العرب بمسـاندة "الإرهـاب الإسـلامي الأصولي" ضد تركيا العلمانية، في حين قامت التيارات القومية العربية، والإسلام السياسـي، بوصف تركيا بدولة اليهود التي تأتمر بأوامر واشنطن وتل أبيب. وقد انعكست آثار هذا الفرز السياسي على صعيد سياساتهما الدولية في مجال علاقاتهما الخارجية، وعلى صعيد علاقاتهما في مجالات الأمن القومي والتنمية الوطنية والمكانة الثقافية، وهذا أدى بالتالي لتكوين صورة نمطية سلبية لدى الطرفين عن الآخر،"[17] لا تزال بقايا آثارها عالقة في الأذهان حتى اليوم.

يقول د. أحمد داوود أوغلو وزير خارجية تركيا محاولا وصف وتفسير سبب التباعد المستمر بين تركيا والعرب، ونظرة النخب التركية السلبية للعرب: "أن التراكمات الثقافية للتأثير العربي، مثلت بالنسبة للنخب التركية قوة تعطيل، ورأت تلك النخب استحالة القيام بالتحديث ما لم يتم تخليص تلك التراكمات الثقافية من تأثير الجغرافيا التي ولدتها (أي البلاد العربية)، ولذا أصبحت صورة الشرق الأوسط لدى النخب التركية مرادفة للتخلف الواجب التحرر منه ثقافيا، وساحة مخاطر عسكرية– سياسية يتحتم الابتعاد عنها قدر الإمكان،.. وقد تم التعبير عن هذا التوجه التركي بشكل أدبي في رواية "جبل الزيتون" لفالح رفقي، في صيغة المثل الشعبي القائل: (لا

[15]- أكمل الدين إحسان أوغلي وآخرون، *العلاقات التركية العربية (من منظور تركي)* ترجمة: فتحي النكلاوي وآخرين. الطبعة 1. (اسطنبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1993)، 323 .
[16]- عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*، 134.
[17]- الداقوقي، *صورة الأتراك*، 12.

ترني وجه العربي، ولا حلوى الشام)، وهكذا أصبحت تركيا غريبة عن ثقافة المنطقة وسياستها، وانسلخت عنها".[18]

ومع انتهاء الحرب الباردة وانهيار المعسكر الشيوعي السوفييتي، تردد في بعض الأوساط الدولية أن أهمية تركيا الإستراتيجية بدت في تراجع وتحديدا بالنسبة للغرب، بسبب اندحار "الخطر" والمنافسة السوفييتية للغرب،[19] إلا أن الرئيس التركي الأسبق تورغوت أوزال، حاول دحض هذه "الإدعاءات" في تصريح له في 16 شباط 1991 قائلا:

"من منطلق التصور القائل أن أهمية تركيا الإستراتيجية بالنسبة للغرب سوف تنخفض بعد تفكك حلف وارسو، بدأت أوروبا تضغط على تركيا في مسائل قبرص وحقوق الإنسان وغيرها، لكن أزمة الخليج قد أتاحت فرصة طيبة لدحض هذا التصور غير الدقيق.." خطاب الولاء التركي للغرب تجلى أيضا في حديث لمسؤول تركي أخر، وهو رئيس الأركان العامة الأسبق نجيب تورمتاي في 19/10/1990 حيث ذكر "أن أزمة الخليج عبرت بوضوح عن حساسية وأهمية الوضع الجيوسياسي والاستراتيجي لتركيا، التي ستواصل دورها الحيوي في المنطقة، وستظل في وضع يمكنها من مجابهة التهديد الموجه إلى حلف الأطلسي من جناحه الجنوبي، وستؤدي تركيا دورا حيويا في التغلب على المشكلات التي تواجه الحلف". [20]

ومن هنا فقد وجدت تركيا فرصة جديدة ومنفذا آخر لتعزيز علاقاتها مع الغرب بزعامة أمريكيا، من خلال انخراطها في الحرب ضد العراق ومساعدة القوات الغازية وفتح أجوائها وأراضيها لها، الأمر الذي دفع بالرئيس الأمريكي جورج بوش الأب حينها إلى الثناء على تركيا وتثمين دورها قائلا:" إن تركيا قوة رئيسية في إستراتيجيتنا إزاء الخليج، وكانت المعتمد لسياستنا في البحر المتوسط، وبدون الدعم التركي ليس ممكنا المحافظة على مصالحنا في الخليج، ولا يمكن الإبقاء على الدعم الدولي للعقوبات المفروضة على العراق في القرن القادم".[21] خطاب لا شك أنه يدل على مدى إخلاص تركيا في ولائها للغرب حتى ضد بلد عربي مجاور كالعراق، كما يدل على مدى اهتمام أمريكا وحلفائها في الحفاظ على هذا الولاء.

---

[18]- أوغلو، *العمق الاستراتيجي*، 444.

[19]- هشام عبد العزيز، "مشروع أنابيب مياه السلام التركي والمواقف العربية منه" *المنارة*، المجلد 14، العدد 2 (2008): 251.

[20]- محمد، *العلاقات التركية الأمريكية*، 42.

[21] - المرجع السابق، 44.

تغيرت ملامح هذا الخطاب الأمريكي قليلا بعد نحو ثماني سنوات، من حرب الخليج الثانية مع مزيد من الضغط على تركيا من قبل الإدارة الأمريكية بعدما بدأت تظهر بشكل أوضح ملامح التغيير في تركيا. لكن خطاب الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، في البرلمان التركي في 15/10/1999عن أهمية تركيا ودورها كجسر بين العالمين الغربي والإسلامي، "لأنها بموقعها يمكن أن تكون جسرا ديمقراطيا أو مصدرا لعدم الاستقرار في المنطقة، وأنها ستحدد مصير العالم في القرن القادم، لأن ثمة عشر قضايا دولية لا يمكن حلها بدون مساهمة تركيا".[22] يعكس هذا توجس أمريكي من التحول في تركيا، التي لم تعد كتلك التي عُرفت في أوج المواجهة بين حلفي وارسو والناتو، وما استخدام كلنتون للفظ (جسر بين العالمين الغربي والإسلامي)، إلا إشارة على ذلك، فمنذ متى كانت الولايات المتحدة تريد تركيا غير غربية؟.

تواصلت فصول قطيعة وعداء تركيا للعرب، وعدم المبالاة بمصالحهم، وقد ظلت قضية الخلاف على المياه بين تركيا من جهة وسوريا والعراق من جهة أخرى، تُطل برأسها عند كل منعطف بين الجانبين، ولاسيما عندما أعلنت تركيا صراحة أنها تنوي تنفيذ مشروع الغاب، وهو زراعي كهربائي ضخم يضم 22 سدا، ويستهلك كميات كبيرة من المياه التي يفترض أن تصل إلى البلدين عبر نهري دجلة والفرات، مما يعرض مشروعات الري وتوليد الكهرباء في البلدين للخطر. حيث "سيؤدي المشروع إلى خفض إمدادات نهر الفرات بنسبة 40 % إلى سوريا و75% إلى العراق".[23] حيث تسعى أنقرة للإنفراد بمياه النهرين، رغم أنهما ثروة مائية مشتركة مع جارتيها. ولم ينجح تشكيل لجنة ثلاثية "سورية عراقية تركية" عام 1983بتحقيق الهدف المطلوب، أي اقتسام عادل لمياه النهرين، بسبب التشدد التركي وقتها، والإصرار على مشروع الغاب.[24] فبينما كانت تركيا ترى أن من حقها الطبيعي الاستفادة من مياه النهرين "التركيين"، ولا يحق لأحد أن يقرر كيفية ذلك، ظلت سوريا والعراق تصران على أن النهرين هما نهران دوليان، ولا يحق لتركيا أن تقيم ما تشاء من مشاريع دون التوافق معهما.[25]

ومن أخطر المحطات في علاقات تركيا بالعرب، تلك الأزمة التي انفجرت بين تركيا وسوريا عندما قام الموساد الإسرائيلي بنقل وثائق وصور ملتقطة عبر الأقمار الصناعية إلى السلطات التركية في أيلول 1998، تكشف عن معسكرات لحزب العمال الكردستاني داخل الأراضي السورية، وتظهر زعيمه عبد الله أوجلان خارجا من شقة في حي بدمشق، وعندها

---

[22]- الداقوقي، *صورة الأتراك*، 370.
[23]- الغول، *أثر صعود حزب*، ص30.
[24]- محمد، *العلاقات التركية الأمريكية*، 46.
[25]- نور الدين، *تركيا الصيغة والدور*، 155.

أعلنت تركيا على لسان الرئيس سليمان ديميريل، في خطاب شديد اللهجة في 1/10/1998، أن صبرها على سوريا قد نفد بسبب مساندتها لإرهاب حزب العمال الكردستاني، وأنه يتوجب عليها طرد أوجلان ووقف كافة المساعدات لمنظمته، وإلا فإن تركيا ستتخذ كل الإجــراءات لحماية أمنها واستقرارها.[26] وبعد هذا التهديد بأيام، ما لبثت الحشود العســكرية الكبيــرة أن انتشرت على امتداد الحدود مع سوريا، وهنا اقتنعت سوريا بأن أنقرة جــادة فــي قرارهــا، وخشيت من مؤامرة لتوريطها بحرب على جبهتين، خصوصا أن غالبية قواتها منتشرة باتجاه الحدود مع إسرائيل، لذلك اضطرت لطرد أوجلان.[27] لكن اللافت هنا أن توتر العلاقــة بــين سوريا وتركيا كاد أن يصل إلى الغزو العسكري والحرب، وهو أمر بالغ الخطورة، لدرجة أنه لم تصل العلاقات بين الجانبين لهذا المستوى منذ تأسيس الجمهورية التركية الجديدة.

بين الخطابين القديم والجديد

إن التحول الإيجابي في نظرة تركيا وعلاقاتها مع العرب لم يكن وليد قدوم حزب العدالة والتنمية بشكل فوري ومفاجئ، رغم دور الحزب الكبير في ذلك. فبوادر التحولات الإيجابيــة لتركيا تجاه العرب، وملامح الخطاب الجديد بدأت تطفو على السطح منــذ انتهــاء والحــرب الباردة، وتراجع الأهمية الإستراتيجية لتركيا بالنسبة للغرب، ثم تصاعد الإســلام السياســي داخليا، والتدهور الاقتصادي في البلاد..، ورغم أن عقد التسعينيات قد حــوى بــين جنباتــه محطات خطيرة في علاقات تركيا بالعرب، كالتهديد بالغزو العسكري لسوريا عــام 1998، وقبله المشاركة في الحرب على العراق عام 1991. إلا أن هذا العقد قد مهد طريقــا جيــدا، وأرضية خصبة للتقارب مع الأقطار العربية. حيث بدأت تظهر بعض التصريحات والمواقف التصالحية للقادة الأتراك وقتها تجاه العرب.

ففي عام 1991 خطا رئيس الجمهورية تورغوت أوزال خطــوة إيجابيــة عنــدما أدى فريضة الحج كأول رئيس للجمهورية التركية (العلمانية) يقوم بذلك.[28] وقد شهدت فترة حكــم أوزال هامشا ملحوظا من التطور في العلاقة. حيث جاءت مرحلة الصحوة في تركيــا علــى الصعيدين السياسي والاقتصادي في عصره، وانفتحت تركيا على العالم الخارجي، وجعلــت نظامها السياسي والاقتصادي في تواصل مع المجتمع الدولي.[29]

---

[26]- الداقوقي، *صورة الأتراك*، 367.
[27]- كرامر، *تركيا المتغيرة*، 216.
[28]- الداقوقي، *صورة الأتراك*، 362.
[29]- أحمد أويصال، "صعود تركيا والربيع العربي،". *مجلة البيان* - التقرير الاستراتيجي التاسع (2012)، 296

وعلى وقع الأزمة الناتجة عن غزو العراق للكويت عام 1990، شد رئـيس الـوزراء التركي ييلديرم اقبولوط رحاله إلى بغداد في 16\10\1990، في محاولة لاحتواء الأزمة بين البلدين، وإقناع العراق بسحب قواته من الكويت، غير أن الرئيس العراقي صدام حسين وقتها استقبل "اقبولوط" بجفوة وعنفه قائلا "إن حلف الأطلسي لم يعد حلفا فاعلا، فإن لم تقوموا بتنفيذ ما نطلبه منكم فمن ذا الذي سينصركم.."[30] أمرٌ فهمته أنقرة على أنه تهديد عراقي لها، وبدأت هواجس خوف وريبة تدب في قلوب الأتراك من جارهم الذي تتصاعد قوته في المنطقة. ولعل هذا ما يفسر تعاون تركيا مع التحالف الغربي ضد العراق في حرب الخليج الثانية. لكن مـا يفهم من خلال هذا السلوك التركي أن تركيا أرادت أن تتدخل في شؤون الجوار، بعـد نهـج اللامبالاة في الشؤون العربية الذي عكفت على انتهاجه.

ولم تقتصر ملامح التقارب مع العرب مع مشرقهم، ففي المغرب العربي أيضـا بـدأت ملامح التقارب تطفو على السطح، حيث زار الرئيس التركي سليمان ديميريل وفريـق مـن رجال الأعمال، البلدان العربية الإفريقية في خريف 1998، ولدى وصوله إلى الجزائر فـي أول زيارة لرئيس تركي منذ استقلالها، أشاد (ديميريل) بالعلاقات التاريخيـة بـين الأتـراك والعرب قائلا:

"لقد وصل الأتراك إلى هذه المناطق لحمايتها من ظلم الإسبان الذين شـنوا حربـا شعواء ضد العرب والمسلمين فيها، وإذا كانت علاقات العثمانيين بالعرب في شمال إفريقيا تتسم بالأخوة والتعاون والتضامن في تلك الفترة، فإن مصالح المسلمين اليوم تقتضي تقوية علاقاتهم بشكل أفضل عن طريق التبادل التجاري وإنشاء المشـاريع الاقتصادية المشتركة، ويمكننا القول اليوم بأن مقدار التبادل التجاري بـين العـرب والأتراك قد بلغ خمسة مليارات دولار".[31]

ورغم أن الفترة التي قال فيها الرئيس ديميريل هذا الخطاب ليست ذات الفترة التي أطلقنا عليها فترة العثمانيين الجدد، وفترة الخطاب العثماني الجديد التي حددناها في دراستنا هذه بما بعد عام 2002، إلا أن غالبية ملامح الخطاب العثماني الجديد الواردة في الفصل الثالث مـن الدراسة تتجلى في هذا الخطاب، وكأن تركيا كانت تمهد الطريق وتحـدد ملامـح سياسـاتها الخارجية الجديدة من قبل، فخطابه كان تاريخيا عندما أشاد بالعلاقات التاريخية بين العـرب

[30]- الداقوقي، *صورة الأتراك*، 364.
[31]- الداقوقي، المرجع السابق، 368.

والأتراك، وإسلاميا وتعاونيا عندما تحدث عن ضرورة التعاون بين المسلمين وتقوية العلاقات بينهم والبحث عن مصادر القوة، وقد كان خطابه اقتصاديا عندما تحدث عن ضرورة زيـــادة حجم التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري بين البلدان العربية والأتراك، يوضح هذا أنه قــد سبق العثمانية الجديدة مقدمات، وعوامل مساعدة كثيرة، قبل أن يصل العدالة والتنمية للحكـــم ويبدأ بجمع هذه الأوراق المتناثرة، ويستغل الظروف الملائمة لبناء مشروعه العثماني الجديد.

إن مظاهر حالة التحول الإيجابية في سياسات تركيا تجاه العرب كانت متلازمة مع نشاط الإسلام السياسي فيها، وما جهود حزب الرفاه الإسلامي لــربط تركيــا بعالمهــا الإســلامي والعربي، وابتكاره لمشروع الدول الاقتصادية الإسلامية الثمانية إلا دليل على ذلك. حيث عقد في 15\6\1997 في اسطنبول اللقاء التأسيسي للمجموعة الاقتصـــادية لأكبــر ثمــان دول إسلامية، وجعل أربكان في يوم 29 أيار من كل سنة، مؤتمرا إسلاميا يضم قيــادات العمــل الإسلامي في العالم، لمناقشة أوضاع وقضايا المسلمين، وقد أصبح المؤتمر لاحقا مجموعة من اللجان التربوية والسياسية والطلابية والاقتصادية والإستراتيجية، حيث كان أربكــان يعتبــر اسطنبول التي كانت عاصمة للخلافة، تستطيع اليوم أيضا أن تساهم بحلّ قضايا المسلمين.[32]

وقد كان مشروع أنابيب السلام الذي كانت تركيا تعتزم القيام به، واحدا من أهم المشاريع الاقتصادية التي تدل على اهتمامها بمنطقة الشرق الأوسط. والذي كان يقتضي نقــل الميــاه الفائضة عن حاجة تركيا من نهري (سيحان وجيحان) عبر أنابيب طويلة إلى الدول العربيــة المشرقية. لكن باحثون رأوا أن تركيا لم تكن تسعى من وراء طرح المشروع إلــى تعزيــز التعاون مع العرب، وإنما تحقيق عدة أهداف منها الاقتصادية والسياسية، كبيع مياهها والسعي لطرح مبدأ مبادلة المياه التركية بالبترول العربي. ورغبة تركيا في تقوية نفوذهــا سياســياً، وتدعيم هيمنتها الإقليمية، مقابل إضعاف الأطراف العربية والإسلامية فيها.[33]

ومن الناحية الأخرى النقيضة، فإن عقد التسعينات، الذي بدأت تتضح فيه ملامح التحسن في العلاقة مع العرب، قد شهد أيضا أقوى العلاقات بين تركيا وإسرائيل، حيث زارت رئيسة الوزراء التركية تانسو تشيلر إسرائيل عام 1994. ثم زار الرئيس سليمان ديميريل إســرائيل عام 1996، وقد وقع الاتفاق العسكري الاستراتيجي بينهما في ذات العام، وقد تم تدعيم هــذا

[32]- مصطفى محمد الطحان، "حزب العدالة والتنمية، رؤية من الداخل،" *مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية*. (2003\9\22)، http://www.asharqalarabi.org.uk/center/dirasat-h.htm
[33]- عبد العزيز، *مشروع أنابيب*، 249 و252.

التعاون باتفاقات لاحقة زادت عن 14 اتفاقا (كاتفاق 1996/8/28 بشأن مشروع تحديث طائرات "الفانتوم" التركية). واتفاق 1997/4/8 بشأن تقدير مخاطر إيران وسوريا على البلدين.[34] عدا عن العلاقات الاقتصادية التي تطورت كثيرا في نفس الفترة أيضا.

عموما، إن تطورات تسعينيات القرن العشرين شكلت بداية تحول في السياسات التركية من بعض القضايا، فالأحداث في البلقان والمجازر في البوسنة وكوسوفا خلقت مزاجا تركيا إسلاميا في العمق، وقوميا ضد سياسات الغرب المتساهلة مع جزاري البوسنة من الصرب، ومن ناحية أخرى فإن حرب الخليج الثانية، التي أفضت لاحقا إلى نشوء كيان كردي يتمتع بكل خصائص الدولة المستقلة، خلق شكوكا بين أركان النظام التركي ومؤسسته العسكرية، من نوايا الغرب وما يخططون له.[35]

ومن هنا فقد كان لعقد التسعينيات دورا مهما في تعبيد الطريق التركي إلى العواصم العربية، وترسيخ جسور التواصل السياسي الاجتماعي الاقتصادي الثقافي معها، في عهد حزب العدالة والتنمية، الذي وجدت حكومته بدورها كل الظروف ملائمة، لبدء العمل في مشروعها العثماني الجديد، الذي سيمنح تركيا موقعا مرموقا في الساحة الدولية، ويعيد لها شيئا من هيبتها التي فقدتها منذ عقود، والتي تحولت تركيا بعدها إلى أشبه ما تكون بموظف أو أداة من أدوات الغرب في المنطقة.

---

[34]-رجب الباسل، "دور تركيا في القضية الفلسطينية،" *مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات* (2011).
[35]- عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*، 135.

الفصل الثاني: كيمياء تركيا، سياساتها، تحولاتها.

حتى يتسنى لنا فهم محددات السياسة والخطاب التركيين الخارجيين، لا بد لنا من إلقــاء نظرة مقتضبة على كيمياء تركيا وبنيتها الداخلية والعوامل المؤثرة والمتأثرة فيها، وتعقيــدات العلاقة بين الجيش والدولة والمجتمع، وذلك لأن الباحــث يفتــرض أن محــددات الخطــاب والسياسة التركية الخارجية الجديدة منبعها داخلي بالأساس، وبدرجة أقل التغيرات على الساحة الدولية والإقليمية، ويخالف الباحث بطرحه هذا طروحات كثير من الكتاب والبــاحثين الــذين يعتبرون أن العامل الخارجي هو المؤثر الأقوى في السياسات الداخلية والخارجية التركيــة.[36] ومن هنا لا بد من إلقاء نظرة عامة على التكوين المؤسسي والهيكلية في تركيا، وسيتم دراسة المعطيات التالية بإيجاز، كعوامل أثرت سلبا أو إيجابا في نشوء العثمانية الجديدة كما يلي:

أولا:- مؤسسة الجيش المتنفذة تخسر مزيدا من الصلاحيات

لقد أولى مؤسس الجمهورية التركية الجديدة "أتاتورك" مؤسسة الجيش أهمية بالغة، وصممها لتكون الحصن المتين، والحامية للنظام العلماني الذي رأى فيه وفي تغريب البلاد طوق النجاة، ووسيلة تنميتها وتطويرها، وفي المقابل رأى في عثمانية تركيا، وعلاقتها بالعروبة والإسلام سبب تخلفها وتراجعها. ومن هنا فقد لعب الجيش التركي دورا محوريا وأساسيا في مجمل الحسابات السياسية، وعلاقات البلاد الخارجية، وفي الكثير من الشؤون الداخلية للبلاد، التي حُكمت أكثر من مرة بحكم عسكري. حيث تدخل الجيش التركي بشكل مباشر من خلال أربعة انقلابات (ثلاثة منها عسكرية) خلال أقل من 40 عاما، لإسقاط حكومات مدنية منتخبة لأسباب مختلفة في مقدمتها حماية النظام العلماني. ومواجهة القوى الشيوعية والاشتراكية. وكان أول الانقلابات وهو الأكثر دموية عام 1960، وجاء الانقلاب الثاني في آذار 1971، بينما حدث الانقلاب الثالث في أيلول 1980، وكان آخر الانقلابات في عام 1997، والذي جاء نظريا واكتفى بالتلويح بالقوة، دون أن يستخدمها، بعد أن اضطر أربكان الى حل الحكومة التي يرأسها بضغط من الجيش.

وقد كانت الدساتير التي كان يصوغها قادة الانقلاب عقب كل انقلاب، تعزز من قوة الجيش على حساب المؤسسة المدنية، وتمنح الجيش صلاحيات واسعة للتدخل في كافة شؤون الحياة

[36] - عقيل سعيد محفوض، *جدليات المجتمع والدولة في تركيا: المؤسسة العسكرية والسياسة العامة*. الطبعة 1. (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2008)، الخاتمة.

السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولاسيما دستور عام 1982. الذي جعل أغلبية أعضاء مجلس الأمن القومي من العسكريين، وقد أصبح هذا المجلس مرتبطا بشكل مباشر بمختلف مؤسسات الدولة بما فيها الإذاعة والتلفزيون، والمجلس الأعلى للتعليم، وجهاز تخطيط الدولة، والمحافظات والوزارات، ويقوم بتوجيهها ويطلع على تقارير عملها، حتى السرية منها.[37]

حيث كان الجنرالات الأتراك يستمدون قوتهم من مصادر عدة، أهمها دعم كبار رجال الأعمال ووسائل الإعلام الكبيرة، التي تلعب دورا أساسيا في إعداد وتهيئة الشارع التركي للانقلابات العسكرية وبأساليب ذكية، إذ لرجال الأعمال الكبار بدعمهم للجيش مصالح مادية كبيرة في العلاقة معه، فأفراد الجيش قرابة مليون عسكري (مع الاحتياط)، ويحتاجون يوميا للكثير من الحاجات التي تكلف الدولة مليارات الدولارات، ومن ناحية أخرى "فإن واشنطن وعواصم دول (الناتو) الذين كانوا ينظرون إلى تركيا كحليف إستراتيجي في مواجهة حلف وارسو، لم يكونوا يتأخروا في دعم دور العسكر في الحياة السياسية، ودعم الجيش التركي– وقادته– حتى أصبح واحدا من أكبر الجيوش في المنطقة، الذين أثبتوا بدورهم (أي قادة الجيش) وفي العديد من المناسبات وفاءهم لواشنطن أكثر من أنقرة، ولعل هذه الحقيقة تفسر دور واشنطن في جميع الانقلابات العسكرية التي شهدتها تركيا حتى الآن."[38]

وبُعيد الانقلاب الذي أطاح بحكومة "أربيكان" عام 1997 بدأ الحديث يُتداول بقوة حول انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، الأمر الذي كان يحتم على أنقرة إجراء سلسلة من الإصلاحات في مجالات مختلفة وفق المعايير الغربية، حتى تكون مقبولة وتلبي شروط الاتحاد الأوروبي في الانضمام إليه. وبدأت حملة الإصلاحات التي سميت بالديمقراطية، بالتعديلات الدستورية والقانونية التي استهدفت سلطات وصلاحيات الجيش في الحياة السياسية، حيث نجحت حكومة "مصطفى أجاويد" ومن بعدها حكومة أردوغان في تمرير هذه الإصلاحات بفضل مرونة قائد الجيش السابق "حلمي أوزكوك"، المعروف عنه شخصيا تهربه من أي توتر أو مواجهة مع الحكومة بحجة أن ذلك ليس لخدمة المصالح الوطنية والقومية لتركيا.

[37]- عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*، 74.
[38]- مثال على ذلك أن واشنطن لم تتدخل لإنقاذ رئيس الحكومة عدنان مندريس، الذي أعدم بعد انقلاب عام 1960، رغم ما قدمه للغرب من خدمات جليلة، حيث تحولت تركيا في عهده إلى مخفر متقدم وإستراتيجي للحلف الأطلسي ضد الاتحاد السوفيتي والمد القومي العربي بقيادة عبد الناصر. ينظر: حسني محلي، "الجيش التركي.. انحياز مطلق للعلمانية." *الجزيرة نت*، (2007\8\29)، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/62F2B784-341B-4EC9-A70F-80C7BF26FA65.htm

وكانت مفاوضات الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي بمثابة حصان طروادة الأردوغاني، الذي امتطاه أردوغان لتحقيق برنامجه الإصلاحي، ورغم أن المؤسسة العسكرية كانت تدرك أن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي سيسحب الكثير من سلطاتها، إلا أنه لم يكن بإمكانها البوح بذلك، ولاسيما أن هذا مطلب قومي أتاتوركي، ومن هنا لم يكن بإمكانها معارضة إصلاحات العدالة والتنمية الذي قام فور وصوله للحكم باستصدار سبع حزم قانونية جديدة لتكون تعديلات دستورية، بهدف إعادة هيكلة المؤسسات، واستصدار تشريعات متوافقة مع متطلبات الاتحاد الأوروبي، وقد كانت الحزمة القانونية السابعة التي وافق عليها البرلمان في 30\7\2003، نقطة التحول الأقوى في العلاقة بين العسكريين والمدنيين في مجلس الأمن القومي وأمانته العامة، التي قلصت كثيرا من دور المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية. كما توالت التعديلات بعدها خلال فترة أردوغان،[39]

التي انحسر دود الجيش فيها الى ابعد الحدود، كما تقلص وجود العسكريين في مجلس الأمن القومي، واستغلت حكومة أردوغان هذه الإصلاحات لحسم مجمل التعديلات التي وضعت حدا نهائيا لدور العسكر في الحياة السياسية. حيث أصبح عدد أعضاء مجلس الأمن القومي 9 مدنيين مقابل 5 من العسكر بعد أن كان عدد المدنيين 4 منذ تأسيس المجلس قبل 70 عاما تقريبا، كما أن قرارات المجلس لم تعد ملزمة للحكومات كما في السابق، حيث أصبح الأمين العام للمجلس مدنيا ويتبع لرئيس الوزراء بعد أن شغل الجنرالات هذا المنصب لمدة 70 عاما، بالعلاقة المباشرة مع رئاسة الأركان التي لم تعد تملك أي صلاحيات في نشاط المجلس الذي بات يجتمع مرة كل شهرين بدل مرة بالشهر. كما وضعت التعديلات الدستورية الأخيرة تصرفات الجيش المختلفة تحت رقابة ومحاسبة البرلمان والأجهزة الدستورية، بعد أن تخلت القوى التقليدية عن موقفها الداعم للجيش وفي مقدمتها رجال الأعمال الكبار ووسائل إعلامهم الرئيسة، التي تستهدف الآن الجيش في أي محاولة من الجنرالات لعرقلة المسار الديمقراطي.

وقد طالت يد حكومة أردوغان ومن خلال المسار القانوني الدستوري مجموعة من الضباط العسكريين الذين كانوا يخططون لانقلاب على حكومته عام 2002، وتم اعتقالهم وإيداعهم السجن، ولا تزال التحقيقات والملاحقة لآخرين جارية حتى اليوم، وهذا أمر لم يكن ممكنا في السابق.

---

[39]- عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*، 77.

ويمكن القول أنه بنجاح حكومة العدالة والتنمية في الكشف عن منظمة "أرجَنَكون" الإرهابية، قد دقت آخر مسمار في نعش عهد الانقلابات، وقيدت، واستأصلت خطر المؤسسة العسكرية كليا على العملية السياسية والديموقراطية. وتعتبر قضية منظمة أرجنكون– وهي المنظمة التي كانت تخطط لتنفيذ أعمال إرهابية خطيرة، وتنفيذ اغتيالات وجرائم، والانقلاب على حكومة العدالة والتنمية– واحدة من أخطر القضايا في تاريخ تركيا الحديث، وقد كان على رأس هذه المنظمة اثنين من كبار جنرالات الجيش المتقاعدين، حيث كشفت التحقيقات التي أصرت الحكومة على إجرائها، عن فضائح كبيرة لمؤسسة الجيش، وقد وجه الادعاء التهمة رسميا إلى الجنرالات المتورطين بتزعم الجماعة. [40]

واستمرت فصول ملاحقة جنرالات وعناصر الانقلاب، الى أن تم اعتقال رئيس الأركان السابق في الجيش التركي، الجنرال "إلكر باشبوغ" بتهمة تشكيل تنظيم سري والتخطيط لانقلاب عسكري، على أجندة تركيا السياسية والمشهد الإعلامي، وهذه المرة الأولى التي يتم فيها اعتقال رئيس للأركان بتركيا على يدي محكمة جزاء عادية، اذ تمتع صاحب هذا المنصب في تركيا بمنزلة تفوق أحياناً قوة ومنزلة رئيس الوزراء في ظل حكم الوصاية العسكري، الذي بددته حكومة أردوغان.[41] وتلا ذلك محاكمة فعلية لكنعان إيفرين ورفيقه تحسين شاهين كايا في 2012\4\4، وهما منفذي الانقلاب عام 1980 الأكثر دموية، والذي كان من نتائجه اعتقال خلاله 650 ألف تركي، أدين 300 ألف منهم وحوكم 517 بالإعدام، في حين توفي 170 جراء التعذيب، واضطر عشرات آلاف الأتراك إلى الهجرة.[42]

ويقر الضابط السابق في الجيش التركي "أحمد إرقينسوي" بالتراجع الكبير لدور الجيش التركي وتأثيره في مكونات الحياة الأساسية، وأشار إلى أن الحكومة اليوم تمارس الرقابة على مؤسسة الجيش، وتسعى الى تقييده والحد من صلاحياته، حيث فقد الجيش الكثير من هيبته في المجتمع، ويقول: "عندما كنت أدخل الى متجر لأشتري شيء ما، أو أصعد إلى حافلة ركاب بالبزة العسكرية، وأعرض عليهم المال، كانوا يرفضون، ويقولون أنتم (أي الجيش) تقومون بعمل مقدس ومهم لصالحنا..، أما اليوم فكل شيء مختلف".[43] وهذا يظهر عُلو المكانة التي

---

[40]- المرجع السابق، 82.

[41]- "*أنقرة: إعتقال رئيس الأركان السابق بتهمة التخطيط لإطاحة الحكومة*،" صحيفة الحياة اللندنية، استرجعت بتاريخ 2012\1\7، http://www.daralhayat.com/internationalarticle/347867

[42]- "تركيا تحاكم انقلابييها،" الجزيرة نت، استرجعت بتاريخ 2012\4\9.
http://aljazeera.net/news/pages/a15c6eab-7a50-4c44-bbd0-14f230350b73?GoogleStatID=21

[43]- ErginsoyAhmet، 2012\3\1. (مقابلة). أنقرة.

احتلها الجيش (ثم خسرها لاحقا) داخل تركيا حتى في الأوساط الاجتماعية، وخصوصا أن المجتمع التركي مجتمع عسكري تجذرت فيه المعاني الحربية والعسكرية منذ تاريخ طويل.

لقد بات واضحا اليوم أن المسار الديمقراطي التركي محمي من قبل الشارع أكثر من أي وقت مضى، فيدل فوز حزب العدالة والتنمية للمرة الثالثة على التوالي في الانتخابات عام 2011، أن حكومته تحظى بدعم وتأييد واسع بين مواطنيها، الذين لم يعد سهلا على جنرالات الجيش إقناعهم بأي مبرر لأي انقلاب عسكري في ظل التنمية والنجاح الكبيرين الذين حققتهما. "فخلال العقد الماضي نجح أردوغان وحزبه في تقويض تركة مصطفى كمال أتاتورك وشخصية الدولة التي تم تأسيسها بناء على هذه التركة، وإضعاف دور العسكر، وان ما بقي هو قشرة فارغة من العلمانية الدستورية. ومع ذلك فإن هذه القشرة كانت عقبة في طريق خلق أرضية رسمية للشرعية الإسلامية في الداخل والعثمانية الجديدة في الخارج. إن أردوغان وفريقه مصممون على أن يزيلوا مثل هذه البقايا بل ونجحوا إلى حد كبير بذلك."[44]

إن هذا التغير الواضح سيمنح بدون شك، حزب العدالة والتنمية الحاكم متسعا لتطبيق عثمانيته الجديدة، و"أسلمة" البلاد وتعريبها "سياسيا"، وإصلاحها مع الشرق العربي والإسلامي، وإعادتها إلى حاضنتها الشرق أوسطية، وذلك باعتبار أن المؤسسة العسكرية كانت هي التحدي الأبرز أمام كل محاولات "تشريق" البلاد، أو إصلاحها مع محيطها العربي والإسلامي، وهي التي كانت على عداء مع فكرة العثمانية، وبالتالي فقد تخلصت حكومة أردوغان من أهم عقبة تقف في وجه مشاريعها "العثمانية الجديدة"، أو حيدتها على الأقل، وهذا يدل على أن دور تركيا في العالم العربي والإسلامي والإقليمي سيزداد تطورا ونشاطا.

ثانيا:- انتعاش الإسلام السياسي وأثره على السياسة الخارجية.

شكل صعود حزب الرفاه الإسلامي الى السلطة عام 1996 المؤشر الأبرز الدال على انبعاث الإسلام السياسي وصحوته من جديد في تركيا، منذ أواسط الثمانينيات خصوصا، غير أن الإسلام السياسي بحد ذاته، ليس ظاهرة جديدة بالنسبة لتركيا الجمهورية، على الرغم من ان الدولة كانت تأسست في تناقض صارخ مع الماضي العثماني، الذي كان يتسم بوجود

---

[44] SrdjaTrifkovic. "Neo-Ottomanism in Action: Turkey as a Regional Power," *Balkan Studies*. (7 Feb - 2012). http://www.balkanstudies.org/articles/neo-ottomanism-action-turkey-regional-power

تأثيرات دينية قوية على كل من السياسة والمجتمع. فالعواطف والكيانات الدينية ظلت فعالة سياسيا تحت السطح العلماني الخارجي للجمهورية. لكن الجديد في هذا الأمر هو نشوء نخبة مضادة واسعة في البلاد، ذات برنامج سياسي بديل شامل قائم على الأفكار الإسلامية.[45] والتي عادة ما كانت تقمع بقوة "فمنذ تأسيس الجمهورية تبنى العلمانيون أسلوب القمع بالقوة لأي تيار يتحدى المبادئ العلمانية، وقد توج ذلك بالانقلاب الدموي على حكومة "عدنان مندريس" عام 1960."[46]

ولكن وفي اغلب الأحوال فإن الأحزاب الإسلامية أو تلك المدعومة من الحركات الإسلامية كانت كثيرا ما تكتسح غالبية المقاعد في الانتخابات البرلمانية والمحلية التي تجري في البلاد، ولعل هذا يدلل على أن مسار التوجه العام للشعب التركي يميل في غالبيته الى التوجه الديني، نظرا لكون الغالبية الساحقة من سكان البلاد هم مسلمون، وانه تم سلخهم قسرا، عن معتقداتهم وتاريخهم وثقافتهم. "فالإسلام السياسي في تركيا لم يكف قط عن أن يكون عنصرا مهما في حياة البلاد العامة والسياسية، كما ظل الإسلام الشعبي مع مؤسساته والجماعات الدينية المختلفة، يتابع هو الآخر نشاطاته بين الجماهير الريفية بشكل سري."[47] وقد بدأ الإسلام السياسي التركي بالازدهار بوضوح، مع الانتصار المفاجئ لحزب الوطن الأم بزعامة "تورغوت أوزال" في انتخابات عام 1983، برعاية من الجناح ذي التوجه الديني فيه.

وكان حزب الرفاه الإسلامي قد حصل على المركز الأول– بعد سبعين عاما من نظام علماني صارم– في الانتخابات البلدية عام 1992 والنيابية عام 1995، مخلفا وراءه وبفارق كبير، كافة الأحزاب بما فيها حزب السلطة وحزب المعارضة الرئيس، ورأى البعض حينها أن هذا التطور المفاجئ للكثيرين، ووصول الحزب للسلطة في حزيران 1996، أحدث موجة من الصدامات التي هزت المؤسسة التركية وحلفائها الغربيين،[48] وقد كشف فوز "الرفاه" عن ضعف القوى العلمانية واليسارية وانهيار أيديولوجيتها،[49] كما دل على ان النظام العلماني لم يخترق البنية الأساسية المحافظة للمجتمع التركي بصورة تحول دون تحوُّل الشعور الديني للمواطن إلى واقع سياسي. ولعل أهم أسباب تقدم الإسلام السياسي على غيره في الانتخابات، هو قربه من الجماهير، وتحمل هموم الفقراء والكادحين من المجتمع، إضافة الى استقطابه لأنصار أحزاب اليسار التي تراجعت نسبة الأصوات التي حصلت عليها، بسبب خيبة الأمل

---

[45]- كرامر، *تركيا المتغيرة*، 105.
[46]- إبراهيم خليل العلاف، "تركيا والعلمانية: الإسلاميون في المواجهة،" *الجزيرة نت* (2006/11/2): http://www.aljazeera.net/NR/exeres/679026E4-1EC1-4903-B9BA-CF62D8680B52.htm
[47] - كرامر، *تركيا المتغيرة*، 107 و 110
[48]- المرجع السابق، 104
[49]- العلاف، *تركيا والعلمانية*.

التي كانت تشعر بها الجماهير تجاهها، إضافة إلى إبداعات حزب الرفاه ونجاحاته الباهرة على مستوى الخدمات في البلديات التي يديرها، وقرب طرحه وفكره الواقعي من الجمهور.[50]

وبما أن الجيش يلعب دورا محوريا في الحياة السياسية منذ تأسيس الجمهورية، فلم يُغفل أربيكان هذه الحقيقة، وحاول التعايش معها، او عدم الاصطدام بها على الأقل، لكن الفريق العلماني من جهته حاول جاهدا قطع الطريق أمام استمرار نمو الحركة الإسلامية في تركيا، من خلال تشويه صورتها، أو التخويف منها عبر وسائل الإعلام، كتلك المشاهد التلفزيونية التي عٌرضت بالتزامن مع فوز "الرفاه" تظهر عناصر من حركة إسلامية يتزعمها جمال الدين قبلان الموجود في ألمانيا، وتدعو إلى ثورة إسلامية مسلحة في البلاد..[51] وقد استمرت فصول التحديات أمام تنامي الإسلام السياسي بتركيا، "فلم يكن صراعه مع التيار العلماني بنخبتيه العسكرية والمدنية صراعا عاديا، بل كان عنيفا، وترك بصمات واضحة على مسيرة التيار الإسلامي الذي عرف تحولات هامة في مسيرته،"[52] قبل أن ينتهي الأمر بالفريق العلماني إلى الالتفاف على الديمقراطية وخيار الشعب، بإطاحته بالحكومة وحل حزب أربيكان.

ورغم أن البعض ظن لحين، انه قد دُق آخر مسمار في نعش الإسلام السياسي بحل حزب الرفاه، إلا أن العكس من ذلك قد حصل، "فقد فقدت النزعة العلمانية مكانتها المضمونة على صعيدي الأيديولوجيا والممارسة السياسيتين"[53] ولم تعد لهما الكلمة الفصل التي احتكرتها لسبعة عقود في شتى الأمور، واستمر الإسلام السياسي في صعوده، والدليل أنه بعد خمس سنوات فقط، تسلق الى قمة هرم السلطة بقوة حزب إسلامي فتي آخر، لدى فوزه الكاسح بغالبية مقاعد البرلمان، في الانتخابات التي جرت عام 2002، وهو حزب العدالة والتنمية.

حزب العدالة والتنمية.. النشأة، الأيديولوجيا، السياستان الداخلية والخارجية

يشير باحثون إلى أن صعود تركيا في المحافل الدولية أثناء العقد الأول من الألفية الجديدة، يرجع الى نجاح حزب العدالة والتنمية في التعاطي مع كافة الشؤون الداخلية للبلاد.."[54] فما الذي جاء به حزب العدالة والتنمية حتى تمكن من إيصال تركيا إلى هذه المكانة

[50]- نور الدين، *تركيا الصيغة والدور*، 57.
[51]- المرجع السابق، 59.
[52]- عبد الحكيم أحمين، "إسلاميو تركيا.. العثمانيون الجدد،" *الجزيرة نت* (2006/2/5)، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/5650F6A9-F2AE-462F-AA39-F4A2D6D8E981.htm
[53] - كرامر، *تركيا المتغيرة*، 111.
[54]- أحمد الصويان وآخرون، *الأمة: واقع الإصلاح ومآلات التغيير* (الرياض: مجلة البيان - التقرير التاسع، 2012)، 296.

المتقدمة؟. لقد تأسس حزب العدالة والتنمية في 14\8\2001 بزعامة رجب طيب أردوغان ومساعدة صديقه عبد الله غل، وقد ضم الحزب الكثير من أعضاء ورموز حزب الرفاه الإسلامي المنحل، كما أنه ضم آخرين كثر، من غير الإسلاميين، من الليبراليين والقوميين، إضافة الى العديد من النساء غير المحجبات، في رسالة أراد الحزب أن يقول من خلالها أنه حزب متحضر منفتح على الجميع، ويحترم النظام العلماني ولا يسعى لتغييره، وأنه يسعى إلى النهوض بالبلاد بالشراكة مع كافة أطياف المجتمع، ولا يصف نفسه بأنه إسلامي.

وفي أول انتخابات برلمانية جرت في البلاد بعد عام من تأسيس الحزب، وهي انتخابات عام 2002، تمكن الحزب من الفوز بأغلبية كبيرة من المقاعد، مكنته من تشكيل الحكومة بمفرده، وقد نجحت حكومته في تجاوز أخطاء وقعت بها حكومة أربيكان، خاصة في مجال الاصطدام مع العلمانيين، وسعت الحكومة الجديدة لتقديم صورة جديدة للإسلام وهي صورة الإسلام المعتدل الذي يرى أن لتركيا جناحين: أحدهما في الشرق والآخر في الغرب. كما حرص أردوغان وحزبه على نفي وجود عدائية أو تعارض بين العلمانية والإسلام، وأن كل ما في الأمر أن هناك ثلاثة احتياجات مهمة للشعب التركي تتمثل بالحرية والعدالة ولقمة العيش، ويبدو أن هذا هو سر تقبل العلمانيين لحكومة العدالة والتنمية.

وكان حزب العدالة والتنمية قد حصل على 363 مقعدا من أصل 550 في الانتخابات العامة التي جرت في 2\11\ 2002، بواقع 34% من الأصوات، وهي نتيجة لم يحصل عليها من قبل أي حزب تركي، مقابل 176 مقعدا أي 19% من الأصوات لحزب الشعب الجمهوري. وفي الانتخابات التي جرت في 22\7\2007، حصل العدالة والتنمية على 341 مقعدا في البرلمان، بواقع 47% من الأصوات في جميع أنحاء البلاد، بينما لم يحصل حزب الشعب الجمهوري سوى على 20% من الأصوات.[55] وقد ارتفع نصيب العدالة والتنمية من الأصوات في الانتخابات التي جرت أواسط عام 2011، حيث حصد حوالي 50% من أصوات الناخبين، بواقع 326 مقعدا، ما يعني أن واحدا من كل ناخبين اثنين في تركيا قد صوت لصالح الحزب، وهذا ما مكن الحزب من قيادة الحكومة التركية لثلاث فترات متتالية، وبأغلبية برلمانية أيضا، وهو أمر لم يتحقق لحزب تركي آخر من قبل.

وبذلك يمكن لنا أن نطلق على فترة حكم العدالة والتنمية بالحقبة، نظرا لما أحدثته من تغيير عام في السياسة التركية. يقول عنها محللون: "لم يكن وصول حزب العدالة والتنمية الى

[55]- عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*، 32.

الحكم بمفرده حدثا عاديا في تركيا، إذ شهدت مرحلة حكمة تحولات دستورية واجتماعية وخارجية حاسمة، أعادت ترتيب أولويات تركيا، بل وأعادت تعريف خياراتها، مما شكل انقلابا على التوازنات الداخلية، وفي السياسات الخارجية.[56] أما على صعيد مؤسسة رئاسة الجمهورية، فقد شكل تولي مرشح حزب العدالة والتنمية عبد الله غول لها عقب أزمة عام 2007، نقطة تحول كبيرة في تاريخ تركيا "العلماية" التي بات يترأسها شخصية "إسلامية" ما يعني انتصار التيار الإسلامي على العلمانية.[57]

ويتكون الحزب– الذي يضم حوالي 3 ملايين عضو وأكثر من 80 فرعا في جميع أنحاء الدولة التركية– من خليط من الاتجاهات، أهمها الإسلاميين ورجال الأعمال والقومين الأتراك..، تمثل كلها روافد هامة لمواقف الحزب السياسية والاقتصادية.[58] وقد سعت المؤسسة العسكرية رغم اعتدال العدالة والتنمية إلى عرقلة عمل حكومته، كما وحاولت منع عبد الله غول، من الفوز بالانتخابات الرئاسية عام 2007، حيث ساند العسكريون ضمنا محاولة النائب العام "عبد الرحمن يلشينكايا" حظر الحزب عام 2008 من خلال القضاء، لكن المحكمة الدستورية قررت خلاف ذلك بفارق صوت واحد.[59] ومع هذه التحديات يبدو أن حكومة العدالة والتنمية قادرة على مواجهة ضغوط الجيش، يساعدها في ذلك امتلاكها برنامجا واضحا لإصلاح النظام الضريبي ومواجهة التضخم ومقاومة الفساد المالي والعمل على وقف تدهور الأوضاع المعيشية للطبقات الفقيرة.

حيث تمكن حزب العدالة من تأسيس قاعدة شعبية كبيرة، من خلال ملامسته مشاكل كافة طبقات الشعب التركي، ومعرفة احتياجاتهم ومطامحهم، خاصة ما يتعلق بقيم العدالة والحرية ولقمة العيش، ومنع إيذاء المتدينين، والسعي لمواجهة المفهوم المتشدد للعلمانية بأنها عدو الدين، وتأكيد أردوغان أنه يعمل من أجل استعادة هيبة تركيا. في مثل هذه الظروف فإن القوى الإسلامية ستستطيع ليس البقاء في السلطة لمراحل أخرى في تركيا وحسب، وإنما كسب ممثلي الاتجاهات العلمانية القومية التركية الأخرى كذلك.[60]

إن أسلوب حزب العدالة والتنمية، وطاقم الشباب الجديد الذي يمتلك حنكة سياسية وخبرة في العمل السياسي الحديث، جعل لديهم المرونة الكافية للتعامل مع المؤسسة العلمانية

---

[56]- المصدر السابق، 136.
[57]- جمال كمال كركوكلي، أزمة *الرئاسة التركية 2007* (الدوحة: مركز الدراسات الإقليمية، 2007)، 29.
[58]- الباسل، رجب، *دور تركيا*.
[59]- محسن صالح وآخرون، *تركيا والقضية الفلسطينية*، التقرير 17 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات،2010)، 11.
[60]- العلاف، *تركيا والعلمانية*.

المتشددة. وفي الوقت ذاته الالتزام بالمبادئ والايديولوجيا والانفتاح على العالم العربي والإسلامي، حيث أقنعوا شعبهم بأن العلاقة مع العرب لن تضر، وإنما فيها مصالح لتركيا، وكدليل على نجاحهم أنهم حصلوا على نصف أصوات الشعب التركي في آخر انتخابات، بينما كانت كل التيارات الأخرى عاجزة عن إقناع الشعب بطروحاتها، وأن تحصد أكثر من 25% من الأصوات.[61] إن حزب العدالة والتنمية بتركيبته وأفكاره وسياساته هذه، هو الذي يمثل ما بات يصطلح عليه بالعثمانيين الجدد، وهو الذي يسعى للنهوض بتركيا، وإكسابها مكانة دولية معتبرة، وموقعا إقليميا قياديا، ويسعى إلى التقارب مع العالم العربي والإسلامي والجوار، من أجل تحقيق مشروعه الضخم هذا، حيث أن العثمانية الجديدة لم يكن لها لتظهر، ولم يكن الانفتاح والتغلغل في البلاد العربية والاهتمام بشؤونها ليكون لولا وصول الحزب للسلطة.

ثالثا:- اقتصاد البلاد والعلاقات الاقتصادية مع العالم العربي.

يعتبر الاقتصاد التركي أكبر اقتصاد في الشرق الأوسط بلا منازع، وأحد أكثر الاقتصادات العالمية نموا بشكل ملفت وسريع، حيث حقق نموًا قدره 8.2% أواخر عام 2011 حسبما ذكر معهد "المعطيات الاقتصادية التركية TÜİK"،[62] وبهذه النسبة يكون الاقتصاد التركي ثاني أكثر الاقتصادات العالمية نموًا بعد الاقتصاد الصيني. ومن ناحية أخرى استطاعت تركيا أن تحتل مرتبة الاقتصاد السادس على أوروبا، والسادس عشر عالميا، والأهم من ذلك استطاع تحقيق نجاحات باهرة، وتجاوز براثن الأزمة الاقتصادية الخطيرة التي هزت القوى الاقتصادية الغربية والعالمية منذ عام 2008، والتي سقطت فيها الكثير من الشركات الضخمة والبنوك وأعلنت إفلاسها، رغم هرولة الحكومات- كالأمريكية – لإنقاذها، بينما تمكنت تركيا من الخروج منها بسلام. وقبل الحديث عن سر هذا الصعود الاقتصادي التركي، وكيفية احتلال تركيا لهذا الموقع المتطور اقتصاديا، لابد من إلقاء نظرة على المشهد الاقتصادي التركي ومراحل تطوره في العقد الأخير، من خلال المعطيات التالية:

- نما حجم التجارة الخارجية التركية من 250 مليار دولار عام 2002، إلى ما يزيد عن 800 مليار دولار عام 2011، وتسعى البلاد لأن يتجاوز هذا الرقم الواحد تريليون دولار عام 2023.

---

[61]- خشرم، عمر. 25\2\1012. (مقابلة) أنقرة.

[62]- وقد احتلت الصين المرتبة الأولى بين أكثر الاقتصادات العالمية نموًا بنسبة بلغت 9.1%، يليها في المركز الثاني تركيا بنسبة 8.2%، وفي المركز الثالث جاءت استونيا بنسبة بلغت 7.9%، تليها الهند في المركز الرابع بنسبة 6.9%. ينظر: موقع أخبار العالم، *تركيا الأكثر نموًا في العالم بعد الصين*(12\12\2011)، http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=49104.

- تضاعف الدخل القومي الفردي خلال "فترة العدالة والتنمية" حوالي خمس مرات، فبينما كان عام 2002 (2300 دولار) ارتفع إلى (11 ألف دولار) عام2011، وتطمح الحكومة إلى أن يصل إلى (25 ألف دولار) عام 2023.
- فوائد استدانة الدولة كانت بنسبة 64% عام 2002، انخفضت إلى اقل من 7% الآن.
- انخفضت نسبة التضخم من 30% إلى نحو 6،4% خلال حكم العدالة والتنمية. كما انخفض الدَين الكلي للدخل القومي من 64% من الميزانية العامة إلى أقل من 30%.
- كان المزارعون يأخذون قروضا بفائدة تصل إلى 59%، أما في الـــ 2011 فقد انخفضت إلى 5%، وقد تضاعف عدد المقترضين نتيجة تخفيض نسبة الفوائد، وتسهيل الحكومة لشروط الاقتراض عشر مرات، فبينما كان (5000) مقترض في الـــ 2002، بات ثمة (50 ألف) في الـــ 2011.
- تبيع تركيا للخارج، من المركبات التي تصنعها اليوم ما يزيد عن نصف مليون سيارة سنويا (510 آلاف سيارة) بينما كانت تبيع (456 ألف سيارة) فقط عام 2002.[63]

وبلُغة الأرقام ذاتها نجد أن الناتج المحلي الإجمالي في تركيا ارتفع من 231 مليار دولار عام 2001 إلى 736 مليار عام 2010، أي أن حجم الاقتصاد تضاعف ثلاث مرات تقريباً. كما واعتمدت تركيا على توسيع القاعدة الإنتاجية لها، فارتفعت الصادرات السلعية عام 2008 إلى 132 مليار دولار، بينما كانت 36 مليار عام 2002. كذلك ارتفع عائد السياحة من5،8 مليار دولار إلى 20 مليار.[64] ولابد أنها واصلت الارتفاع عام 2012. إن هذه المعطيات كلها تدل على أن هذا البلد يشهد نقلة اقتصادية نوعية، ويمر في مرحلة هي الأكثر رخاء وحيوية منذ ما قبل تأسيس الجمهورية، وأنه في طريقه ليحتل موقعا اقتصاديا استراتيجيا ومؤثرا في المنطقة والعالم، ولكن الاقتصاد التركي كما باقي نواحي الحياة في تركيا، قد شهد هو الآخر صراعات كبيرة بين الفريق العلماني والنشاط الإسلامي في البلاد، ومر بمنعطفات خطرة، قبل أن يصل الى ما وصل إليه ويستقر حاله بداية الألفية الثالثة.

فمنذ تأسيس الجمهورية، وحتى مطلع السبعينيات، كان يهود "الدونمة"[65]– وهم العمود الفقري لعلمانية تركيا– يسيطرون على الاقتصاد التركي، لكن اقتصاد البلاد

---

[63]- كل هذه المعطيات ذكرها رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان في مقابلة تلفزيونية مع قناة الجزيرة بتاريخ: 12\1\2011.

[64]- إبراهيم سيف، نظرة العرب إلى المعجزة الاقتصادية التركية،*صحيفة الحياة اللندنية*. (20\12\2012)، http://www.daralhayat.com/internationalarticle/341207

[65]- هم يهود أتراك مسجلون رسميا كمسلمين ويظهرون بمظهر القوميين، وهم من أبرز المنظرين للقومية التركية وعلمانية الدولة، ويتخذون أسماء تركية أو إسلامية. لكنهم في حقيقة الأمر ملتزمون تماما بيهوديتهم وبارتباطهم بالصهيونية ولا يعملون إلا لمصالحهم الاقتصادية والسياسية، ولا زالوا أقوياء في كل مجالات الحياة في تركيا، وقد وصل بعضهم إلى مراكز حساسة في الدولة التركية.

لم يشهد خلال هذه الفترة نموا حقيقيا. ومع بداية السبعينيات شهدت تركيا نهضة اقتصادية أسهمت فيها استثمارات إسلامية خارجية بالتعاون مع القوى المحافظة في البلاد، وتمكنت من إنشاء قلاع اقتصادية ضخمة تنافس تلك العلمانية، إلا أن رؤوس الأموال الإسلامية هذه تعرضت إلى حرب شرسة من قبل الأوساط العلمانية، وصدرت أحكام قضائية بإغلاق وتصفية الكثير من شركاتها ومُصادرة أموالها، ولاسيما تلك التي لها علاقات أو استثمارات قادمة من دول عربية وإسلامية، حيث بدأ الصراع بين العلمانيين والإسلاميين يأخذ شكلا جديدا في تركيا مع تغير الظروف وأساليب المواجهة، حيث تمثل الشكل الجديد في صراع غير معلن، باستخدام القوة الاقتصادية للتأثير على النظام السياسي والقضائي للدولة، وقد كان "للأموال الساخنة"[66] القادمة من الغرب تأثيرا واضحا في هذه المعادلة. إلا أن حكومة العدالة والتنمية نجحت في كسر احتكار الجهات الغربية واليهودية لهذه الأموال، عن طريق جذب أموال عربية وإسلامية لتستثمر في تركيا، ودعوة الأموال التي خرجت من الغرب بعد أحداث 11/أيلول والتي تصل إلى 20 مليار دولار، حيث تحقق بقدومها توازن في الأوساط المالكة لهذه الأموال وبالتالي قل التأثير السياسي للأموال الساخنة الداعمة للقوى العلمانية وازدادت قوة القوى المحافظة.[67]

إن تركيا قد بدأت بعد الحرب الباردة بتحويل أولوية سياستها الخارجية من الاهتمامات الأمنية، باتجاه القوة الناعمة والمصالح التجارية، والابتعاد عن كونها حارسا للناتو، إلى أن تكون لاعبا أكثر استقلالية وتصميم على استخدام عدد كبير من أدوات التكامل الإقليمي حتى تؤخذ بجدية بشكل أكبر،[68] وتمنح البلاد اقتصادا ذا هوية مستقلة، وتحقق أهدافها ونموها. لكن الجميع يتفق على أن حقبة التحولات الجوهرية، والنمو السريع، هي حقبة حزب العدالة والتنمية. ففي السنوات الأخيرة، بدت الأبواب مواربة لتركيا للدخول في السوق الأوروبية المشركة، ولو بصفة التأهيل المتدرج، فدخلت الاتحاد الجمركي الأوروبي، وبدأت تضبط القوانين وتستجيب إلى الشروط والمواصفات الأوروبية في الصناعة والخدمات، من أجل الدخول إلى تلك السوق الكبيرة، واستخدام الميزة التنافسية التركية– حيث مواد الخام والأيدٍ

[66]- هي الأموال الأجنبية التي تتواجد داخل النشاط الاقتصادي التركي على شكل ودائع بنكية تهدف إلى الإفادة من نسب الفائدة العالية في تركيا، أو عن طريق بيع وشراء الأسهم والمضاربة في البورصات التركية أو عن طريق بيع وشراء العملات الصعبة في أسواق العملات التركية. وسحبها المفاجئ، والمتعمد- أي لممارسة ضغط ما على تركيا أحيانا - يؤدي إلى خلل في التوازن العام للاقتصاد فورا، وتظهر أزمات اقتصادية خانقة تعيد الاقتصاد التركي إلى الوراء مثلما حصل عام 1999 وعام 2001.

[67]- عمر خشرم، "الصراع من باب الاقتصاد،" *الجزيرة نت* (2006\11\3)، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/E888A305-EBF9-4E1C-B0A2-E4605C1ABC49.htm

[68]- د.م. "تركيا والشرق الأوسط: طموحات ومعوقات،" *مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية*،" (2010\10\7) استرجع بتاريخ:2012\1\1. ينظر: http://www.asharqalarabi.org.uk/mu-sa/sahafa-1626.htm

العاملة الرخيصة– للحصول على مميزات للاقتصاد التركي في رقعة الشطرنج الأوروبية لتنقذه من أزماته.[69] فكيف كانت فلسفة حزب العدالة والتنمية الاقتصادية في هذه الفترة؟.

فلسفة حزب العدالة والتنمية الاقتصادية

تقوم فلسفة حزب العدالة والتنمية الاقتصادية على قواعد أساسية عدة، تتلخص في: محاربة الفساد، وتحقيق الاستقرار السياسي الذي يقود بالضرورة إلى استقرار اقتصادي، وتحقيق التنمية الذاتية ودعم قطاعات الإنتاج المختلفة، ولاسيما الصناعية منها ورفع جودتها، والاستغلال الأمثل لموارد البلاد الاقتصادية والطاقات البشرية المتوفرة، ولاسيما في الأرياف. وخارجيا ترشيد الاستدانة والتعامل مع المؤسسات المالية والنقدية الدولية، إضافة إلى الانفتاح على الجوار، ولاسيما المشرق العربي الذي جلب لتركيا فائدتين عظميين، وهما: الاستفادة من مصادر المواد الأولية الرخيصة، ثم فتح أسواق جديدة لمنتجاتها المتطورة. "فقد استفادت تركيا من الإصلاحات التي تطلبتها السوق الأوروبية، في تجويد الصناعة والخدمات في البلاد وضبط القوانين، الأمر الذي أصبحت صناعتها بعده مطلوبة في أسواق الحديقة الخلفية (العربية الإسلامية) لتركيا أيضا، وهي سوق واسعة ومهمة بالنسبة لتركيا".[70] ومن هنا أولى صناع السياسة البعد الإقليمي في التعاملات التجارية مع الدول المحيطة أهمية مضاعفة.

كما سعت حكومة العدالة والتنمية إلى توسع القاعدة الإنتاجية التي تولد فرص العمل، وعدم إهمال القطاعات التقليدية والصناعات اليدوية الموجودة، بل وأُعطيت الحوافز للعاملين في هذه القطاعات حتى يستمروا في أعمالهم. في موازاة ذلك، لم تهمل تركيا القطاع السياحي، فكان ان تضاعف عدد السياح في تركيا من خلال تسهيل إجراءات الدخول والخروج، وتأمين المعلومات بشكل سهل لمن يرغب في السياحة، وقد كان العرب مستهدفون بشكل مباشر من الدعوة إلى السياحة في تركيا، من خلال الإعلانات المكثفة على الفضائيات العربية، ولاسيما قناة الجزيرة، التي روجت إعلاناتها باستمرار لتركيا ولخطوطها الجوية ولجمالها وأهميتها السياحية، ولاسيما أنها على تخوم البلاد العربية، وقريبة مقارنة بدول الشرق والغرب الأخرى. أما القطاع الزراعي فقد ظل أحد أهم القطاعات التي تساهم بتشغيل الأيدي العاملة، وتساهم في رفد الناتج المحلي والقطاعات الأخرى، بما تحتاجه من مدخلات إنتاج للصناعات

---

[69]- محمد الرمحي، "تركيا التي لا نعرف،" *موقع أخبار العالم* (2011\9\20) استرجعت بتاريخ. 2011\12\22: http://www.akhbaralaalam.net/author_article_detail.php?id=1592

[70]- المصدر السابق.

الغذائية المهمة في تركيا، وتحقق الارتقاء بنوعية العاملين في القطاع الزراعي، من خلال دعم الحكومة لبرامج التدريب الهادفة إلى رفع كفاءتهم الإنتاجية.[71]

لعل هذه القاعدة الاقتصادية الصلبة، هي السبب الأساسي وراء عدم تأثر تركيا كغيرها من دول العالم، بالأزمة الاقتصادية التي ضربت معظم دول العالم، كما أكد رئيس الوزراء أردوغان قائلا:

"إن ألازمة الاقتصادية العالمية، والتي ضربت الولايات المتحدة، لم تؤثر على أي نظام مالي لدينا، فلم نقم بإزالة أو دعم إي بنك، كل البنوك التركية بقيت واقفة على أقدامها، ونحن لم نعش هذه التجربة، لأننا عندما جئنا الى الحكم اعتبرنا أن النظام المالي، والاستقرار، والحكم الرشيد، من أول أولوياتنا."[72]

وإذا ما أخذنا في الاعتبار التغيرات بعيدة المدى التي يتوقع أن تطرأ على الخريطة الاقتصادية العالمية، والدور التركي المتنامي على المستوى الدولي، فإنه من المتوقع لأنقرة أن تكون واحدة من أبرز القوى الصاعدة في عالم متعدد القطبية تلوح ملامحه في الأفق، حسب محللين.[73] إذاً نحن أمام بلد قوي بكل المقاييس في المنطقة، بلد قوي عسكريا وفي تاريخه الكثير من الأدلة التي تثبت ذلك، قوي سياسيا بما كان يحتله من موقع سياسي في الماضي، وما يحتله اليوم بحكم علاقاته الوطيدة مع غالبية دول العالم، ودوره الواضح في محيطه، وهو قوي اقتصاديا بما لديه من صناعات متطورة، وموارد كبيرة، وأراض زراعية خصبة وفرتها الأنهار التي تجري من تحتها، كما ولديه من الرصيد التاريخي والحضاري ما يمنحه مزيدا من القوة، ويؤهله لأن يخطو خطوات كبيرة سياسيا ولاسيما تجاه العرب، وفي الوقت ذاته فإن موقع هذا البلد الجغرافي منحه مزيدا من الأهمية، والمكانة الإستراتيجية، كونه مركز وملتقى الشرق والغرب.

المتمعن بمعطيات ورصيد القوة لدى تركيا يرى أن كل الظروف تبدو مواتية لتركيا لتلعب دورها العثماني المنشود في المنطقة العربية المحيطة، ولديه من المؤهلات ما يعطيه فرص أكبر من غيره من الدول، كإيران- غير المرضي عنها غربيا، ولا المرحب بها عربيا- ولاسيما إذا ما دخلت من زاوية الاقتصاد، إلى هذه البلاد ذات الاقتصادات الهشة رغم

---

[71]- سيف، *نظرة العرب الى*.
[72]- أردوغان، رجب طيب. 2011\1\12. قناة الجزيرة (مقابلة تلفزيونية). برنامج بلا حدود.
[73]عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*، 47.

ثرائها وما تحويه من ثروات وموارد هائلة غير مستغلة. ورغم أنه يعاب على تركيا عربيا ان نصف تجارتها لا زالت مع الإتحاد الأوروبي، و أقل من ربع صادراتها (نحو20%) تـذهب إلى دول الشرق الأوسط،[74] فإن هذه النسبة تبدو متطورة جدا إذا ما قورنت مع عام 2004، التي لم تبلغ سوى 12.5% فقط.[75] من ناحية أخرى فإن مساواة أسـواق الشـرق الأوسـط بالأسواق الأوروبية، مسألة غير دقيقة، نظرا للفوارق الاقتصادية والديموغرافية الكبيرة بـين الجانبين، والاختلاف في الحاجات والإمكانيات.

ومع هذا فلا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة، وهي التراجع الملحوظ (الذي لم يصل إلـى درجة التخلي) في رغبة تركيا في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، في ظل هـذه "الطفـرة" الاقتصادية التي تمر بها تركيا.

"ففي حين تطلعت أنقرة طويلا للانضمام لاتحاد القارة البيضاء، وبـذلت جهـوداً مضنية لذلك، يتضح أن ثمة تراجع في هذا الجهد على خلفيـة تطـورات سياسـية واقتصادية قلبت الأمور رأساً على عقب، ففي وقـت تمـر دول الاتحـاد بأزمـة اقتصادية عاصفة، بات التعويل على تركيا ملحّاً لتجاوز الأزمة أو تخفيف وطأتهـا، بينما ترفض حكومة أنقرة في الوقت الراهن، مساعدة الاتحاد مقابل الانضمام إليـه، وترى ان الاتجاه للشرق وما يعتريه من تغيرات سياسية واقتصادية أفضل بكثير من إنقاذ تكتل دأبت أنقرة على محاولات الانضمام إليه دون جدوى." [76]

فها هي أنقرة ترى الإقتصادات الأوروبية تتهاوى واحدة تلو الأخرى، كانـت البدايـة مـن اليونان، ثم عصفت بإيطاليا وأسبانيا. ولكن خيوطها قد تمتد لتطال دول اقتصـادية مركزيـة كفرنسا وبريطانيا، وفي المقابل فإن التغيرات الراديكالية الحاصلة في عدد من الدول العربيـة نتيجة الثورات، والتي تنظر إليها أنقرة بإيجابية، تشكل مصدر جذب، وهدفا مغريـا لتركيـا لتعزيز توجهها صوب هذه المنطقة، سواء كمساعد، أو شريك أو حليـف. نظـرا للظـروف الحرجة التي تمر بها هذه الأقاليم، والتي بحاجة لمن تتشبث به.

---

[74]- د.م، *تركيا والشرق الأوسط*.

[75] - موقع أخبار العالم، "*الربيع العربي يُجبر تركيا على التراجع عن عضوية الإتحاد الأوروبي*،" استرجعت بتاريخ: 2\1\2012، http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=49008

[76]- المصدر السابق.

العلاقات الاقتصادية التركية العربية.

لقد اختارت تركيا لمسارها الاقتصادي- كما السياسي- بعد الحرب العالمية الثانية خطا قريبا من النمط الغربي، ولغاية منتصف السبعينات لم تعر تركيا اهتماما يذكر لتنمية علاقاتها التجارية والاقتصادية مع الدول العربية، ولكن منذ أواسط السبعينات طرأ تغير في هذا الطريق، أملته عدة أسباب أهمها:

1)- ارتفاع أسعار النفط عام 1973، وما أحدثه من أزمة في اقتصادات الغرب وأضرت بالاقتصاد التركي، وهنا بدأت الحاجة تدفع تركيا لإعادة حساباتها في العلاقة مع العرب.

2)- الخلافات التركية اليونانية حول المشكلة القبرصية التي لقيت دعما غربيا لليونان في هذا المجال، وما خلفته من شعور بعدم الثقة في نفوس الأتراك تجاه الغرب عموما.

3)- فتور العلاقة بين تركيا ومجموعة السوق الأوروبية.[77]

ولذلك رأينا تركيا تنضم إلى منظمة المؤتمر الإسلامي عام 1976، وتشارك باجتماعاتها، بل واستضافت اجتماع المنظمة على مستوى وزراء الخارجية في ذات العام، وقد شهدت التجارة التركية مع الأقطار العربية حركة نشطة خلال عقد الثمانينات، وتضاعف حجمها أكثر من ثلاث مرات خلاله، فبينما كانت الصادرات التركية إلى الأقطار العربية عام 1980 حوالي (562) مليون دولار، قفزت لتصل إلى نحو (1،736) مليون دولار عام 1990 ،[78] ولكن لابد من الإشارة الى أن هذه الأرقام هي أرقام متواضعة جدا إذا قورنت بمثيلاتها مع الدول الأوروبية، أو إذا ما قورنت مع الأرقام في نفس الاتجاه في ظل حكومة حزب العدالة والتنمية، حيث شهدت العلاقات التجارية والاقتصادية مع الأقطار العربية تطورا غير مسبوق.

وبالنظر الى الجدول رقم (1) التالي، نجد أن حجم التبادل التجاري السلعي بين تركيا والدول العربية الشرق أوسطية (إضافة إلى إسرائيل) قد زاد عن 27 مليار دولار عام2008، بينما لم يصل هذا الرقم إلى 4،5 مليار عام 2002. أي أننا نتحدث عن أن هذا الرقم قد تضاعف ست مرات خلال ست سنوات فقط، وهي فترة قياسية لتحولات بهذا الحجم. وبينما كان حجم الصادرات التركية الى بلدان هذه المنطقة عام 2002 قرابة ثلاث مليارات دولار، قفز هذا الرقم أيضا الى ما يزيد عن 22 مليار دولار في 2008، أي أنه تضاعف أكثر من 7 مرات خلال هذه السنوات الستة. بينما شهد تراجع نسبي عام 2010.

---

[77]- أوغلى، *العلاقات التركية العربية*، 323 .

[78]- المرجع السابق، 343.

أما الواردات إلى تركيا من البلاد العربية المشرقية (وإسرائيل)، فقد تضاعفت هي الأخرى أكثر من أربع مرات بين عامي 2002 و2010، فبينما كانت هذه الواردات قرابة مليار وثلاثمائة مليون دولار عام 2002، زادت عن 5،7 مليار دولار عام 2010. ولكن كما ذكرنا فإنه لدى مقارنة هذه الأرقام مع حجم التبادل التجاري السلعي لتركيا بشكل عام، فإنها تبقى أرقاما متواضعة، حيث وصل حجم التجارة الخارجية التركية الكلي عام 2010، إلى 300 مليار دولار، لم يكن نصيب الدول العربية المشرقية منها، سوى 26 مليار. أي أنه حوالي 8،3% من إجمالي التجارة السلعية مع الخارج، لكن التطور الذي حصل هنا، يُلمس عند مقارنة هذه النسبة بتلك التي في عام 2002 والتي كانت حوالي 5% من الحجم الكلي للتجارة السلعية الخارجية لتركيا، ولكن لابد أن نلفت هنا إلى أن هذه النسبة لا تشمل سوى الدول العربية الشرق أوسطية وإسرائيل، وإذا نظرنا إلى حجم التطور في العلاقات التجارية مع هذه الدول، بالمقارنة مع حجمها الحقيقي في الموازين الاقتصادية والتجارية الدولية، فإن هذه النسبة تعتبر جيدة، وتشير إلى انفتاح اقتصادي، وتعزيز للعلاقات التجارية بصورة تعكس الاهتمام التركي القوي بهذه المنطقة.

أما بخصوص التجارة السلعية مع إسرائيل، فقد تراجع حجمها بشكل لافت بعد العدوان الإسرائيلي على غزة أواخر عام 2008، فبينما وصل حجم التجارة الإسرائيلية مع تركيا في عام 2008 إلى قرابة 3،5 مليار دولار، منها 6،1 مليار صادرات إسرائيلية لتركيا و1،8 مليار واردات لإسرائيل من تركيا؛ انخفضت إلى أقل من مليارين ونصف المليار دولار عام 2009. أي (2460) مليون دولار. منها(1072) مليون صادرات إسرائيلية لتركيا، و(1،387) واردات لإسرائيل من تركيا.

الجدول رقم (1)

حجم التجارة السلعية مع الشرق الأوسط (2002 – 2010\ الأرقام بآلاف الدولارات)[79]

الصادرات	2010	2009	2008	2005	2002
مجموع ما يصدر للشرق الأوسط	*20 181 507*	*17 603 866*	*22 161 772*	*9 158 685*	*3 097 563*
مجموع الصادرات التركية للخارج	113 883 219	102 142 613	132 027 196	73 476 408	36 059 089

الواردات	2010	2009	2008	2005	2002
مجموع الواردات من الشرق الأوسط	*5 746 420*	*3 942 415*	*4 942 347*	*2 365 406*	*1 315 940*
مجموع الواردات من الخارج	185 544 332	140 928 421	201 963 574	116 774 151	51 553 797

	2010	2009	2008	2005	2002
حجم التجارة مع الشرق الأوسط	*25 927 927*	*21 546 281*	*27 104 119*	*11 524 091*	*4 413 503*
حجم التجارة مع الخارج	299 427 551	243 071 034	333 990 770	190 250 559	87 612 886

ومن ناحية أخرى، استطاعت تركيا "العدالة والتنمية" أن تجذب حجما كبيرا من الاستثمارات الأجنبية إلى الداخل، بشكل لا يمكن مقارنته مع السابق، وحسب منظمة التجارة والتنمية العالمية، احتلت تركيا المرتبة 16 عالميا من بين أكثر الدول جذبا للاستثمار عام 2007، بمقدار تجاوز 20،1 مليار، لتصل إلى1,5% من مجموع الاستثمارات العالمية، وبذلك استطاعت تركيا تمويل 50% من العجز الجاري فيها من خلال رؤوس الأموال الثابتة، واستطاعت أن تجعل الاستثمارات الأجنبية محركا مهما للنمو.[80]

فأسلوب جذب الأموال العربية والإسلامية لتستثمر في تركيا، خاصة دعوة الأموال العربية التي خرجت من أميركا وأوروبا بعد أحداث 11\ أيلول، حيث قدم من هذه الأموال إلى تركيا ما يقارب 20 مليار دولار، أحدث توازن في الاقتصاد التركي، وحرك النمو في البلاد".[81] وقد عكفت تركيا في المناسبات المختلفة على تشجيع الأموال العربية للمجيء إلى تركيا والاستثمار فيها، مع منحها مزيدا من الامتيازات والتسهيلات. فخلال مشاركته في منتدى العمل التركي– الإماراتي الذي عقد في دبي مثلا،دعا الرئيس التركي عبد الله جول رجال الأعمال في دبي إلى الاستثمار في تركيا قائلا: "هناك فرص هائلة في تركيا ستحقق العام الحالي نموا اقتصاديا بنسبة تزيد على 4% "، ولفت الرئيس غول الأنظار إلى انه يمكن

---

[79]- معهد المعطيات الاقتصادية التركي TÜİK.

[80]- عبد العاطي. *تركيا بين تحديات*، 61.

[81]- خشرم، *الصراع من باب الاقتصاد*.

لرجال الأعمال إقامة شراكات جيدة جدا للاستثمار في تركيا في قطاعات الزراعة والسياحة والصحة والنقل، مؤكدا على ضرورة استغلال الطاقات المتاحة بهذا الشأن.[82]

وقد احتضنت تركيا في مدينة اسطنبول فعاليات الملتقى الثالث للتعاون الاقتصادي العربي التركي بمشاركة 800 شخصية سياسية اقتصادية عربية وتركية من 18 دولة وبمشاركة مسؤولين كبار من قطر وسورية والأردن وبرعاية مجلس العلاقات الاقتصادية الخارجية التركي والجامعة العربية وبحضور أمينها العام عمرو موسى. وقد تناول المؤتمر الشراكة العربية التركية في مجالات استثمار الغاز والنفط والعقارات والسياحة.. ويقول السفير التركي لدى دمشق خالد تشفيك في مقابلة مع BBC "إن تركيا لا ترى انفصالا بين تطور العلاقات الاقتصادية وتطور العلاقات السياسية، فهما يكملان بعضهما البعض". ويرى تشفيك أن تطور العلاقات الاقتصادية التركية العربية ينعكس إيجابا على الأمن والسلم والاستقرار في المنطقة. وتركيا تسعى للعب هذا الدور، "فالتأسيس للسلم والاستقرار في المنطقة يتطلب منا إقامة علاقات اقتصادية متطورة مما يمهد الطريق أمام لعب دور فعال، وهو هدف أساسي بالنسبة لتركيا".[83]

وهكذا فإن العامل الاقتصادي مدخل أساسي ومهم إلى العالم العربي بالنسبة لتركيا، فبينما أفلحت تركيا في نسج شبكة من العلاقات والنفوذ في كامل المشرق العربي من العراق شمالاً وحتى غزة جنوباً،[84] هاهي تعزز تتغلغل اقتصاديا في بلاد العرب، وتشيد جسورا اقتصادية وتوقع اتفاقيات معه، (كاتفاقات التفاهم الاقتصادي بين تركيا ومجلس التعاون الخليجي) وهي نتيجة إقليمية لم تتحقق منذ تأسيس الجمهورية التركية عام 1923، ومن هنا فإن "العثمانية الاقتصادية" جزء لا يتجزأ من مشروع العثمانية الجديدة الكبير، بل هي المحرك الأساس له، حيث أن رغبة تركيا في تقوية اقتصادها والوصول إلى موقع اقتصادي منافس في العالم والمنطقة، من أهم مبررات انفتاح تركيا على العرب، وارتدائها لثوب العثمانية الجديدة.

[82]- "جول يدعو رجال الأعمال في دبي إلى الاستثمار في تركيا."موقع قناة التركية. استرجعت بتاريخ 2012\1\31، http://www.trtarabic.com/trtworld/ar/newsDetail.aspx?HaberKodu=4f824be5-d377-472c-987f-09a76475e45a

[83]- "العلاقات الاقتصادية التركية العربية وانعكاسها سياسي." موقع BBC. استرجعت بتاريخ 12\6\2008، http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7451000/7451049.stm

[84]- مصطفى اللباد، "الدور الإقليمي التركي: الملامح والأسباب،" *مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية* (1\12\2009.): http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m_abhath-01-12-09-2.htm

الفصل الثالث: الخطاب التركي "العثماني" الجديد

الباب الأول: فلسفة العثمانية الجديدة

هل هناك عثمانية جديدة أو خطاب عثماني جديد لتركيا؟ وما هي العثمانية الجديدة، أسئلة باتت تُطرح بقوة في الأوساط السياسية والاجتماعية والأكاديمية..، بعد ازدياد الحراك التركي والتدخل الملحوظ في شؤون البلاد العربية- ودول الجوار عامة- التي تعصف بها أزمات متنوعة، وتشهد تحولات وتغيرات متسارعة على كافة الصعد السياسية والاقتصادية والأمنية.. والذي تزامن مع تغيرات شبه راديكالية شهدتها الساحة التركية الداخلية متمثلة بوصول حزب ذي خلفية إسلامية للحكم في البلاد، بخططه التنموية الباهرة، وهو الحدث الذي أثر بشكل دراماتيكي- إضافة إلى عوامل أخرى- على سياسات تركيا الخارجية ولاسيما تجاه الأقطار العربية والإسلامية. والحقيقة أنه لا يمكن الإجابة هنا بإجابة قاطعة بنعم أو لا، عن هذا السؤال، أي حول وجود خطاب عثماني جديد لتركيا أو عدمه، إلا إذا وضعنا حدودا واضحة للقصد من لفظ "الخطاب العثماني والعثمانية الجديدة".

الحقيقة أنه ليس المقصود بالخطاب العثماني الجديد أن تركيا تسعى من جديد لاستنساخ الماضي وتَمَثُّله وإسقاطه على الحاضر والمستقبل، بمعنى أن تركيا لا تسعى لاستعادة مؤسسة الخلافة والسلطنة العثمانية ذاتها، وبالتالي إعادة بسط السيطرة والنفوذ على الأقطار العربية التي كانت أجزاءً من الدولة العثمانية مترامية الأطراف، قبل الحرب العالمية الأولى وما يسمى بـ "الثورة العربية الكبرى." كما لا تروج خطاباتها ولا تدعو لذلك، وإنما باتت تركيا- باختصار- تدرك أكثر من أي وقت مضى أهمية التقارب والانفتاح على العالم العربي ونسج علاقات جيدة قوية معه، وأدركت الحجم الضخم، والكم الهائل لمصالحها في البلاد العربية سواء السياسية أو الاقتصادية أو الأمنية،[85] وذلك بعد حالة عدم الاستقرار في الداخل التركي نتيجة لانقلابات الجيش المتكررة على الحكم، والعواصف الاقتصادية الخطيرة التي عصفت باقتصاد البلاد، وجعلته في الحضيض، بسبب الفساد الذي استشرى في حكومات ما قبل العدالة والتنمية في البلاد.

[85]- مصالحها السياسية ككسب تركيا لموقع دولي مرموق، وحصولها على حليف جديد في مواجهة التهميش الأوروبي الطويل لها، ومواجهة إسرائيل التي باتت تستفز تركيا أيضا، إضافة إلى سعي تركيا للظهور كزعيم في المنطقة، وتقديم نفسها على أنها هي الجامع والحامي والوسيط والقاسم المشترك بين هذه الدول... أما المصالح الاقتصادية، فتتمثل بكسب السوق العربي الواسع لترويج صناعاتها ومنتجاتها، وجذب الاستثمارات والمستثمرين اليها، وكذلك الحصول على المواد الأولية الخام اللازمة لصناعاتها المختلفة والنفط بأسعار معقولة، اما المصالح الأمنية فتتمثل بالدرجة الأولى في المشكلة الكردية التي تزعزع استقرار البلاد باستمرار، وتستنزف جهد واقتصاد وقوة البلاد وتنال من صورتها وموقعها الدولي، والتي لدول الجوار العربي قدرة في مساعدة تركيا في وأدها وإخماد لهيبها من خلال محاصرة أو الكف عن دعم عناصر حزب العمال الكردستاني أو فتح الحدود أمامهم.

وبناءً على المصالح المذكورة، فإن تركيا لجأت إلى استخدام خطاب سياسي جديد تجاه الأقاليم العربية ولاسيما المجاورة، رأى البعض تسميته بالخطاب العثماني الجديد، وهو مرتبط بالقادة الجدد لتركيا، وهم حزب العدالة والتنمية، حيث أن ساسة الحزب يستوحون في خطاباتهم بعض المحطات المضيئة والمشرقة من تاريخ الدولة العثمانية، ويتم إعادة إنتاج هذه المحطات خطابيا وسياسيا من جديد، ومن ثم إسقاطها على الواقع الحالي في المناسبات والمحافل المختلفة، ولاسيما على الصعيد الثقافي والروحي- الذي حاول أتاتورك (النظام) جاهدا أن يطمسه- بشكل يعيد الاعتبار لتركيا مجددا كما كان للدولة العثمانية سابقا، ويضمن لها لعب دور نشط في المنطقة العربية، إذا تسعى تركيا "العدالة والتنمية" إلى إحياء أمجاد الأسلاف العثمانيين، في الإمبراطورية متعددة الأعراق والأجناس والأقاليم، من خلال تدخلهم بقوة في شؤون وقضايا دول المنطقة العربية والجوار، ومحاولة التوسط بين أقطاب التوتر، وتقديم الأتراك أنفسهم على أنهم النموذج الاقتصادي والديمقراطي.. الذي يحتذي به في المنطقة، بل وأن تكون تجربة بلادهم "مصدر إلهام لدول المنطقة"،[86] كما وصفها أردوغان.

ولا يكاد يختلف الباحثون والمراقبون على أن ثمة بالفعل مشروعا ضخما لحزب العدالة والتنمية الذي يقود تركيا، يهدف لبدء مرحلة جديدة من مراحل الدولة التركية منذ عام 2002، وأن ركن هذا المشروع هو بالأساس ركن اقتصادي إضافة الى جوانب أخرى، كما لا يخفي القادة الأتراك ولاسيما داوود أوغلو صاحب الرؤية الجديدة، هدفهم من هذا المشروع، بل أعلنوا أكثر من مرة، أنهم يسعون لجعل تركيا تدخل في حدود عام 2023، وهي الذكرى المئوية لتأسيس الجمهورية الحديثة، في قائمة أفضل وأقوى عشر دول عالميا، وهو مشروع ضخم يحتاج إلى جهود مضنية، وآليات مختلفة، ومن بينها الانفتاح على الجوار. كما يوجد في أجندة حزب العدالة والتنمية هدف واضح يتمثل في الانفتاح القوي على الدول العربية.[87]

ويعرف بعض الإعلاميون العثمانية الجديدة بأنها "هي تيار فكري، أي فريق لديه مجموعة من الأفكار يسعى إلى تحويلها إلى ممارسات على ارض الواقع، وهو حزب العدالة والتنمية، حيث أن العثمانية الجديدة هي السقف الذي يسعى الحزب بسياساته الجديدة للوصول إليه، لكنه حتى اللحظة لم يصل له، أي تحقيق واسترجاع الروح العثمانية في الشارع العربي. ويسعى الحزب بمشروعه هذا إلى إعادة طرح

---

[86]- "تركيا تطرح نفسها مصدر إلهام للعرب،" موقع أخبار العالم، استرجعت بتاريخ11\9\2011،
http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=46085
[87]- باكير، علي. 3\3\2012. (مقابلة). أنقرة.

أفكار ومبادئ الدولة العثمانية بصورة جديدة، لإظهار أن هناك وحدة حال إسلامية اقتصادية اجتماعية سياسية، تشكل قوة إسلامية مؤثرة قادرة على التصدي للقوى الامبريالية الغربية."[88]

ولا بد من الإشارة أيضا إلى أن العثمانية الجديدة، ليست خارجية وحسب، وإنما في بعض جوانبها داخلية، أي تستهدف التصالح مع الداخل التركي بكافة ألوانه وطوائفه، حيث بات ثمة مجال واسع من التسامح ومنح الحريات للأقليات المختلفة على غرار ما كانت تتمتع به زمن الدولة العثمانية، لكن الرغبة العميقة هذه في استعادة تلك المشاهد العثمانية لا يمكن اعتبارها تراجع في القومية التركية.[89]

ولدى التمعن بخطابات قادة تركيا الجدد يتبين أن أبرز المحطات التي يحاول الخطاب التركي تناولها واستحضارها، تلك التي تبرز القواسم المشتركة بين الأتراك والعرب، وعلى رأسها الدين الواحد والثقافة الواحدة والتاريخ والحضارة المشتركة، إضافة إلى الجغرافيا وحق الجوار وغيرها. "وقد جاءت المواقف والشعارات الجديدة في خطابات قادة تركيا الجدد وعلى رأسهم "أردوغان" متناسبة مع الثقافة والعقلية العربية، كما أن الجماهير العربية وجدت بها شيئا من رد الكرامة المهدورة، وفرصة لوقف حالة الانحدار العربي، ومواجهة التعنت الإسرائيلي، في ظل عجز الأنظمة العربية عن فعل شيء، وربما هذا ما يفسر سرعة انتشار شعبية أردوغان في الشارع العربي، حتى على مستوى نخب سياسية عربية حاكمة".[90] وما منَح تركيا فرصة أكبر لممارسة عثمانيتها الجديدة.

وقد عكفت الدبلوماسية التركية الجديدة على المزج بين هذه الرموز والشعارات (أي القيم والقواسم المشتركة) وبين قضايا إستراتيجية عصرية، حاسمة وملحة، يتقدمها الاقتصاد والنفوذ وأمن الحدود، بمعنى أنها تستثمر الماضي لخدمة الحاضر والمستقبل، أو أنها تسعى للوصول إلى موقع سياسي واقتصادي دولي مرموق، على غرار الذي كانت تتمتع به الدولة العثمانية من تعدد عرقي وقوميات مختلفة، وأقاليم ورقعة جغرافية واسعة، ومكانة دولية لا تنافس، بالإضافة إلى استظلال العالم العربي بظلها، ووقوعه ضمن حدودها ونفوذها، كركن أساسي

88- خشرم، عمر. 25\2\2012. (مقابلة). أنقرة.

89 William Armstrong. "'Neo-Ottomanism', pluralism, and economic development in Turkey."*Open Democracy*. (10 March 2012). http://www.opendemocracy.net/william-armstrong/neo-ottomanism-pluralism-and-economic-development-in-turkey

90- إبراهيم أبراش، "السياسة التركية: أيديولوجيا صدامية أم باريغماتية مستحدثة،" *صحيفة الأيام* (9/6/2010).

في الإمبراطورية. ويتجلى سعي "تركيا أردوغان" نحو هذا الهدف، من خلال سعي تركيا لتقديم لنفسها كقائدة في العالم الإسلامي، وكحام ومدافع عن شؤونه وقضاياه، والحريص على حل مشاكله وأزماته وخلافاته، والتقدم بالمبادرات وعرض الوساطة بشكل متكرر، وفي الوقت نفسه تقديم نفسها للغرب على أنها النموذج الديمقراطي الإسلامي في المنطقة، وأنها تمثل الإسلام المعتدل والمتحضر، الذي لا يتعارض مع الديمقراطية.

ويتوق الأتراك اليوم (أحفاد العثمانيين) كثيرا لعودة الدولة العثمانية بروحها، وهي روح مساعدة الشعوب على النهضة والتطور والتمسك بالعادات والتقاليد، والتحكم بالذات، حيث أن أهم ما كان يميز العثمانيون أنهم كانوا يديرون أنفسهم بأنفسهم في أوج قوة الإمبراطورية، وليس بتأثير من القوى الخارجية، كما هو الحال في غالبية البلاد العربية اليوم.[91] وطبقا لرؤية العثمانية الجديدة التي يراها ساسة تركيا الحاليين، فإن تركيا تحتاج إلى أن تعيد اكتشاف الموقع التركي الإمبراطوري، حيث المركز المؤثر في محيطه. وقد ساعدت عوامل عدة في تعزيز نزعات العثمانية الجديدة لدى حزب العدالة والتنمية، منها الاستعداد والرغبة في التوصل إلى تفاهم، والتأقلم مع الإرث التركي الإسلامي العثماني في الداخل والخارج. "ورغم أن العثمانية الجديدة لا تنادي بحكم إسلامي في تركيا، ولا بامبريالية تركية في الشرق الأوسط والبلقان، إلا أنها تسعى إلى احتضان التركة الإسلامية للإمبراطورية والتصالح معها، وتسعى إلى فهم أقل تشددا للعلمانية في الوطن، وإلى تأثير تركي ناعم في الأراضي العثمانية "سابقا". ولا ترى العثمانية الجديدة أي خطر أو تهديد، في منح الأقلية الكردية حقوقهم الثقافية، أو السماح لهم بالتعبير عن هويتهم القومية الكردية."[92]

كما وتمر تركيا اليوم بمخاض إعادة توجيه البوصلة- التي كانت موجهة لعقود صوب الغرب- وتضطلع البلاد بأدوار لم تكن على أجندتها قبل سنوات، وتنكب على استحداث مؤسسات لإدارة واقع جديد، قسم أساسي منه هو العودة إلى جوار غادرته منذ أمد، وإعادة التكامل معه.[93] وتسعى تركيا من خلال سياساتها الجديدة هذه إلى إعادة اللحمة مع الدول العربية والجوار، بعد القطيعة الطويلة غير المبررة، حتى تلعب دول هذه المنطقة دورا دوليا فاعلا، بعدما لعبت كل الأمم بهذه المنطقة، وهي تريد أن تقول: "كفى، لقد جاء الوقت لنطرح نحن مشاريعنا،" ويتزامن هذا مع رغبة قوية بتعزيز العلاقات الاقتصادية بين دول المنطقة.[94]

---

[91]- خشرم، عمر. 25\2\2012. (مقابلة). أنقرة.

[92]- Omer Taspinar. "Neo-Ottomanism and Kemalist foreign policy." *TodaysZaman* (22\9\2008). http://www.todayszaman.com/columnists-153882-neo-ottomanism-and-kemalist-foreign-policy.html

[93]-الصويان، *واقع الإصلاح* .

[94]- باكير، علي. 3\3\2012. (مقابلة). أنقرة.

واستنتج البعض هنا، أن العثمانية الجديدة باتت محركا مهما بــل أساســيا للسياســات الخارجية لحزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا، ولاسيما تجاه الشرق الأوسط، الذي يتزايد ارتباط البلاد به، ورغبتها في أن تصبح قوة إقليمية فعالة فيه، وهذا يعكس حسَّ العظمة والثقة بالنفس في السياسة الخارجية للبلاد.[95] وأن مبدأ العثمانية الجديدة يرى في تركيا قوة إقليميــة عظمى، باعتبارها دولة محورية ولا بد أن تلعب دورا سياسيا دبلوماسيا واقتصاديا نشطا فــي المنطقة التي تتوسطها.[96] ويعتقد باحثون أيضا أن "العثمانية الجديدة" هي التي تصبغ السياســة الخارجية لتركيا، فتركيا تقوم بدور فاعل في المنطقة الإقليمية، وتوظف هذا الدور في تعزيز صورتها الدولية، دون أن تعادي الولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبي، لكن التجربة التركية التاريخية (أي الدولة العثمانية) ذاتها غير قابلة للتكرار.[97] وهو أمر أكده الباحث التركي أحمد أويصال، والذي أشار إلى أن "أقصى ما يمكن حدوثه هو نوع من الاتحاد والتعاون على غرار الاتحاد الأوروبي، بحيث تتعاون دول هذه المنطقة بصورة ندية لا تبعيــة، وتتفــاهم علــى مجموعة من المبادئ تخدم مصالحها، وهكذا تربح جميع الأطراف".[98]

إذا فتركيا اليوم هي قوة إقليمية ذات أهمية اعتبارية، تقيم إســتراتيجيتها علــى مفهوم العثمانية الجديدة رغم أنها أحيانا تنكر وجودها. إن اهتمامــات وطموحــات تركيا العثمانية الجديدة لم تعد تتقاطع مع اهتمامات الولايات المتحدة أو أوروبا، ومع ذلك فإن واشنطن لا تزال تنكر بشدة حقيقة أن تركيا لم تعد حليفا غربيا، كما وتنكر بعناد واقعية تركيا السياسية والاجتماعية والثقافية الجديدة. إن تغير الدولة والمجتمع التركي، بروحه وثقافته المؤسساتية هي أمر حقيقي، وها هي النخب العلمانية التركية تراه يحدث الآن ولكنها مرعوبة، مصعوقة، وغير قادرة على القيام برد فعل، تعيش فقط للحاضر.[99]

بينما نسف المفكر الفرنسي ديديه بيون هذا المصــطلح "العثمانيــة الجديــدة" مســتهجنا استخدامه، ومعتبرا إياه خطأ منهجيا، لأنه لا يمكن المقارنة بين سياسية إمبراطورية سابقة في التاريخ، كانت مؤثرة لقرون عديدة، ولها هيمنتها على كامل منطقة البحر الأبيض المتوســط

---

[95]- OmerTaspinar. "**Turkey's Middle East Policies: Between Neo-Ottomanism and Kemalism.**"*Carnegie Endowment* (15\9\2008). http://carnegieendowment.org/2008/10/07/turkey-s-middle-east-policies-between-neo-ottomanism-and-kemalism/39k

[96]- Taspinar. *Neo-Ottomanism*

[97]- عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*، 211.

[98]- أويصال، أحمد. 12\4\2012. (مقابلة). أنقرة.

[99]- Trifkovic, *Neo-Ottomanism in Action*

تقريبا، ومنطقة مهمة من الشرق الأوسط والبلقان ووصولا إلى أسيا الوسطى، وبين سياسية جمهورية أسست منذ حوالي تسعين عاما والتي ليس لها أية إرادة هيمنة على غيرها.[100]

خلاصة الطرح أن العثمانية الجديدة تعني أن تركيا تبحث عن موقع جديد فعال، ودور مؤثر في المنطقة، ولا تسعى من خلال تبنيها لهذا الخطاب الجديد إلى إعادة الماضي العثماني ذاته، لأن ذلك بات ضربا من الخيال في ظل تطور مفهوم الدولة العصرية والقومية، وإنما تقتبس من هذا الماضي بعض الإضاءات التي تخدم مصالحها، وتكسبها ثقة الشعوب والنظم، وتعزيز صورتها ودورها واقتصادها بانفتاحها على البلاد العربية والتعامل معها ببراغماتية لتحقيق أهدافها المنشودة، وأن تتقي خطر التغيرات الإقليمية والدولية الحاصلة.

1 ولادة الفكرة واستخداماتها

يمكن القول ان مصطلح " العثمانيون الجدد" أو " العثمانية الجديدة"، بدأ بالظهور والتداول بقوة في الأوساط السياسية والإعلامية والأكاديمية منذ بداية هذا القرن وما رافقه من تغيرات في البنية الداخلية التركية والدولية. ثم شاع استخدام المصطلح في محافل كثيرة، وقد عزا الكثير من المراقبين نشأة فكرة العثمانية الجديدة وابتكارها إلى مستشار الشؤون الخارجية السابق لرئيس الوزراء التركي، ووزير خارجيته الحالي أحمد داوود أوغلو، عندما عبر في كتابه "العمق الاستراتيجي" عن مستقبل تركيا وعلاقاتها وسياساتها الخارجية الجديدة، وارتباطها بالعمق الإقليمي والتاريخي والحضاري الذي يحيطها، وقد استخدم أوغلو هذا المصطلح لأول مرة بشكل واضح في لقاء مع نواب من حزب العدالة والتنمية في معسكر "قيزلجه حمام"، حيث قال:

"إن لدينا ميراثا آل إلينا من الدولة العثمانية.. إنهم يقولون هم العثمانيون الجدد. نعم نحن العثمانيون الجدد، ونجد أنفسنا ملزمين بالاهتمام بالدول الواقعة في منطقتنا، نحن ننفتح على العالم كله، حتى في شمال أفريقيا. والدول العظمى تتابعنا بدهشة وتعجّب".[101] في إشارة إلى انفتاح تركي مستحدث على البلاد العربية واهتمام بالغ وواضح بشؤونها. وكان ذات الرجل قد قال قبل هذا القول الصريح في موضع آخر: "ان ما نسعى إليه هو أن يخرج الشرق الأوسط من أزماته ويتحول إلى منطقة تقوم مسيرة العولمة سياسيا واقتصاديا، هذا ممكن، ومن أجل

100- بيون، *تركيا غير قابلة*.

101- "أوغلو: نحن العثمانيون الجدد،" أخبار العالم.استرجعت بتاريخ 12/5/2011.
http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=31833

ذلك فأن المنطقة بحاجة إلى قيادة سياسية قوية تثق بنفسها وتطرح أفكارا إصـــلاحية جديـــدة وتستند إلى قاعدة اقتصادية سليمة"،[102] تلك القيادة التي ترى أنقرة في نفسها أنها الأقدر علـــى تسلم زمامها، والأجدر بها في المنطقة.

النبرة الخطابية ذاتها استخدمها رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان بحق العرب في كلمة ألقاها لدى افتتاحه قناة تلفزيونية موجهة إلى المنطقة وناطقة بالعربية (قناة التركيـــة) حين قال: "إن العالم من دونهم لا معنى له، وإن مصير ومستقبل اسطنبول لا يختلـف عـــن مصير ومستقبل أي مدينة عربية.. قد تكون الحدود السياسية خطت بين أوطاننا في التـــاريخ القريب، وربما الألغام قد زرعت بين دولنا، أو شيدت الجدران والسدود بين أراضينا، إلا أننا نمتلك من القوة والإرادة ما يجعلنا نتجاوز كل هذه العقبات".[103] كما وصف الرئيس التركـــي عبد الله غول لدى زيارته لدمشق، وصف سوريا بأنها بوابة تركيا إلى الشرق الأوسط، وأكـــد وقتها أن الزيارة تهدف إلى تنمية العلاقات مع سوريا على أساس الصداقة والاحترام المتبادل، لصالح المنطقة..[104] وإن كان ثمة بوابة للشرق الأوسط بالنسبة لتركيا كما وصف غول، فإن وجودها هذا يعني بالضرورة، أن هناك من سيعبر هذه البوابة، ألا وهـــي تركيـــا، حيـــث أن البوابة قد أُقيمت للعبور والتدخل في شؤون العالم العربي والشرق الأوســـط، وهـــو المجـــال الجيوسياسي اقتصادي الذي تحاول العثمانية الجديدة ان تسبح به بشكل أساسي.

وقد عبر كبير مستشاري أردوغان عن سياسة البلاد الخارجية الجديدة قائلا: " إن سياسة حكومة حزب العدالة والتنمية الجديدة ليست في اتجاه واحد، بل لها أبعاد متعددة، والهدف من ذلك تحقيق الأمن والاستقرار والسلم والرفاهية للجميع وخاصة في منطقتنا وفي المناطق المجاورة، وقد بذلنا قصارى جهودنا لتحقيق هذا الهـــدف، لذلك توسطت تركيا بين سوريا وإسرائيل مثلا، والحمد لله تقريبا أمضينا ستة أشهر وعقدنا خمس جولات وكنا على وشك الانتقال إلى مفاوضات مباشـــرة"... ولـــدى سؤال لذات المسؤول عن المصلحة، أو سبب الاهتمام التركي الحالي بإفريقيا، أجاب مستحضرا عثمانية البلاد: "لأن لتركيا تاريخ عميق وجذور قوية في هذه المنطقـــة، ونحن بقية الدولة العثمانية التي كانت لها علاقة قوية لمدة أربعمائة سنة مع الـــدول

---

[102]- ينظر: حلقة من برنامج "تحت المجهر" الذي عرضته قناة الجزيرة ، تحت عنوان " العثمانيون الجدد". بتاريخ 26/7/2007.
103- كمـال قبيسـي، أردوغـان.. بـائع الليموناضـة فـي شـوارع إسطنبول يـثلج قلـوب العـرب،" العربيـة نـت (6\6\2010):
http://www.alarabiya.net/articles/2010/06/06/110580.html
[104]- "غل بدمشق: سوريا بوابة تركيا للشرق الأوسط،" الجزيرة نت، استرجعت بتاريخ 12\2\2011،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/0E0BC2DD-B006-48CC-980A-ACDDD7820EC0.htm

العربية والإسلامية،[105] وصحيح أننا في فترة من الفترات قطعنا علاقاتنا بالماضي ولكن الآن بدأنا من جديد، وانطلاقا من تاريخنا وثقافتنا، بالقيام بالدور الذي يحتم علينا تاريخنا وثقافتنا فعله.[106]

إن الاهتمام التركي ببعض الدول الإفريقية لا يمكن النظر إليه من باب المصالح الاقتصادية التي يحاول التركيز عليها كثير من المراقبين ولاسيما الصومال الذي يموت شعبه جوعا "والذي شكل دخول تركيا الى ساحته بقوة (فتحا) للشعب الصومالي الذي عانى من الإهمال فترة من الزمن، كما أحدث مفاجأة لدى اللاعبين الإقليميين والدوليين والفرقاء الصوماليين على حد سواء. فتركيا الصاعدة سياسيا واقتصاديا وضعت كل ثقلها في محاولة لانتشال الصومال من كبوته وكانت مقاربتها مختلفة عن كل المبادرات التي عرفها الصومال. وقد ترجمت عمليا على الأرض رؤيتها المتمثلة في المزاوجة بين العمل الإغاثي الحقيقي والنهوض بالبنية التحية في سابقة هي الأولى من نوعها في الصومال، حيث نشطت جمعياتها الخيرية في مخيمات اللاجئين، وجلبت آلاف الأطنان من المساعدات".[107] فمن الواضح هنا أن العامل المبدئي الإنساني لدى تركيا فاعل بقوة، في ظل عدم وجود اقتصاد يذكر بهذه المنطقة.

2 مَن هم العثمانيون الجدد؟

لا بد من الإشارة هنا إلى أن لفظ "العثمانيون الجدد" لا يطلق على الساسة الأتراك عموما، ولا يطلق على تركيا كاملة بما تحوي من أحزاب سياسية وأعراق وقوميات مختلفة، وقوميين وراديكاليين وغيرهم، وإنما يطلق على الإسلام السياسي في البلاد،[108] وتحديدا يوصف به حزب العدالة والتنمية الذي يقود تركيا هذه الأيام. فالحقيقة أن ثمة معارضين بشدة للسياسات الأردوغانية العثمانية، وللتصالح والانفتاح التركي على العالم العربي، والابتعاد عن المحور الغربي. فهناك أتاتوركيون وقوميون يرون في تصالح تركيا ولحاقها بالغرب أفضل وأهم من هذا التوجه الجديد، فالفريق العلماني عموما يرفض بقوة "أسلمة" البلاد أو "عَثمنتها"، ويستميت لحماية النظام العلماني في البلاد، ويدعو للحداثة، والتحالف مع الغرب.

[105]- سنلاحظ في الفصول القادمة، ولدى رصدنا للعديد من تصريحات الساسة الأتراك، تكرار هذه اللهجة الخطابية التاريخية، واستحضار السنوات الأربعمائة المشتركة بين العرب والأتراك في ظل الدولة العثمانية.

[106]- أشلار، أمر الله. قناة الجزيرة (برنامج: الملف). 31/12/2010

[107]- مهدي حاشي، "قراءة في المشهد السياسي الصومال،" *الجزيرة نت* (23\3\2012)، http://www.aljazeera.net/analysis/pages/8eb24d2e-2422-4b4c-9a1b-2abc2ded0b8a#2

[108]-إدريس بووانو، *إسلاميو تركيا.. العثمانيون الجدد*. الطبعة 1(دمشق: مؤسسة الرسالة، 2005)، 75.

وأيدت غالبية المتابعين للسياسة الخارجية التركية هذه الفكرة، (ارتباط العثمانية الجديدة بحزب العدالة والتنمية) فقد خلص الفصل الثالث من كتاب (إسلاميو تركيا .. العثمانيون الجدد) إلى أن هذه التحولات التركية والسياسات الجديدة مرتبطة بإسلاميي تركيا، الذين أظهرت تجربتهم قدرا كبيرا من المرونة والواقعية السياسية في تعاطيها مع القضايا والملفات المطروحة على المستوى الداخلي والخارجي، وكذلك سلسلة النجاحات الباهرة التي تمتع بها هؤلاء على المستويين الخدمي والسياسي والاقتصادي.[109] "فالخلفية الإسلامية التي ينطلق منها حزب العدالة والتنمية لها تأثير كبير على التوجه التركي نحو العالمين العربي والإسلامي".[110]

ويمكن الاستدلال على ذات الفكرة من خلال قراءة تاريخ العلاقات التركية العربية منذ ولادة الجمهورية الجديدة، فقد كانت أفضل علاقات تركيا بالعرب في فترة حكم الزعيم السياسي الإسلامي نجم الدين أربيكان الوجيزة، حيث حاول أن "يؤسلم" البلاد، ويحسن علاقاتها بالعرب والدول الإسلامية، وأن يغير من سياسة الولاء للغرب، وأن يؤسس مجموعة اقتصادية للدول الإسلامية.. قبل أن يتم الانقلاب على حكومته عام 1997. كما شهدت علاقات البلاد مع العرب في فترة حكم حزب العدالة والتنمية- إسلامي الجذور- تحسنا لم يسبق له مثيل منذ تأسيس الجمهورية الجديدة عام 1924، وهذا يدل بشكل لا يقبل الشك أن تحسين العلاقة مع الدول العربية والإسلامية مرتبط بالإسلام السياسي التركي، وأن مصطلح العثمانيين الجدد مرتبط بهم أيضا.

ومع أن لفظ العثمانيين الجدد يُلصق بحزب العدالة والتنمية والإسلام السياسي في تركيا، إلا أن ثمة من يرفض فرضية وصف سياسة الانفتاح، والدور التركي الجديد في المنطقة "بالعثمانية"، ويعتبر ذلك مجرد تحريك ولعب بالعواطف "وذلك لأن حزب العدالة والتنمية حزب تركي خاض انتخابات مقابل أحزاب تركية أخرى، ومن الخطأ تنصيبه كزعيم للعرب، لأنه يريد أن يربح الانتخابات، وأن يكون زعيما لتركيا، ولا أن يقود جبهة ممانعة عربية، فالحزب يسعى لتطبيق سياسة (صفر المشاكل) مع الجميع، ويسعى لتحسين علاقاته مع الجميع بما فيهم العرب- الذي انفتح عليهم بشكل كبير- وحتى إسرائيل، قبل أن تخطئ في فهم السياسات التركية وتقتل تسعة أتراك من متضامني قافلة الحرية".[111]

---

[109]- المرجع السابق، 81.
[110]- أويصال، أحمد. 12\4\2012. (مقابلة). أنقرة.
[111]- بشارة، عزمي. قناة الجزيرة. 28/6/2010

3 دوافع العثمانية الجديدة

يشير الأكاديمي والمحلل السياسي عبد الله النفيسي، في هذا السياق، إلى أن ثمة أربعة مسارات (أهداف) لتركيا في المنطقة العربية، تسهم في تشكيل وصياغة علاقاتها وسياساتها فيها، ويضع في مقدمتها إعادة الاعتبار إلى الدولة العثمانية ودورها التاريخي، وهي التي حكمت المنطقة عدة قرون ونعمت بها شعوب المنطقة بالأمن والحماية من الاحتلالات الغربية، وثانيا أن حكومة أردوغان أرادت من خلال ممارستها لهذا الدور الاستثنائي تاريخيا، ان تحشد الداخل التركي المنقسم حول حزب العدالة والتنمية (وقد نجحت إلى حد بعيد)، والأمر الثالث أن تركيا أرادت أن تقول للإتحاد الأوروبي الذي رفض طلب عضويتها فيه بسبب إسلاميتها: أن ثمة عالما إسلاميا شاسعا من موريتانيا إلى جاكرتا سيقبلني إن لم تقبلوني أنتم كعضو في اتحادكم، إضافة إلى الاعتبار الرابع وهو كسب الأسواق العربية الواسعة، لتسويق منتجاتها، وزيادة التبادل التجاري الذي يعزز اقتصاد البلاد.[112]

ويمكن إضافة عوامل أخرى كثيرة إلى العوامل السابقة التي أشار إليها النفيسي والتي نتوافق معه تماما بشأنها، كالعامل الأمني، والسعي لحل مشكلة الأكراد، ووقف دعم او احتضان رموز وعناصر حزب العمال الكردستاني (المعادي لتركيا) من قبل سوريا والعراق، ومن ناحية أخرى التخوف التركي من الدور الإيراني الفاعل والنشط والمنافس، والصاعد بقوة في المنطقة العربية، ولاسيما في دول الخليج العربي والعراق وسوريا ولبنان وحتى فلسطين، إضافة إلى حاجة تركيا للثروات الهائلة التي تحويها البلاد العربية، من النفط والمواد الأولية.

ولكن الباحث يرى أنه لا يمكن بحال، تجاهل العامل الأيديولوجي، أو فصله عن باقي دوافع وأهداف تركيا من هذا الانفتاح والخطاب الجديد، بل أنه عامل مهم وأساسي فيه، فصحيح أن ثمة مصالح سياسية اقتصادية أمنية كبيرة لتركيا في هذا التوجه، ولكن الجانب الأيديولوجي السياسي والعقائدي- الديني لحزب العدالة والتنمية يسير جنبا إلى جنب، مع تلك العوامل والدوافع الأخرى، باعتبار أن الأيديولوجيا كما يعرفها البعض "مجموعة من القيم الخاصة بالتطور الاجتماعي التي تتبناها طبقة أو مجتمع أو قطاع سياسي في لحظة ما"[113] وليس أدلّ على ذلك من ارتباط الانفتاح والتقارب التركي مع العرب بنشاط ووصول الإسلام

[112]- النفيسي، عبد الله، قناة الجزيرة. 14/6/2010
[113] - السيد يسين، "الطريق الثالث:أيديولوجية سياسية جديدة". *مجلة السياسات الدولية*، عدد 135 (صيف السنة): 60- 72.

السياسي للحكم في البلاد، وسنرى ذلك بوضوح إذا ما نظرنا إلى التقارب غير المسبوق- منذ تأسيس الجمهورية- في عهدي حزب الرفاه وحزب العدالة والتنمية خلال وجودهما بالحكم.

إن الدور الإقليمي التركي يتأسس على اعتبارات موضوعية وعلى خلفية المصالح الوطنية التركية في المقام الأول، ولكن ذلك لا ينفي دور الخلفية الإيديولوجية التي ينطلق منها حزب العدالة والتنمية في توجيه سياسة تركيا الخارجية. ومرد ذلك أن "مسألة الهوية"، وهي مدركات الدولة لنفسها في مواجهة محيطها الجغرافي، تعد من أهم العوامل في رسم السياسة الإقليمية للدول الوطنية."[114] ومن ناحية أخرى فإن المصالح التركية في البلاد العربية بما تحوي من ثروات، ليست أمرا حديثا، تزامن مع قدوم العدالة والتنمية فقط، كما أن رفض أوروبا انضمام تركيا لاتحادها هو أمر قديم أيضا، لذلك يصعب القول أن الاقتصاد والمصالح المادية الأخرى للبلاد هي فقط المحرك الأساسي للعثمانية الجديدة، ودافعها الرئيسي رغم أهميتها، وإنما يلعب العامل الأيديولوجي دورا لا يمكن إغفاله. بل أن البعض اعتبر " أن الأيديولوجية الدينية باتت عنوانا رئيسا في نهج الحكومة التركية".[115]

ويشير مدير مكتب قناة الجزيرة في أنقرة الى أن "العامل الأيديولوجي عامل ودافع مهم من دوافع الانفتاح التركي على العالم العربي، ولو قلنا إن الأتراك تربطهم فقط المصالح والاقتصاد مع العالم العربي، فإن مصالحهم وتجارتهم مع الغرب اكبر بكثير من مصالحهم مع العرب، وقد يستفيدون من الغرب أكثر، لكن القرار الاستراتيجي التركي للتوجه للعالم العربي ذو مصدر فكري أيديولوجي.[116] ويؤكد باحث تركي أن الاهتمام بالقضايا العربية ولاسيما الفلسطينية، له أسبابه الحضارية والثقافية والتاريخية، حيث تحرص تركيا على التدخل لحل المشاكل في المنطقة، ولا تريد أن يأتي التدخل من الغرب.[117] فللخلفية الأيديولوجية التي ينطلق منها قادة حزب العدالة والتنمية أثر كبير في سياسات الحزب والبلاد الخارجية إضافة، فهم أناس محافظون ولديهم خلفيتهم الدينية، ولديهم فهم ومعرفة جيدة بتاريخ تركيا والمنطقة، ويدركون أهمية العلاقة مع العالم العربي، وفكرهم مختلف تماما عما كان عليه قادة تركيا السابقون.[118] ومن هنا لا نعتقد أن الرأي القائل أن السياسات الدولية لا تعرف الأيديولوجيات، هو رأي صحيح، ولاسيما أن الأيديولوجيا كانت محركا مهما في سياسات الكثير من الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة وإسرائيل، والاتحاد السوفييتي الشيوعي (سابقا)، وغيرهم.

---

[114]- اللباد، *الدور الإقليمي التركي*.

[115]أبراش، *السياسة التركية*.

[116]- خشرم، عمر. 25\2\2012. (مقابلة). أنقرة.

[117]- أويصال، أحمد. 12\4\2012. (مقابلة). أنقرة.

[118]- باكير، علي. 3\3\2012. (مقابلة). أنقرة.

ولعل المثال التالي يعزز الطرح السابق، وهو أن المنطق السياسي، ولغة المصالح يقولان أن مصلحة تركيا تقتضي الحفاظ على علاقات قوية مع دول قوية ومدعومة كإسرائيل، وبالتالي مع الولايات المتحدة ومن يسبح في فلكها من دول العالم، فما الذي يدفع أنقرة إلى التضحية بهذه العلاقة من أجل تبني قضية لشعب (منقسم ومشتت وضعيف)، وليس له اقتصاد يُطمع به، أو قوة سياسية أو عسكرية تُنتظر، كالشعب الفلسطيني؟، وما الذي يدفع تركيا إلى التضحية بأرواح مواطنيها وهي تحاول كسر الحصار عن قطاع غزة وهو البقعة الجغرافية الصغيرة النائية، التي يغض العالم كله الطرف عن إسرائيل وهي تحاصرها؟، لا بد أن ثمة شيء آخر قد دفع قادة تركيا الجدد لتبني هذا الموقف، غير الدوافع الموضوعية، وهو الخلفية الأيديولوجية والمبادئ التي ينطلق منها حزب العدالة والتنمية.

وهكذا الصورة في الحالة السورية، حيث شيدت تركيا معها خلال عقد من الزمن علاقات جد قوية، حتى ان أردوغان وبشار الأسد باتا صديقين شخصيين، وأبرمت الصفقات التجارية الكبرى، وألغيت تأشيرات الدخول بين البلدين، وأجريت مناورات عسكرية بينهما ... فمن مصلحة تركيا هنا– بالنظرة الموضوعية– أن لا تفسد تلك العلاقة الجيدة مع الأسد، فما الذي دفع تركيا الى الوقوف ضد نظام الأسد بشنها حملات خطابية قاسية، احتوى الكثير منها على التحذير والتهديد، وأن تتبنى الدفاع عن حقوق الشعب السوري، والتنديد بقمع المحتجين، في وقت كان فيه النظام قويا وله من يدعمه. هذا بلا شك يدفعنا الى التفكير مليا، بأن لغة المبادئ والأيدولوجيا سارت جنبا الى جنب مع لغة المصالح إن لم تتفوق عليها في هذه الحالة. ما نود قوله هنا أنه قد لا يتمكن العدالة والتنمية من تطبيق كافة مبادئه ومعتقداته الأيديولوجية دفعة واحدة من خلال ممارساته السياسية، نظرا للعلمانية التي تشربتها البلاد طويلا، ونظرا لوجود مقاومة ليست بسيطة لهذه الأفكار أو لبعضها من قبل أقطاب مختلفة داخل البلاد وخارجها، إلا أن الخلفية والدافع الأيديولوجي قد لعبا ولا زالا دورا ملحوظا في سياسة تركيا الجديدة.

4 -العثمانية الجديدة.. مراوغة الخطاب.

انقسم المحللون على بعضهم في الحديث عن أهداف أنقرة ونواياها من مشروعها "العثماني الجديد" هذا بين مشكك وناقد ومرحب ومؤيد له، فيقول مشكك:

"إن لهجة زعماء حزب العدالة والتنمية ونشاطهم الإقليمي الجديد الممتد من دول الخليج العربي إلى أفغانستان وباكستان ومنظمة المؤتمر الإسلامي، قد أفسحت مجالا للتوقع بأنهم قد غيروا توجه تركيا الغربي إلى ناحية الكتلة الإسلامية وذلك من أجل

إحياء الإمبراطورية العثمانية أو من أجل التوجه نحو الشرق. إن هذه الأمور غير صحيحة. إن الاتجاهات الأساسية في النشاط الإقليمي لتركيا التي نراها اليوم، كانت موجودة ومؤسسة بشكل جيد قبل وصول العدالة والتنمية إلى السلطة. كما أن العلاقة بأمريكيا "والناتو" ركائز أساسية للسياسة التركية لن تتغير".[119]

ويضيف آخر: "لست من المدرسة التي ترى في الموقف التركي الأخير تجاه العرب أنه استفادة من ظرف سياسي له مقاصد خفية، كما أنني لست من المدرسة التي تقول إن تركيا أقبلت على العرب لأنها تريد أن تتبنى كل قضاياهم وتدافع عنها في المحافل الدولية. إن إقبال تركيا له أسباب تركية، كتبت وقيلت علنا أكثر من مرة من نافذين في الحكم الحالي وهي (التأثير القوي في الإقليم) كما كتب وزير الخارجية التركي. لذلك فمعالجة الموقف التركي تجاه العرب من الناحيتين الأخلاقية أو المبدئية، كلتاهما خاطئة".[120] ويرى د. وليد الشرفا أن ثمة بالفعل خطابا عثمانيا جديدا لدى تركيا، لكن ذلك ليس مرتبطا بتغيرات جوهرية في السياسات التركية الخارجية، وعلاقاتها مع العرب وإسرائيل، باعتبار أن مؤسستي الجيش والقضاء هما المؤسستان الفاعلتان في البلاد واللتان أخذتا على عاتقهما الحفاظ على علمانية تركيا، وأن وصول حزب يتعاطف زعيمه أو بعض عناصره مع العرب لا يعني تغير السياسات التركية عامة، وأن السياسة التركية الخارجية ستعود إلى ما كانت عليه قبل العدالة والتنمية، في حال انتهاء فترة حكمه وفوز حزب آخر في الانتخابات المقبلة.[121]

كما يستشهد المشككون في صدق توجهات تركيا، بعلاقاتها وارتباطها الوثيق بالغرب اقتصاديا وقوميا وعسكريا (حلف الناتو)، وبحلف عسكري آخر مع إسرائيل أيضا. إلا أن أصحاب هذا الطرح يتجاهلون الكثير من التحولات الجوهرية في السياسة التركية الخارجية في عهد العدالة والتنمية، ويجلدون الحزب على عدم قدرته على تغيير سياسات بلاده التي سارت عليها لنحو ثمانية عقود دفعة واحدة خلال فترة حكمه. وفي هذا السياق يرد داوود أوغلو على المشككين في السياسة التركية الجديدة قائلا: "يجب على المثقفين العرب أن لا يشكّكوا أبدًا بإرادة صنّاع القرارات السياسية في تركيا. فقد بيّنا ذلك بوضوح خلال السياسات التي اتبعناها في السنوات الماضية. حيث أوجدت تركيا مبادرة استطاعت من خلالها جمع كل

119- د.م، *تركيا والشرق الأوسط*.
120- الرمحي، *تركيا التي لا نعرف*.
121- الشرفا، وليد. رام الله. (مقابلة) 2/4/2011

دول المنطقة قبل الحرب على العراق، لتضمن الحفاظ على وحدة أراضي العراق، حيث كانت معظم الدول تلتزم الصمت منتظرة ما سيحدث".[122]

إن سلسلة المواقف "الغيورة" على سمعة وصورة الماضي العثماني، التي اتخذتها حكومة أردوغان كرد على المسيئين لها، تدل على أن هذا الماضي العثماني يحتل مكانة متقدمة ومهمة لدى الحكومة التركية الجديدة، فعندما اتهمت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب الأمريكي الأتراك العثمانيين بتنفيذ مجازر جماعية بحق الأرمن وتهجيرهم، في الحرب العالمية الأولى، سارعت أنقرة باستدعاء سفيرها في واشنطن، ورفضت عودته حتى يتضح الموقف الرسمي الأمريكي. والأمر ذاته فعلته حكومة أردوغان عندما أعلنت استدعاء سفيرها في استوكهولم، بعد أن قرر البرلمان السويدي اعتبار مقتل الأرمن على أيدي القوات العثمانية إبادة جماعية. ومؤخرا وكرد فعل على تصويت الجمعية الوطنية الفرنسية في 22\12\2011، على مشروع قانون يجرم إنكار "إبادة الأرمن" من قبل الأتراك، ردت تركيا باستدعاء سفيرها في فرنسا، الذي غادر باريس تزامنا مع خطاب هجومي لرئيس الوزراء التركي على فرنسا، التي اتهمها بارتكاب إبادة في الجزائر بقتلها لـ 15% من الشعب الجزائري منذ عام 1945، كما أعلن أردوغان سلسلة من العقوبات السياسية والعسكرية ضد فرنسا، وقال إن تركيا ستعلق جميع الزيارات السياسية والمشاريع العسكرية الثنائية مع فرنسا، ومن بينها المناورات المشتركة بين البلدين.[123]

أما عن العلاقة مع إسرائيل، فيعتقد محللون أن أردوغان وغول (مؤسسا حزب العدالة والتنمية) يريان في إسرائيل خطرا إستراتيجيا ليس فقط على فلسطين والعرب بل على تركيا أيضا. وقد تجاهل الرجلان أردوغان وغول هذا الشعور وتابعا اتصالاتهما مع تل أبيب، ليس بمقياس الرضا أو الغضب منهما، بل بسبب المصالح العليا للدولة التي تجد نفسها مضطرة للحوار وأحيانا التعاون مع منظمات اللوبي اليهودي المؤثرة في أميركا. التي تتصدى لمساعي اللوبي الأرمني لتمرير قانون من الكونغرس الأمريكي يقر "المجازر" التي قام الأتراك بها ضدهم عام 1915، كما أنها تشجع المؤسسات المالية العالمية لإقراض تركيا والاستثمار فيها.[124]

---

[122] نور الدين، *تركيا الصيغة والدور*، 226.

[123] - "أردوغان يتهم فرنسا بارتكاب إبادة في الجزائر.. ويستدعي سفيره من باريس،" العربية نت، استرجعت بتاريخ 26\12\2011، http://www.alarabiya.net/articles/2011/12/23/184129.html

[124] - حسني محلي، "الموقف التركي من الحرب على غزة،" *موقع الجزيرة نت* (15\1\2009): http://www.aljazeera.net/NR/exeres/C8820C97-B26B-4B64-B960-1630E101E5EF.htm

من ناحية ثانية فإن تطوير تركيا للعلاقات مع إسرائيل، وتوقيع اتفاق التعاون العسكري بين البلدين من جانب تركيا، يجب أن لا ينظر إليه على انه عداء للعرب بل ان ذلك قرار تطلبه المصالح الإستراتيجية وليس موقفاً ضد العالم العربي.[125] ولكن إن كان التقرب التركي من إسرائيل سابقا كان سيساعد في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، فإنه في ظل رفض الاتحاد الأوروبي لهذا الانضمام بكل الأحوال، لم يعد هناك حاجة لهذا التزلف إلى إسرائيل.[126]

ويرى الصحفي الإيراني د. محمد رضا "أن تركيا خسرت في علاقاتها مع الغرب وإسرائيل التي كانت على حساب العالمين العربي والإسلامي، أكثر مما ربحت، لذلك فهي تحاول ترميم تلك العلاقة واستعادة دورها، لكن هذا التغير لن يكون خلال يوم وليلة.[127] ويقول الكاتب التركي مصطفى أوزجان: "إن تركيا تغيرت مائة وثمانون درجة، إذ كان البريطانيون والفرنسيون قد حرضوا العرب ضد الأتراك، وحرضوا الأتراك ضد العرب، أما اليوم فتركيا تهتم بشؤون العرب جميعا لكن هذا الدور التركي في المنطقة لا يزاحم مصر على موقعها، رغم أن الدور المصري بدأ يضعف ويتآكل."[128]

5 مظاهر عثمانية في سياسة تركيا.

من مظاهر عثمانية تركيا الجديدة، أنها تتحرك في المشرق العربي، ومنطقة الهلال الخصيب. ويَنصَب خطابها السياسي الجديد حول تصور لتطوير العلاقات التجارية والاقتصادية مع سوريا والأردن ولبنان والعراق لتصل إلى تبادل سوقي، تمهيدا لإقامة سوق مشتركة صغيرة. كما تحرص تركيا على صفاء العلاقات التركية- المصرية والتركية الخليجية وخصوصا السعودية، حيث تسعى تركيا لإقناع القاهرة والرياض بأن عودتها للشرق الأوسط لن تكون على حساب أحد.[129]

في هذا السياق شدد مسؤول تركي على ضرورة أن تكون هناك رؤية إستراتيجية مشتركة مع الدول العربية، مشيرا إلى أن تركيا شكلت في سنة 2008، آلية للحوار الاستراتيجي مع دول الخليج، والتعاون الاستراتيجي مع سوريا ولبنان والأردن، وانتقد

---

[125] - زكي الطويل، مستقبل *العلاقات العراقية الإيرانية التركية 1923-2007*. (د ب: مركز الدراسات الإقليمية، 2008)، 106.
[126] - باكير، علي. 3\3\2012. (مقابلة). أنقرة.
[127] - رضى، محمد. قناة القدس الفضائية (برنامج اتجاهات). 5\1\2011.
[128] - أوزجان، مصطفى. قناة القدس الفضائية (برنامج اتجاهات). 5\1\2011.
[129] - شكري الصيفي، "استعادة الحكم العثماني.. الدلالات والآفاق،"*صحيفة الطليعة*. العدد1837، (17/3/2010)، http://www.taleea.com/newsdetails.php?id=13048&ISSUENO=1837

المسؤول بشدة حالة الانقسام التي تشهدها الساحة العربية، والانقسام الفلسطيني أيضا، مشددا على ضرورة الوحدة، وحول إفريقيا تحدث نائب رئيس الوزراء التركي قائلا: أن قضية السودان تعني لنا الشيء الكثير، وقد أعلنت تركيا أن عام 2005 هو عام إفريقي في تركيا، وفي عام 2008 عقدت القمة الإفريقية في تركيا، وأصبحت تركيا عضوا مراقبا في الاتحاد الإفريقي، كما بدأت تركيا تفتتح سفارات لها في كافة أنحاء إفريقيا بعدما كان عدد سفاراتها بالقارة السوداء يعد بالأصابع.[130]

وفي كلمة له أشار داود أوغلو ان السياسة الخارجية لتركيا تطورت من كونها ذات توجه أزماتي إلى كونها قائمة على رؤية، أي أن تركيا لم تعد دولة تقوم فقط برد فعل على الأزمات ولكن تلاحظ الأزمات قبل ظهورها وتتدخل في الأزمة بفعالية وتهتم بالمنطقة المحيطة. حيث أن على تركيا مسئولية تعزيز استقرار الدول والشعوب التي لتركيا صلات معها، وهم بالتالي يعيدون استحضار العصر العثماني بطريقة كانت لا يمكن تخيلها قبل عقد خلا. وبالإضافة الى تمثيل 70 مليون تركي فان على تركيا دَينا لهذه الأراضي التي كان فيها أتراك أو التي تعود إلى أرضنا في الماضي، يجب علينا تسديد هذا الدين بأفضل طريقة، كما يرى أوغلو.[131]

6 -دور العرب في بروز العثمانية الجديدة.

رغم أن العرب ظلوا لعقود طويلة عديمي التأثير "الحقيقي" في الساحة الدولية والقضايا الجوهرية، وسليبي القرارات الذاتية والسياسات المستقلة، إلا أنه كان لهم وللظروف الصعبة التي كانت تغرق بها البلاد لعربية دور مساعد في نشوء العثمانية الجديدة والتقارب التركي العربي، وقد تزامن الإهتمام التركي وتصاعد لهجة الخطاب العثماني تجاه العرب، بحزمة من التحولات الجوهرية والتغيرات في الساحة العربية، ويمكن إجمال دور العرب والظروف التي ساعدت في صناعة العثمانية الجديدة بما يلي:

- التغيرات الكبيرة في منطقة الشرق الأوسط والحرب الأمريكية على العراق عام 2003 وما رافقها من تخوفات تركية كبيرة أجبرتها على الاهتمام بشؤون هذه المنطقة.
- ازدياد الحاجة التركية إلى النفط العربي وإلى الأسواق العربية الواسعة لمنتجاتها
- الفراغ في المنطقة، والغياب للدور العربي الناتج عن الضعف والتشرذم العربي.

130- أشلار، أمر الله. قناة الجزيرة (برنامج: الملف).31/12/2010.

131 - Trifkovic, Neo-Ottomanism in Action.

- الرغبة العربية في خلق شريك اقتصادي متطور، وسياسي قادر على المساعدة في النهوض بقضاياها وحل خلافاتها. ثم انهمار الاستثمارات العربية على تركيا القريبة جغرافيا والتي لم تتأثر بالأزمة المالية العالمية، والتدفق الكبير للسياح العرب الى تركيا في العقد الأخير. وفي المقابل حصول تركيا على فرص ذهبية كبيرة للاستثمار في البلاد العربية بمبالغ ضخمة وافتتاح شركات عملاقة كالتي في ليبيا والخليج العربي.
- التخوف العربي من الدور الإيراني المتزايد، والمد الشيعي الملحوظ في المنطقة.
- عجز العرب عن مواجهة إسرائيل أو الوصول الى اتفاق سلام معها في ظل تعنتها. والحاجة السورية لكسر العزلة الدولية عنها .
- عقد عشرات المؤتمرات الدولية في البلدان العربي حول العلاقة مع تركيا وأهمية تعزيزها، وحدودها، كمؤتمر التعاون الصناعي التركي العربي الذي عقد في ليبيا في 3\6\2012. وغيره وقد عقدت مؤتمرات كثيرة أخرى مماثلة بخصوص قضايا عربية مختلفة، كمؤتمر أصدقاء سوريا الأول، والثاني الذي عقد في 1\4\2012، أو المؤتمر الدولي حول الصومال الذي عقد في 31\5\2012 في اسطنبول.
- توجيه دعوات متكررة للجهات التركية لحضور والمشاركة في فعاليات مهمة في الأقطار العربية.
- لقد فتحت العواصم العربية أبوابها وباتت قبلة لرئيس الوزراء التركي، ووزراء حكومته ونوابه وقادة البلاد والخبراء والمسؤولين في شتى المجالات.

إن هذه العوامل وغيرها تدل بما لا يدع مجالا للشك أن ثمة ترحيبا عربيا بالدور التركي، وهناك مساهمة لا يمكن تجاهلها من قبل العرب في ميلاد مشروع العثمانية الجديدة.

7 في نقد العثمانية الجديدة

إن كانت العثمانية الجديدة تعني في أحد جوانبها تحسين تركيا لعلاقاتها مع العالم العربي والإسلامي والجوار، والتغلغل فيه على حساب علاقاتها بالغرب، فإن هذا التوجه بالتأكيد لن يكون محل ترحيب الغرب ولن يلتزم الصمت تجاهه، رغم أن سياسات تركيا الخارجية ليست كذلك، فتركيا "تسعى إلى معانقة الغرب بنفس القدر الذي تحتضن به العالم الإسلامي"،[132] ومع ذلك فإن تقارب تركيا وانفتاحها على الشرق أمر يثير هواجس الغرب تجاهها وتجاه دورها

[132] - Taspinar, *Neo-Ottomanism*.

الجديد ومواقفها المتحولة، لان الغرب لم يكن يرد تركيا يوما شرقية، بل أرادها دوما بلدا غربيا في الولاء، دون منحها امتيازات كعضوية الاتحاد الأوروبي وغيرها. فالغرب الذي كان نجاحه في إسقاط الدولة العثمانية عيد كبيرا تمكن على إثره من استعمار معظم أقاليمها ونهب ثرواتها، يتوجس من تلك العودة الجديدة، بل قد يقاتل من أجل عدم التوحد بين العرب والأتراك. ومن ناحية أخرى فإن أطرافا داخلية تركية، وكذلك بعض الأطراف العربية كانت ترفض العثمانية الجديدة، لكي لا تنافسها على النفوذ والأدوار في المنطقة.

ويمكن لنا القول أن هناك معارضة ونقد للعثمانية الجديدة من قِبل أربعة أطراف على الأقل، وهي القوميون الأتراك والفريق العلماني في البلاد، والغرب عامة، وبعض الساسة أو الأنظمة العربية، إضافة إلى إسرائيل. فقد وجد بعض الساسة والكتاب الغربيين أنفسهم أمام توجه تركي يحتم عليهم أن يرفعوا أصواتهم ويستلوا أقلامهم ويكتبوا في نقد العثمانية الجديدة، فكتب أحدهم أن "العثمانية الجديدة هي الشيء الوحيد الذي لا نحتاج له"[133] بينما رأى آخر أن سياسة أردوغان ليست مجرد إيذاء للمشاعر الدبلوماسية، وإنما سياسة دمار للأمن التركي، لأنها تبتعد عن حليفتها الإستراتيجية أمريكا، وتتيح المجال لنشاط "الإرهاب الإسلامي".[134]

أما إسرائيل، فبدورها ترى في تحولات سياسات حليفها الاستراتيجي والعسكري الأول في الشرق الأوسط، أمرا خطيرا خصوصا بعد الأزمات الحادة في العلاقة بين البلدين، والتي اشتدت وتيرتها عقب حربها على قطاع غزة. فإسرائيل التي تحرص على كسب صداقات في محيطها، يزعجها بل ويقض مضجعها خسارة حليفا استراتيجيا تقيم معه علاقات على كافة الصعد منذ تأسيسها، وكان موازيا للخصم التقليدي لها وهو العرب، وقوة رادعة لأي تحرك ضدها، ومن هنا فإن العثمانية الجديدة لا تعني بالنسبة لإسرائيل أنها خسرت حليف وحسب، بل أن النقطة الأخطر هي أن هذا الحليف المفقود ذاته قد ذهب ليتصالح مع العدو التقليدي لإسرائيل، ويدعم مواقفهم دوليا، ويهتم بشؤونهم، ويشيِّد معهم علاقات دبلوماسية واقتصادية وأمنية مختلفة، ومن هنا فإن في العثمانية الجديدة خطر على إسرائيل، وهي أمر مرفوض تماما بالنسبة لها.

133- . "Neo-Ottomanism Is All We Don't Need". *My Right Word*. (27\4\2009). http://myrightword.blogspot.com/2009/04/neo-ottomanism-is-all-we-dont-need.html

134- Michael Rubin,"Shifting Sides? The problems of neo-Ottomanism," *Middle East Forum* (10\8\2004). http://www.meforum.org/628/shifting-sides

الباب الثاني: ملامح الخطاب العثماني الجديد

إن كنا قد اتفقنا على أن ثمة خطاب عثماني جديد لتركيا، وحددنا القصد من هذا المفهوم، فإن ثمة عدة ميزات وملامح اصطبغ بها هذا الخطاب الذي يمارسه قادة حزب العدالة والتنمية التركي الحاكم، فمن خلال رصدنا لسلسلة من المواقف السياسية والخطابات والتصريحات تجاه العالم العربي والجوار، تمكنا من رصد عشر من الخصائص والملامح العثمانية، التي ميزت هذه الخطابات، والتي نوجزها بالتالي:

أ –اقتصادي

يشكل الاقتصاد احد أهم دوافع عجلة السياسة الخارجية التركية سواء نحو الغرب، أو الشرق، فشهوة التنمية الاقتصادية، وجلب الاستثمارات الأجنبية، وكسب أسواق جديدة لصادرات البلاد ومنتجاتها، وتعزيز التبادل التجاري مع محيطها، والوصول الى مصادر المواد الأولية الرخيصة، أهداف أساسية ومغرية، وبات السعي لتحقيقها أمر ضروري في سياسة تركيا، ويسهم بشكل أو بآخر، في صياغة القرار السياسي الخارجي لهذا البلد الصناعي الصاعد، وما تفسير حرص تركيا القديم الحديث على الانضمام إلى أسرة الاتحاد الأوروبي إلا في هذا السياق (الاقتصادي). وقد احتل التعاون الاقتصادي مع البلدان العربية حيزا كبيرا من خطابات ساسة تركيا وعثمانييها الجدد، وكان حاضرا بقوة في الكثير من المحافل والزيارات بين الطرفين، ولعل الدعوات التركية المتكررة لإنشاء مجموعة الدول الإسلامية الثمانية، التي ابتكرها "نجم الدين أربيكان" أوضح أشكال "العثمانية الاقتصادية".

بل اعتبر كثيرون أن أحد أهم أسباب فوز حزب العدالة والتنمية بأغلبية في الانتخابات النيابية، هو الرغبة بمكافئة الحزب على إنجازاته ونجاحاته الباهرة، وخططه الاقتصادية المميزة التي انتشلت البلاد من مستنقع فساد وتضخم اقتصادي خطيرين،،[135] ومن هنا فإن أحد ملامح وميزات الخطاب التركي "العثماني" الجديد أنه اقتصادي، أي أنه يأتي لدوافع وأهداف اقتصادية، ومشبع بلهجة اقتصادية تعاونية واضحة، لذلك فالاقتصاد فاعل مهم ومحرك أساس في علاقة تركيا مع العالم العربي. حيث بدأت تركيا منذ عقدين من الزمن لأسباب إستراتيجية وذاتية، تتذكر حديقتها الخلفية "البلاد العربية". "وتقوم هذه الأسباب الذاتية لهذا التوجه التركي في المنطقة على أساس المصالح الوطنية، حيث تشكل الدول العربية أولاً سوقاً ممتازة للسلع

[135]- عبد العاطي، تركيا بين تحديات، 215.

التركية التي تحظى في المنطقة بتنافسية لا تحظى بها بالضرورة في السوق الأوروبية. وثانياً تشكل المنطقة العربية بما تملكه من احتياطات للطاقة عامل جذب بأهمية استثنائية لتركيا التي يتزايد الطلب فيها على النفط والغاز".[136] لذلك سنرى أن ثمة المئات من الاتفاقيات الاقتصادية، والصفقات التجارية، والعقود والاستثمارات المتبادلة لتركيا ولاسيما في الدول العربية المجاورة والنفطية، كليبيا والسعودية والكويت والعراق وسوريا وقطر، وحتى الأردن التي دعا رئيس غرفة تجارتها "نائل الكباريتي" ورئيس غرفة الصناعة فيها د. حاتم الحلواني، دعيا الوفد الاقتصادي التركي الذي زار عمان أواسط شهر كانون الأول 2011، لدراسة امكانات وفرص الاستثمار وإقامة مشاريع تركية في الأردن، للاستثمار بشكل منفرد أو بالمشاركة مع أردنيين، وإقامة شراكات تجارية وصناعية وخدمية فيها.[137]

ب إسلامي

تنبع إسلامية الخطاب التركي الجديد من مصدرين، أحدهما كون حزب العدالة والتنمية حزبا ذا جذور إسلامية، وهذا بالضرورة سينعكس على لغة ساسته الخطابية، رغم أنهم يعلنون صراحة أنهم يحترمون النظام العلماني الذي تسير عليه تركيا منذ عقود، ولا يسعون لتغييره. والمصدر الثاني لإسلامية هذا الخطاب هو أنه موجه لعالم عربي وإسلامي، باعتبار أن الإسلام هو أكبر قاسم مشترك لتركيا معه، " فالإسلام جسر معنوي مهم للتواصل بين الدول العربية وتركيا،"[138] لذلك فإن خطاب القيادة التركية لا زال يؤكد على أن تركيا جزء من العالم الإسلامي رغم ما شهدته من تغريب، وأن ما ينطبق على بقية البلدان الإسلامية ينطبق عليها، بل أن تركيا تسعى إلى أن تكون دولة رائدة في العالم الإسلامي من خلال ترأسها لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ومن خلال قبول الغرب لها كدولة "الإسلام المعتدل"، الذي لا يتعارض مع الديمقراطية، كما يؤكد أردوغان وساسته في خطاباتهم.

وقد ظهر بشكل واضح الوجه السياسي الذي ينتمي إلى الهوية الإسلامية في تركيا، فرغم أن حزب العدالة والتنمية يعلن صراحة أنه ليس حزبا إسلاميا، إلا أن الهوية الإسلامية التي تتمثل في فكر وسلوكيات أعضاء الحزب وجذورهم الحزبية التي تعود الى فترة حزب الرفاه، التي تشربوا خلالها الأفكار السياسية ذات المرجعية الإسلامية، لا تدع مجالا للشك بأن الشعب

---

[136]- اللباد، مصطفى. *الدور الإقليمي التركي*.
[137]- "مباحثات أردنية تركية لتنويع التبادل التجاري،" موقع أخبار العالم. 13\12\2011.
http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=49108
[138]- الطويل، *مستقبل العلاقات*، 106.

قد اختار الحزب ذا الهوية الإسلامية، ولو لم يعلن عنها بشكل مباشر.[139] والحقيقة أن لا شيء يثير الغرابة والتعجب في إعلان الحزب عن علمانيته، إذا أدركنا طبيعة وشروط الدستور التي لا تسمح بتأسيس الأحزاب الدينية.[140] وقد ظهرت مظاهر الأسلمة في خطاب أردوغان بوضوح أكثر من بقية القادة الأتراك، وهو ابن "المؤسسة الدينية" الذي درس في مدارسها، قبل أن ينخرط في العمل السياسي بانضمامه لحزب الرفاه، كما أن إسلامية الرجل قادته إلى السجن أربعة أشهر عام 1999، بعد قراءته بيتين من الشعر يدعوان إلى جعل الدين الإسلامي مرجعا لمؤسسات البلاد والجيش.[141] حيث يبدو أن طموح الرجل يتمثل في العودة الى ما قبل عهد أتاتورك، عندما كانت تركيا دولة إسلامية وقوة إقليمية عظمى.

وفي الـ 2011، ها هو أردوغان يدافع عن الإسلام كدين وحضارة، وينتقد الصورة السلبية التي يرسمها الغرب عن الإسلام قائلا:

"في الغرب مشكلة نعيشها، وهي ما يتعلق بقضية الإسلامفوبيا (الخوف من الإسلام)، للأسف أنهم يذكرون الإسلام دائما مع الإرهاب، ويحاولون إلصاقه به، نحن ننظر إلى"الإسلامفوبيا" على أنها تهمة ضد الإنسانية، كما أن معاداة السامية هي تهمة ضد الإنسان، فلا نسمح لأحد أن يذكر الإسلام مقترنا بالإرهاب، أنتم عندما تذكرون الإرهاب مع الإسلام فهذا تحقير للمسلمين، وكما تعلمون فإن الإسلام يأتي من جذر السلم والسلام، ودين يأتي من السلام لا يرضى بالإرهاب أبدا، ولا يجوز لأي مسلم أن يكون إرهابيا، ونحن بدورنا يجب أن ننصح بالقول اللين، وألا نسمح لأحد أن يتكون في عقله إسلاموفوبيا.."[142]

ويكاد ما ينطبق على أردوغان ينطبق على بقية قادة وأعضاء حزبه، ولكن الذي يجب تأكيده أن هذا الخطاب لا يعني أن بإمكان حزب العدالة والتنمية أسلمة البلاد ومؤسساتها عاجلا، والعودة بها إلى ماضيها العثماني بالمعنى الديني، وذلك بسبب محاربة الفريق العلماني لهذا التوجه، ويرون فيه وفي الانفتاح على العالم العربي مكمن ضعف للبلاد ودفع بها نحو الرجعية والتخلف. إضافة إلى أن المبادئ الأتاتوركية لا تزال راسخة في عقول تيارات واسعة من الشعب التركي غير الراغبة بالأسلمة.

---

[139]- عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*، 103.
[140]- بووانو، *إسلاميو تركيا*، 80.
[141]- قبيسي، *أردوغان بائع*.
[142]- أردوغان، رجب طيب. قناة الجزيرة (برنامج بلا حدود). 12/1/2011

ولكن ما يمكن قوله هنا، أنه في ظل (حكم العدالة والتنمية) سيتاح مجال أكبر من الحرية والأسلمة وممارسة العبادات، وافتتاح لمزيد من المؤسسات الإسلامية، في ظل وجود حـــزب إسلامي في السلطة، أكثر من ذي قبل، والذي يحاول بالطرق القانونية الناعمة انتزاع مزيد من الأوراق والصلاحيات من أيدي مؤسستي الجيش والقضاء العلمانيتين، ومن ناحية ثانية، يرى فريق ناقد آخر، أن إدخال قادة "العدالة والتنمية" لـــبعض مظـــاهر الأســـلمة فـــي سياســـاتهم وخطاباتهم، وخلق مساحات أكبر من الحريات الدينية داخليا، يأتي في إطار المناورة، أو الدنو من العالم الإسلامي ومن شارعه الذي لا يزال يوصف بالمحافظة.

داخليا ورغم أن العدالة والتنمية، لا يتبنى الخطاب الديني بتلك الحدة التي كـــان يتبناهـــا (نجم الدين أربيكان)، إلا أن الضابط السابق في الجيش التركي "أحمد إرغينسوي" يرى أن:

"الحكومة تسعى لأسلمة البلاد، والعودة بها إلى الـــزمن العثمـــاني، والـــى العـــالم الإسلامي، وهي تستخدم الإعلام جيدا في إقناع الناس بخططها وتوجهاتهـــا، ومـــن خلال ترويج التاريخ التركي الإسلامي، وتزيينه وتأكيد أهميته لدى الشعب التركي، وأهمية العلاقة مع العالم الإسلامي، وبعد ذلك تسعي لتطبيق الشريعة علـــى غـــرار إيران، وهي تسير خطوة خطوة بهذا الاتجاه، لنجد أنفسنا ذات يوم أننا فـــي دولـــة إسلامية تحد من الحريات، وهو الأمر الذي لا يرغبه الشعب"[143]

كما أكد "إرغينسوي" أن التيار الديني الإسلامي في تركيا افتتح في الآونة الأخيرة الكثير مـــن المؤسسات الدعوية، والمدارس والجمعيات الدينية، كجمعية (Camaat Okulu) التي تقـــوم بجهود دعوية كبيرة، وتقدم خدمات للكثير من المواطنين والمحتـــاجين، وتســـاعدهم مجانـــا، لاستقطابهم وخدمة أهدافها، وهي جمعيات تحظي بتأييد من الحكومة.

لكن في ما يبدو أن حكومة أردوغان تلعب على وتر منح الحريات، وممارسة العبادات، أكثر من محاولتها الظهور بالنظام الإسلامي الذي يطبق الشريعة، ففي اليوم الثاني للإعـــلان عن فوز حزبه في الانتخابات عام 2002 قال أردوغان أمام حشد جماهيري "سوف لن يكون هناك شيء اسمه إلقاء القبض على أولياء الأمور، أو وضع الحديد في أيدي الشباب المعارض لمنع المحجبات من التعليم"، وأضاف أن حزبه سيرفع كل العوائق الموضوعة أمـــام حريـــة التعبير.[144] وقد أدخل حزب أردوغان تشريعات جديدة تسمح للنساء بارتـــداء الحجـــاب فـــي

143- ErginsoyAhmet. 1\3\2012. (مقابلة). أنقرة.
144- بووانو، *إسلاميو تركيا*، 78.

الجامعات والمؤسسات الرسمية. إضافة لرفع الحظر وفتح المجال لإنشاء المـدارس الدينيـة، كمئات المدارس التابعة "لحركة كولن"[145] التي يتزعمها المفكر الإسلامي فتح الله كولن، التـي تعتبر العمود الفقري (للإسلام الاجتماعي) في تركيا. ثم تخفيف القيود المفروضة على طلاب المعاهد الدينية المعروفة بمعاهد "إمام خطيب" والسماح لهم بالالتحاق بالجامعات، وهي خطوة رأى فيها الفريق العلماني تعزيزا للبنية التحتية للفكر الديني وتغلغله بالمؤسسات العليا.[146]

ت باريغماتي

المصلحة العليا للدولة التركية– كما في أي دولة في العالم– هي المحرك والمصدر الأول لصناعة القرار السياسي الخارجي، والإطار الذي يحكم عمل الساسة وصناع القرار الأتراك، بغض النظر في كثير من الأحيان عن منعطفات تاريخية، أو خلافات عقائدية، أو أزمات مـع الجوار، فهذه الأمور كلها تُطوى أمام المصلحة الآنية لتركيا، لذلك فتركيا تعمل من منطلـق باريغماتي نفعي بحت، يبعد للوهلة الأولى فكرة الصراع على الدور، بعكـس منطـق دولـة كإيران، التي تفكر بعقلية الهيمنة وتصدير الأفكار. فأنقرة انفتحت بقوة على دمشق ولعبت دور الوسيط بينها وبين إسرائيل، ثم وثقت العلاقة مع سورية، بإلغاء تأشيرات الدخول معها وفـتح الحدود أمام البضائع. كما حسنت تركيا علاقاتها مع العراق، وشماله، بعد عقود تأرجحت فيها هذه العلاقات بسبب قضية حزب العمال الكردستاني الذي اتخذ من شمال العراق مقـرًا لـه ومعبرا لضرب القوات التركية، كما تحسنت العلاقة مع اليونان– العدو التـاريخي لأنقـرة– بشكل ملحوظ، رغم استمرار وجود بعض القضايا الخلافية والتوترات. والوضع نفسه قائم مع بلغاريا التي تحسنت علاقات تركيا معها بشكل لافت، وقد حاولت أنقرة القيام بالشيء نفسه مع أرمينيا، فوقعت بروتوكولا لإعادة العلاقات فيما بينهما إلى طبيعتها.

وقد قامت حكومة العدالة والتنمية بخطوة تاريخية في مجال العلاقة مع الخارج، بإعـادة صياغة قائمة الأعداء والأصدقاء بشكل دراماتيكي أصبح معه العدو صديقا والصديق مشروع عدو. فأزيلت دول مثل روسيا والعراق وإيران وسوريا من قائمة الدول المعاديـة، وتنامـت العلاقات التركية– الإيرانية اقتصادياً وسياسياً جيدا. بينما تم اعتبار السياسـات الإسـرائيلية تهديدا للاستقرار الإقليمي، ما يعني تهديد للأمن القومي التركي. ومن هنا يمكـن القـول أن تركيا لا تسعى إلى خلق أزمات أو خلافات مع أي بلد في العالم، وهي تسعى جاهدة لتطبيـق

---

[145]- منال لطفي، "تركيا من أتاتورك الى أردوغان،" *موقع الشرق الأوسط*، الحلقة السادسة http://www.aawsat.com/details.asp?section=3&article=442785&issueno=10558،(2007\10\25)

[146]- كركوكلي، *أزمة الرئاسة*، 12.

مبدأ "صفر المشاكل"، فلأسباب باريغماتية ونفعية جاءت سياسات الانفتاح والتصالح مع الجميع، بمعنى أن تركيا تصادق الجميع من أجل كسب أكبر قدر ممكن من المنافع وإن كان الأمر أحيانا يتناقض مع مبادئ وقيم تنادي بها كالديموقراطية، وحرية الشعوب، ورفض الإمبريالية، فتركيا تنادي بمثل هذه المبادئ، هي التي تقيم أقوى العلاقات مع الغرب الإمبريالي، والقوى الاستعمارية الغربية، وهي ذاتها التي تتعامل مع النقيض الإيراني والدول والأنظمة الديكتاتورية والشمولية التي تُسلب بها الحريات العامة الديمقراطية.

ومن مظاهر باريغماتية تركيا، أنها تتعامل مع الواقع العربي الحالي كما هو، رغم الفساد المستشري في عروش معظم حكامه. وبهذا تصل باريغماتية تركيا إلى حد يمكن تسميته "بالنفاق السياسي" والتناقض بين المبادئ والسياسات، من أجل المنافع المختلفة والمكاسب الاقتصادية. وهذا ما دفع كثيرا من المحللين الى القول أن التوجه التركي شرقا هو توجه باريغماتي، وجيد لاقتصادها استثماراتها. ومن هنا فإن بعض القطاعات العلمانية في البلاد التي لم تكن تقتنع بانفتاح تركيا شرقا، وعلى العالم العربي، فإنها في هذه اللحظة قد اقتنعت نظرا لما حققه هذا الانفتاح من منافع، إضافة إلى أنه ليس بوسع الاقتصاد التركي أن ينافس اقتصاد الولايات المتحدة ولا دول الشرق الأقصى، وبالتالي فإنه ينافس في عالمه ومحيطه، العربي والإسلامي ودول الجوار.[147] فعودة تركيا الى الساحة الشرق أوسطية، جاءت في الواقع لتخدم المصالح الوطنية والجيوسياسية لتركيا قبل أي اعتبارات أيديولوجية.[148]

ث توحيدي جمعي تصالحي تشاركي تعاوني

يحاول خطاب تركيا الجديد التركيز على القواسم المشتركة مع العالم العربي، وإظهار البلاد على أنها موحدة ومرتبطة بهذا العالم بعلاقة عضوية، وأن ما يتعرض له من مشاكل وأزمات تعتبر مشاكل للجميع، وعلى الجميع مواجهتها كطرف واحد، ويحاول الخطاب التركي أيضا إشراك تركيا في كافة القضايا- غير الأزمات- عند الحديث عن الجانب الاقتصادي، والتعاون بين بلدان المنطقة، والقمم المشتركة، وكذلك في القضايا السياسية، والأيديولوجية وغيرها، وهنا يقول أوغلو:

[147] - بشارة، عزمي. قناة الجزيرة (برنامج في العمق). 28/6/2010
[148]- عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*، 214.

"ترى تركيا أن لها مصيرا مشتركا يجمعها بالدول العربية، ولذا فإنها تعمل بكل ما أوتيت من جهد وتأثير على حل مشكلات المنطقة باعتبارها مشكلاتها الخاصة.[149] وتثمِّن تركيا دور الدول الفاعلة في المنطقة وقدرتها على تقديم إسهامات جادة في المبادرات التي تتعهدها، وتأمل أن تتعاون دول المنطقة على حل مشكلاتها بجهد مشترك، وكأفراد في أسرة واحدة. ومن المتوقع أن يتمخض المستقبل القريب عن نتائج إيجابية لهذا التعاون، ستظهر آثاره على صعيدي أمن المنطقة والمجتمع الدولي."[150] وقد أشار أوغلو إلى الجانب التعاوني مع العرب والشعوب العربية في مقابلة متلفزة عقب نجاح ثورتي مصر وتونس قائلا: "علينا تقديم المساعدة لهذه الشعوب الراغبة في الديموقراطية، والحرية والاستقلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي، حتى تحقق أهدافها، ونحن سنكون دائما إلى جانب مصر وتونس وكل بلدان المنطقة، وسنواصل العمل من أجل حرية واستقرار ورفاهية وسلام شعوبها".[151]

وقد تحدث الرئيس أردوغان وكأنما يقاسم اللبنانيين والعرب همومهم وأحزانهم، في إشارة إلى وحدة الهم والمصير والقضية، لدى حديثه عن أيام الحرب الإسرائيلية على لبنان، وكذلك لدى حديثه عن غزة وما تتعرض له من مذابح إسرائيلية عند اعتباره أن الدم الفلسطيني والتركي دم واحد، وكذا الأمر لدى حديثه عن العنف في العراق وغيره من أماكن التوتر. لا شك أن الكثيرين ينظرون لمثل هذا الخطابات على أنها "عثمانية جديدة" لما فيه استحضار لدفاع الدولة العثمانية عن أقاليمها التي تواجه مخاطر أو عدوان خارجي.

ج شرق أوسطي

تكاد تكون الدول العربية الواقعة في منطقة الشرق الأوسط، هي العالم العربي بالنسبة لتركيا وربما للكثير من دول العالم، باعتبار أن هذه المنطقة هي الأكثر أهمية وتأثرا وتأثيرا في العلاقات العربية التركية، وهي مصدر الصراع وعدم الاستقرار في المنطقة والعالم، وفي الوقت ذاته فإنها تحوي قدرا كبيرا من الثروات النفطية والمواد الأولية، أضف الى ذلك كله العامل الجغرافي والجوار، ومن هذا المنطلق، فقد حظيت هذه المنطقة باهتمام بالغ في حسابات الساسة الأتراك، وقد عبرت أنقرة بوضوح عن اهتمامها بمنطقة الشرق الأوسط

---

[149]- مثل الجهود التركية المبذولة للوساطة بين الأطراف اللبنانية المختصمة، والوصول الى حل وسط يرضي الجميع ويحل الأزمة اللبنانية والخلاف السياسي، وكذلك عرض الوساطة بين حركتي فتح وحماس - المنقسمتين سياسيا- من أجل المصالحة، بالاضافة الى التوسط الفعلي بين سوريا وإسرائيل، وعرض الوساطة بين الزعيم الليبي معمر القذافي والثوار إبان الثورة في ليبيا..وغيرها.

[150] - أوغلو، *العمق الاستراتيجي*، 12.

[151]- أوغلو، أحمد داوود. قناة الجزيرة (برنامج لقاء اليوم). 14/2/2011

ضمن نظرية الشرق الأوسط الجديد، التي ما انفكت الولايات المتحدة تنادي بها، لذلك أشار داوود أوغلو: "نحن نريد شرق أوسط جديد مع كل إخواننا من دول وشعوب المنطقة، شرق أوسط يعكس إرادتنا المشتركة، التي نعيش بفضلها في منطقة يسودها السلام والاستقرار والرفاهية، وتعيش فيها كل الأعراق والطوائف في سلام ووئام.[152] وكأن أوغلو ينقلب بخطابه هذا على مشروع الشرق الأوسط الأمريكي بطرحه لمشروع شرق أوسط آخر بديل عنه، وبمعايير مختلفة جديدة تلبي طموحات دول المنطقة وتخدم مصالحهم.

ولم تكن تصريحات رئيس الوزراء التركي "أردوغان" عقب فوز الحزب بنصف أصوات الناخبين في انتخابات حزيران 2011، إلا جزءا من هذا الاهتمام التركي والتوجه الشرق أوسطي، وهي تعبير واضح عن فلسفة العثمانية الجديدة، ولاسيما أنه اعتبر أن انتصار حزبه في الانتخابات هو انتصار لأنقرة واسطنبول كما هو انتصار لغزة والضفة الغربية والقدس ورام الله وجنين وبيروت ودمشق، وهو انتصار للشرق الأوسط وأوروبا والبلقان أيضا، لان الذي انتصر – برأي أردوغان– هو الحرية والديمقراطية والعدالة والسلام، وأن الديمقراطية التركية ستكون نموذجاً للعالم وللمنطقة.[153] لذلك فقد ربط أردوغان مصير بلاده بمصائر عواصم ومدن عربية في الشرق الأوسط، وربطها بمصير غزة والقدس، على غرار الاهتمام البالغ الذي كانت تحظى به هذه الأقاليم إبان الحكم العثماني. ولكن يرى باحثون أن ميل تركيا للاهتمام بالشرق الأوسط وقضاياه، الذي أخذ يتصاعد منذ احتلال العراق، وبلغ ذروته بعد العدوان الإسرائيلي على غزة أواخر 2008، أنه رغم تزامن هذه العودة التركية الى الشرق الأوسط مع تولي حزب العدالة والتنمية للحكم، إلا أن هذه العودة التركية تخدم في الواقع المصالح الوطنية والجيوبوليتيكية لتركيا قبل أي اعتبارات أيديولوجية.[154]

ح تاريخي

لقد نال التاريخ والملمح التاريخي أهمية بالغة في خطابات قادة تركيا الجدد، نظرا لأن التاريخ قد ربط الأتراك بالعرب لقرون طويلة، عاشوا خلالها سوية مع قوميات وأعراق أخرى تحت مظلة الدولة العثمانية، وانصهروا جميعا في بوتقتها، وقد صنعوا التاريخ، وفتحوا الفتوحات، وحموا حمى الإمبراطورية معا، ومن هنا يحاول الخطاب التركي الجديد استغلال

---

[152]- المرجع السابق.
[153]- الخطاب الذي ألقاه أردوغان من شرفة مقر حزب العدالة والتنمية في أنقرة عقب إعلان نتائج الانتخابات التي فاز بها حزبه يوم 12/6/2011، عرضته وسائل إعلامية كثيرة منها قناة التركية والجزيرة والقدس ونشر في الكثير من الصحف والمواقع الالكترونية
[154]- عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*، 214.

هذه الهالة التاريخية التي تحيط بالدولة العثمانية وعظمتها، واستحضار محطاتها وأحداثها المشرقة، والصور الوردية من هذا التاريخ المشترك، وفي المقابل تحاول الخطابات التركية محو أو تغيير ما علق في بعض الأذهان من صور سلبية عن الأتراك وحكم الدولة العثمانية ولاسيما في أواخر حكمها عند المثقفين والقوميين العرب، حيث ازدادت الأزمات والمشاكل.

كما يقول د. أوغلو: "لم تكن الهيمنة العثمانية (على الأقاليم العربية) بِنيّة استعمارية تحول دون تطورها، بل كانت درعا واقيا لها آن ذاك، أمام الحركات الاستعمارية الغربية التي عملت كإعصار عارم على تصفية ثقافية لمناطق مختلفة من العالم. ودون إدراك هذه الحقيقة، يكون من الصعب أن تتغير صورة العداء للعثمانيين الراسخة في ذهن المثقف العربي".[155] ويمارس أوغلو بطرحه هذا خطابا تاريخيا عثمانيا بامتياز، ولكن بثوب جديد، عندما يؤكد أن تركيا كانت الحامية للعرب ومصالحهم واستقلالهم وحريتهم، وبالتالي لا يمكن بحال النظر إلى الحكم العثماني للبلاد العربية كاحتلال، بل كان نافعا وضروريا للعرب، وكذلك الدور التركي الحالي لا بد أن يكون نافعا ومرحبا به في البلاد العربية.

ومن جهته عرج رئيس الحكومة التركي "أردوغان" كثيرا على التاريخ المشترك مع العرب في غالبية خطاباته تجاههم، فعندما قال: "نحن كشعوب هذه المنطقة سطرنا تاريخا مشتركا متكاتفين متعاونين مع بعض، لقد تقاسمنا كشعوب على مر التاريخ الحلو والمر والألم والسرور، لن ننسى هذا أبدا. ولن يستطيع احد أن ينال من هذه الأخوة والصداقة، أو ان يبذر بذور الفرقة بيننا، أو يبرد العلاقات التي تجمعنا.."[156] وبالنظر سريعا إلى القطيعة الكلية التي رسخها نظام أتاتورك مع نظام الإمبراطورية العثمانية، والنظر إلى هذا الخطاب "الأردوغاني" سيتضح مدى الفجوة الخطابية الحاصلة، وأن ثمة بالفعل تركيا جديدة غير تلك الكمالية.

وقد استحضر "أردوغان" في سياق العلاقة مع العرب جملة قالها السلطان العثماني سليم الأول قبل أكثر من قرن، وهي (أنا لست حاكم الحرمين الشريفين، وإنما أنا خادمهما)، ويقول هنا أردوغان " إذا نحن خدم للحرمين ولسنا حاكمين لهما، وهذا أساس في السياسة التركية، لأن الذي يحكم هو من يخدم الناس، ونحن لم نأت إلى هناك لنكون حاكمين، بل جئنا لنكون خدما".[157]وقد حاول أردوغان هنا مزج التاريخي بالديني بالسياسي، في خطاب عثماني واضح

---

[155]- أوغلو، *العمق الاستراتيجي*، 443.
[156]- نقلت خطاب أردوغان هذا مجموعة من وسائل الإعلام ، في 18/11/2010. كقناة المنار والمستقبل والجزيرة..
[157]- أردوغان، رجب طيب، قناة الجزيرة (برنامج بلا حدود). 12/1/2011

للعالم العربي. وقد كانت خطابات تركيا عموما زاخرة بمثل هذه المعـاني التـي تستحضـر التاريخ وتمجد الدولة العثمانية، وتحسن صورتها، ولاسيما من قبل ثالوث: (أردوغان– غول– أوغلو) صانع السياسة الخارجية. ويتضح هنا أن أحد الأسباب الموضـوعية لـدور تركيـا الإقليمي الجديد في المنطقة، يتلخص في توافر تاريخ مشترك بين تركيـا والعـرب ووجـود تقارب ثقافي وحضاري بينهما، وهو ما لا يجعل تركيا عنصراً وافداً إلى المنطقـة، ويسـهل قيامها بهذا الدور.[158] ومن هنا سيكون التاريخ أحد أهم ملامح الخطاب التركـي "العثمـاني" الجديد، وأداة مهمة من أدوات الترويج لتركيا وتسويقها عربيا وإسلاميا وشرق أوسطيا، ومن ثم التمهيد لذاك الدور المحوري الذي ترقبه عين تركيا في المنطقة.

خ- وسطي معتدل متوازن

ينتهج حزب العدالة والتنمية التركي الحاكم سياسات متزنة وسطية ومعتدلة، في خطاباته السياسية وفي تعاطيه مع شتى القضايا الداخلية والخارجية، فهو لا يغالي في فكرة أو قضـية معينة على حساب أخرى بشكل يثير مناهضيها، بل يحاول دائمـا الإمسـاك بالعصـا مـن المنتصف، حتى يكسب جميع الأطراف، "ومن الواضح أن الحكومة التركية بقيادة أردوغـان استطاعت حفظ التوازن بين دوائر ثلاث تنتمي إليها البلاد، وهي:

1) الدائرة الأطلسية، باعتبار تركيا عضو في حلف شمال الأطلسي.

2) الدائرة الشرق أوسطية، التي تنتمي إليها تركيا يفرض عليها استحقاقات لا مفر منها.

3) والدائرة الإسلامية، حيث الأيدولوجيا الدينية باتت عنوانا رئيسـيا فـي نهـج الحكومـة التركية".[159]

كما استطاعت تركيا الموازنة بين العلمانية والإسلام، وما بين العلاقة مع إسرائيل وتأييد الفلسطينيين وانفتاحها واصطلاحها مع العرب وسوريا، والتوازن في العلاقة مع دول جـوار متعارضة السياسات، كما أن تركيا تمكنت من الموازنة بين الحضـارة والتـاريخ والثقافـة المحلية من جهة وبين الحداثة والديموقراطية والتغريب من جهة أخرى، فأردوغان الذي قـال أنه يحترم النظام العلماني ولا يسعى إلى تغييره، ولا يجد حرجا في أن تصحبه زوجته التـي ترتدي الحجاب في العديد من المؤتمرات والمحافل الدولية (باعتبار أن الحجاب رمزا دينيـا)، بينما يضم الحزب الذي يتزعمه أيضا، الكثير من النساء غير المحجبات.

---

[158]- اللباد، *الدور الإقليمي التركي*.
[159]- أبراش، *السياسة التركية*.

وأشار محللون الى أن حزب العدالة والتنمية "قدم مفهوما جديدا للوسطية بين العلمانية والقوى الإسلامية، ولذلك لم يوفر للعلمانيين سببا لمهاجمته،[160] بل أن ذلك جعله أكثر قبولا، وزاد شعبيته، في وقت تعرض فيه العلمانيون أنفسهم للضعف وقلة الشعبية. ومن هنا فإن الوسطية والخطاب الوسطي لحزب العدالة والتنمية أمر مربح، ويدر على الحزب المزيد من المنافع السياسية التي تخدم مصالح البلاد وعثمانيته الجديدة، ولاسيما في البلاد العربية التي تصطدم بخطابات أكثر تطرفا وأدلجة كالخطاب الإيراني أو الإسرائيلي.. وغيرها.

د -مرتبك مضطرب

لقد ولد حزب العدالة والتنمية الحاكم اليوم في تركيا، في حقل من التحديات العظام، أشبه ما يكون بحقل ألغام، وكان على الحزب الفتي أن يتجاوز برشاقة ودقة كل هذه الألغام حتى يتمكن من البقاء والاستمرار، لأن أي منها كان قد يودي به وبمستقبله السياسي إلى الأبد. وقد كان بعض هذه التحديات التي واجهها الحزب منذ مهده، سياسيا، وبعضها اقتصاديا، وبعضها عسكرية أمنية، وأخرى أيديولوجية..، جزء منها داخلي، وآخر خارجي. فلكونه حزب ذو جذور إسلامية في بلد تشرب العلمانية لعقود، فهذا بحد ذاته تحد كبير بالنسبة للعدالة والتنمية،[161] ولاسيما أنه قد ولد من رحم ذات الحزب الذي لم يمض سوى بضع سنوات على الانقلاب على حكومته وحله، وهو حزب الرفاه.

وقد كان الفساد الذي كانت حكومات البلاد السابقة ومؤسساتها غارقة به، وعملية إصلاحه ومعالجته، يشكل تحد آخر. أما الاقتصاد التركي الذي كان يحتضر ويقف على حافة الهاوية، والمديونيات الخارجية المنهكة، والبطالة والتضخم، فهذه أيضا تحديات خطيرة أخرى. يضاف الى ذالك ما تعانيه البلاد من مشاكل داخلية أمنية وعسكرية، والمواجهة مع حزب العمال الكردستاني، وآلية التعامل مع دول الجوار التي تؤوي أقليات كردية، وتلك الدول التي بينها وبين تركيا عداء تاريخي، كالأرمن واليونان وغيرها، إضافة إلى ارتباط تركيا مع حلف الأطلسي، وما يمليه ذلك عليها من التزامات وتعاون عسكري، كالحرب على العراق، و التعنت في قبول البلاد في عضوية الاتحاد الأوروبي.. وغيرها من الأزمات التي لا تنتهي. وهنا كان لا بد للعدالة والتنمية أن يواجه هذا المزيج المعقد من التحديات بالجملة، وأن يتخطاها بحنكة ورشاقة وتوازن عجيب.

160- العلاف، *تركيا والعلمانية*.
161- كركوكلي، *أزمة الرئاسة*. ص7.

ولعل هذا ما يفسر ما يمكن وصفه بالارتباك في بعض المواقف والخطابات، والتخبط السياسي أحيانا، الذي رافق بعض سياسات الحزب الخارجية والداخلية، فرأينا تخبط مواقف وخطابات حكومته تجاه الثورات العربية، وغياب عنصر الحسم في سياساته (كما يتبين في الباب الرابع من هذا الفصل)، إضافة الى التردد حتى اللحظة الأخيرة في اتخاذ قرار المشاركة في الحرب على العراق عام 2003 من عدمه، الأمر ذاته تجاه المشاركة في العملية العسكرية لحلف النيتو في ليبيا..

ومن أسباب غياب عنصر الحسم في المواقف، صعوبة موازنة العدالة والتنمية أحيانا بين ثنائية "المبادئ والمصالح"، فبينما تملي عليه عثمانيته الجديدة الانفتاح على الشرق العربي والإسلامي، ترقب عينه في الوقت ذاته عضوية الاتحاد الأوروبي، وارتباطات البلاد الاقتصادية والقومية والعسكرية مع الغرب. وكذلك الموازنة بين العلاقة بأمريكيا والعلاقة بالإسلام السياسي الصاعد في المنطقة، والذي ينتمي الحزب له، وكذلك آلية التعامل مع الإخوان المسلمين، أو حركة حماس مثلا، أو دعمها للقضية الفلسطينية، وكذلك الموازنة بين دعم القضية الفلسطينية، والانفتاح على العرب بشكل عام من جهة، وبين العلاقة مع إسرائيل التي يربطها بها حلف عسكري متين، واتفاقيات تجارية كبيرة من جهة أخرى. كل هذا بلا شلك، جعل من الخطاب التركي في كثير من الأحيان، خطابا مرتبكا ومترددا، وقد سقط أحيانا في بعض الأخطاء، لذا تحتم على قادة العدالة والتنمية ممارسة الخطاب المدروس بعناية فائقة.

ذ - شعبوي جماهيري

لم تكن الأنظمة العربية التي تحسنت علاقات أنقرة بها كثيرا، هي الأطراف المستهدفة من الخطاب العثماني التركي الجديد وحسب، بل وكانت الشعوب العربية أيضا هدفا لها، فالشعب في أي بلد هو فاعل أساسي، ومحرك مهم من محركات السياسة والاقتصاد والأمن، لذا فقد صيغت خطابات عثمانية نوعية، في الدوائر السياسية العليا في تركيا، ونال الخطاب الموجه للشعوب والجماهير العربية العريضة نصيبا مهما من الخطاب التركي العثماني العام الموجه للعالم العربي، وذلك من خلال ربط مصائر الشعوب العربية بمصير الشعب التركي، والحديث المستدام عن اهتمام تركيا بمصالح الشعوب العربية، وضرورة منح هذه الشعوب حريتها، وتحقيق مطالبها، والكف عن قمعها. وقد تجلى هذا الخطاب العثماني الموجه للشعوب العربية بشكل أساسي في عام الثورات العربية(2011)، الذي كان لتركيا مواقف مختلفة فيه، كما هو موضح بالتفصيل في الباب المخصص للثورات.

وقد أكد الباحث في الشؤون التركية فادي حاكورة: "أن تركيا هدفت الى استرضاء الشعوب من خلال مواقفها إبان الثورات العربية".[162] وينادي الأتراك بضرورة التغيير والإصلاح السياسي استجابة لمطالب الشعوب التي لها حق التظاهر السلمي أيضا، وأنهم لا يمكن أن يتغاضوا عما يحدث بالمنطقة من أجل العلاقة مع زعماء وقادة، لأن إرادة الشعب أولا، حيث أكد أرشاد هرموزلو نائب الرئيس التركي تجاه ثورة الشعب السوري: "من الطبيعي أن ندعم مطالب الشعب السوري، مثلما فعلنا في جميع الدول العربية التي شهدت انتفاضات شعبية، فلا بد للسلطات السورية من الإصغاء لمطالب الشعب.[163] فما الذي تريده تركيا من الشعوب العربية؟.

لا شك أنه بات للشعب قوة وتأثير لا يمكن بحال إغفالهما، ولاسيما بعد التغيرات الراديكالية المفاجئة التي أحدثتها شعوب عدد من الدول العربية التي ثارت على أنظمتها، وتمكنت من الإطاحة بها، ومن هنا فإن ترويج تركيا لذاتها في الأوساط الشعبية، أمر بالغ الأهمية، ويجني لها منافع لا حصر لها، ويفتح عليها حركة اقتصادية ضخمة، فإن استطاعت تركيا أن تجعل من ثلث مليار مواطن عربي مستهلكين لمنتجاتها تكون قد حققت هدفا كبيرا، لكنه تحقيقه ليس سهلا، فرغم أن المنتجات التركية تفوق العربية جودة، إلا أن المنتجات الأوروبية تتفوق عليها وتلقى قبولا عربيا أكبر. ومن ناحية أخرى فإن السهام الأيديولوجية الموجهة من كل حدب وصوب تجاه الشعوب العربية، سواء الشيعية، أو الليبرالية.. وغيرها تجعل من تركيا منافسا حقيقيا في هذا المجال، ولاسيما لجارتها إيران، التي هي الأخرى تعمل ليلا نهار، من أجل مد نفوذها السياسي والاقتصادي والأيديولوجي في المنطقة العربية، والتي لها من التأييد الشعبي ما لها، فتركيا السنية كما غالبية الشعوب العربية، تحاول الدخول من هذه النافذة أيضا، لتقول للشعوب العربية أنها الأقرب لهم، ومن هنا- بالإضافة إلى دوافع أخرى – جاء الاهتمام التركي بالشعوب العربية، في الخطاب التركي الجديد.

ر -أمني

لقد عانت تركيا ولا زالت الكثير، من الفوضى الأمنية القائمة في جنوبها الشرقي، والتي تصفعها بقوة بين الفينة والأخرى، والتي كبدتها ولا تزال الكثير من الأرواح في صفوف جيشها ومواطنيها، وأنهكت ميزانيتها، بل أن أحد أسباب بطء تطور البلاد اقتصاديا هي تلك

[162]- حاكورة، فادي. قناة BBC (مقابلة تلفزيونية). 2011\5\13.
[163]- محفوض عقيل، *سوريا وتركيا نقطة تحول أم رهان تاريخي* (الدوحة: المركز العربي للدراسات والسياسات، 2012)، 57.

المشكلة، التي تتلخص في حزب كردي انفصالي، هو حزب العمال الكردستاني، يقوم بشن هجمات عسكرية على أهداف للجيش التركي، وأخرى إستراتيجية للحكومة، وبدورها ترد الحكومة والجيش التركي على تلك الهجمات بقوة مضادة، ما يكلفها في كثير من الأحيان خسائر بشرية ومادية بالغة. ويتحصن الحزب– الذي يدعو إلى إنشاء دولة كردية مستقلة – في شمال العراق، وله جيوب وخلايا تعمل داخل الأراضي السورية والإيرانية، يتخذها قواعد ينطلق منها لتنفيذ هجمات داخل الأراضي التركية، وأخرى تعمل داخل الأراضي التركية ذاتها، وتتخفى في الأوساط المدنية، وفي الجبال الوعرة التي يجهلها الجيش التركي.

لذلك فقد كانت المعضلة الأمنية تشكل هاجسا ما انفك يطارد كافة المستويات والأطياف السياسية والعسكرية والمدنية في تركيا، وبما أن القواعد الأساسية لهذا الحزب في الأراضي العربية، فإن الذي سيساعد تركيا في اتقاء خطر هذا الحزب، وكسر شوكته هم العرب، وتحديدا سوريا والعراق، لذلك فإن تعاون هاذين البلدين في ذلك، يعتمد الى حد كبير على طبيعة العلاقة مع أنقرة، فكلما كانت العلاقات السورية والعراقية بأنقرة حسنة، أمكن المساعدة والتعاون في حصار هذا الحزب وملاحقة فلوله، ولسوء حظ أنقرة فقد كانت علاقاتها بهذين البلدين خلال العقود السبعة الماضية في غالبها علاقات مضطربة ومتوترة، ومن هنا فقد وجد حزب العمال الكردستاني في هاتين الدولتين حضنا دافئا، وملاذا آمنا للإعداد، والانطلاق منه لشن هجماته.

ومن هنا كانت العثمانية الجديدة، والسياسة الخارجية التركية الجديدة، تقتضي تحسين العلاقة مع هذين البلدين، وإيلاء القضية الأمنية اهتماما بالغا في الخطاب الخارجي، والعلاقة معهما، لذلك رأينا ان هناك تحسنا لافتا في العلاقة التركية مع سوريا، وتطور غير مسبوق، قبل أن تتوتر العلاقة مؤخرا بين البلدين مطلع عام 2011 إبان الثورة السورية، وممارسات النظام القمعية بحق الشعب، واعتراض تركيا على ذلك. وقد حظي الملف العراقي منذ الاحتلال الأمريكي له عام 2003 باهتمام بالغ في حسابات الساسة الأتراك، كونه ملف خطير وحساس ويخفي الكثير من التعقيدات والأوحال السياسية والأمنية والعرقية والاقتصادية، وتتنافس عليه أقطاب دولية مختلفة، كما كانت الضربات القاسية لتركيا تنطلق في معظمها من شمال العراق، حيث القواعد الرئيسية لحزب العمال الكردستاني، في هذه المنطقة ذات الغالبية السكانية الكردية. وقد نظرت أنقرة إلى فكرة تقسيم العراق بقلق وتوجس كبيرين، لما يشكله ذلك من خطر على أمنها القومي ووحدة أراضيها مستقبلا، حيث كان موقف الحكومة التركية دائما يؤكد أن إقامة كيان أو حكم ذاتي للأكراد في شمال العراق، أمر مقلق ومرفوض كليا

بالنسبة لتركيا، لخشية الأخيرة من أن ينشر هذا الكيان سمومه في المنطقة كلها، وأن يطمع أكراد تركيا في إقامة كيان مشابه له في البلاد.[164] ما يعني تعزيز موقع حزب العمال، وازدياد قوته، الأمر الذي سيضاعف من مشاكل تركيا الأمنية، ويعقد جهودها لمكافحته.

وقد حاولت تركيا التغلغل في العراق، والتدخل في شؤونه وقضاياه، على غرار التدخل الإيراني، وكان على الدبلوماسية التركية أن تتعامل مع العراق كله جملة وتفصيلا، بمختلف ألوانه وأطيافه، وأن تقف على مسافة واحدة منهم، بما فيهم قادة إقليم كردستان العراق، حتى يكون دورها مقبولا ومرحبا به، وأن تتمكن من حشد التأييد لعملياتها ضد العمال الكردستاني، وخلق أدوات أو أطراف أخرى تواجهه، وهو أمر مهم، ولاسيما إذا ما كان من الداخل العراقي ذاته.

"إن لعب تركيا لدور إقليمي في المنطقة، يعني أكثر من مجرد اتقاء شر حزب العمال الكردستاني، ومعالجة المشكلة الكردية، فهو إضافة إلى ذلك يعني بالضرورة المشاركة في تحديد الأجندة الإقليمية والوصول بخطوط الدفاعات إلى أبعد من الأراضي التركية. وخاصة أن تركيا كانت تاريخياً ضحية لعمليات إرهابية سواء على خلفية سياسية كالمشكلة الأرمينية أو الكردية، أو على خلفية إيديولوجية مثل عمليات الجماعات الدينية المتشددة التي تنشط في دول جوارها الجغرافي."[165]

إن تركيا لا تحكم جوارها اليوم، كما كانت الدولة العثمانية، وشعوب الجوار ليسوا رعايا عندها حتى تضمن ولائهم لأمنها القومي، لكن حاجتها إليهم لا تقل عن حاجة الدولة العثمانية إليهم وللأسباب ذاتها، أي أن المعطيات تبدلت والحاجة لم تتبدل.[166] ولعل تركيا تتطلع إلى ما هو أبعد من ذلك، أي إلى خلق "شبه حلف" أمني جديد، لمقاومة الابتزاز الغربي لها، ومواجهته باستنادها لشبه الحلف هذا. الذي سيخلق توازنا مع نظيره الغربي، وهنا نلاحظ أن الخطاب التركي "العثماني الأمني" موجه بالدرجة الاولى إلى سوريا والعراق، لكنه لا يقتصر عليهما، حيث أن مضامينه الباطنية تطال غيرهما في المنطقة، ومن هنا تأتي أهمية الخطاب الأمني.

---

[164]- كرامر، *تركيا المتغيرة*، 217.
[165]- اللباد، *الدور الإقليمي التركي*.
[166]- الصويان، *واقع الإصلاح*، 263.

تحتل منطقة الهلال الخصيب مكانة كبيرة بالنسبة لتركيا، فلتركيا أطول حدود يابسة وتداخل جغرافي مع هذه المنطقة، قرابة 1200 كلم من الحدود المشتركة (822 كلم مع سوريا، و352 كلم مع العراق)، عدا عن التداخل العرقي والديموغرافي، والمصير التاريخي الطويل المشترك، وكذلك الشراكة الدينية مع هذه المنطقة، إضافة للمكانة الإستيراتيجية، وما تحويه المنطقة العربية من ثروات وموارد تشكل عصب حياة أساس لتركيا واقتصادها وصناعتها، ولاسيما العراق الذي تأتي الغالبية العظمى من الطاقة التركية منه. فالهلال الخصيب خصيب جدا بالنسبة لتركيا واقتصادها ونفوذها السياسي..، والاعتناء بشؤونه وتوطيد العلاقة مع دوله تعد أولوية. هكذا تقول لغة المصالح التركية.

ويعتقد مراقبون أن "رئيس الوزراء التركي أردوغان ترجم التحول المفصلي في موقع تركيا الجيو- سياسي، عبر إدارة النظر نحو العالم العثماني القديم، بدلاً من توجه أنقرة نحو الغرب الأوروبي فقط. وعملياً، فإن محاور السياسة التركية، في السنوات الأخيرة، تركزت في المدى الجغرافي الممتد بين البصرة وغزة. ويترافق هذا البروز بالدور الإقليمي التركي، الذي يمتد من العراق إلى ملف المفاوضات السورية- الإسرائيلية، وأيضاً الملف الفلسطيني، مع حالة الضعف عند العرب ومع عدم قدرة محور(الاعتدال العربي) على مجابهة أو تطويق النفوذ الإيراني، ما جعل ذلك الدور التركي يلاقي هوى إقليميا. بالمقابل، فإن هذا الدور التركي الجديد في(المدار العثماني)، وبالذات في الحدود الجنوبية لتركيا عند الهلال الخصيب، يستند إلى تأييد شعبي تركي كبير، عند الإسلاميين، وعند رجال الأعمال الذين أصبحوا يعتقدون أن الآفاق الاقتصادية لتركيا لم تعد في ذلك النادي الأوروبي وإنما في جنوبها".[167]

إن مبدأ "صفر المشاكل" الذي تسير علية الدبلوماسية التركية من أجل إنهاء نزاعاتها مع جيرانها، قد نجح كثيرا في سوريا والعراق، بل أن دورها التسهيلي في بعض صراعات الشرق الأوسط قد حصد نجاحات واضحة، في استضافة المفاوضات السورية الإسرائيلية غير المباشرة مثلا، والوساطة بين سوريا والعراق، والدور في الخلاف بين حركتي فتح وحماس، وصفقة تبادل الأسرى، ثم الموقف من حصار غزة، وما نتج عنه من توتر في العلاقات

[167]- محمد سيد رصاص، "العثمانية الجديدة،"*الحوار المتمدن*، العدد: 2527 (2009\1\15)، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=159596

التركية الإسرائيلية أدت إلى زيادة شعبية رئيس الوزراء التركي ما بين عامة شعوب الشـــرق الأوسط، لكنها في الوقت ذاته قوضت الثقة مع حلفائها التقليديين الغربيين.[168]

والحقيقة أنه عند النظر إلى قضايا الهلال الخصيب التي لتركيا اهتمام أو دور فيها، نجد أن معظم هذه القضايا متشابك بعضها ببعض، ويصعب الفصل بينهـــا، فعنـــد تنـــاول ملـــف المفاوضات السورية الإسرائيلية مثلا، لا يمكن فصله عما يجري في الساحة الفلسطينية مـــن تطورات وأحداث، كما وتحكمه طبيعة العلاقة التركية مع إسرائيل، وعند تناول ملـــف ميـــاه دجلة والفرات اللذين ينبعان من تركيا، فلا يمكن الفصل بين الحاجة العراقية والحاجة السورية والمفاوضات الثلاثية في هذا المجال، كذلك هو الأمر في الوســـاطة التركيـــة بـــين العـــراق وسوريا، إضافة الى ارتباط الملف الأمني التركي بهذين البلـــدين. وكـــذلك الملـــف اللبنـــاني المتشعب والمرتبط بسوريا، والصراع مع الاحتلال. لذا يصعب تناول قضايا وملفات كل دولة في هذه المنطقة على حدة، ومن هنا كان الخطاب التركي تجاه دول الهلال الخصيب، خطابـــا مركبا، يحمل مغازي ورسائل متعددة المضامين، عند تناول أي قضية من قضاياه.

أولا: خطاب تركيا تجاه سوريا

سيتجسد للوهلة الأولى شعور بأن ثمة نوع من المغالطة، عند تناول الملـــف الســـوري، والخطابات والمواقف التركية منه، لأن ثمة ثلاث صور شديدة التناقض، سنغطي اثنتين منهـــا في هذه الدراسة، ونترك الثالثة بسبب وقوعها خارج الفترة الزمنية المحددة لهـــذه الدراســـة، وهي العلاقات المتوترة بين تركيا وسوريا، التي وصلت إلى أوجها عام 1998، عند تهديـــد تركيا بغزو عسكري لسوريا، على خلفية احتضان الأخيرة للزعيم الكردي عبد الله أوجـــلان. أما الموقفين المتناقضين الذين ستتناولهما هذه الدراسة فيما يخص الموقف والخطاب التركـــي تجاه سوريا، فهما كما يلي:

أولا:- التحسن الكبير في العلاقة التركية بسوريا، والاهتمام المضاعف لإصلاح العلاقة معها وذلك منذ وصول حزب العدالة والتنمية للحكم عام 2002 وحتى انفجار الثورة السورية.

وثانيا:- الصورة النقيضة لسابقتها، وهي التوتر الكبير في العلاقة مع النظام السوري، التـــي وصلت الى حد القطيعة معه، بعد توجيه سيل من الانتقادات لممارساته بحق شعبه الثائر ضده، واحتضان المجلس الوطني السوري الذي يعمل ضده، والرد السوري بالاعتداء علـــى مقـــار

---

[168]- د.م، *تركيا والشرق الأوسط*.

دبلوماسية وقنصلية تركية، وإيقاف مرور التجارة التركية عبر أراضيها، والاعتداء على حدود تركيا، بل وإسقاط إحدى طائراتها ومقتل طياريها.

سنتناول في هذا الباب المشهد الأول من العلاقات السورية التركية، وهي علاقات التحسن والتواصل، بينما سنترك المشهد الثاني للباب الرابع من هذا الفصل، والذي نتحدث فيه بإسهاب، عن الموقف التركي من الثورات العربية. ولكن الذي لا بد من التأكيد عليه، أنه أيا كانت طبيعة العلاقة التركية بسوريا سواء في المشهد الأول أو الثاني، فإن القاسم المشترك بين هذين المشهدين، هو الاهتمام التركي الزائد بشؤون هذا البلد وقضاياه، ففي المشهد الثاني، وإن كانت العلاقات التركية قد توترت مع النظام السوري، فإنها من ناحية أخرى تمثل دفاعا عن حقوق الشعب السوري وحريته، وهو بالتالي مصلحة سورية، واهتمام بقضاياها وشؤونها. فماذا تشكل سوريا بالنسبة لتركيا حتى تحظى بكل هذا الاهتمام؟.

تختزل الجمهورية السورية، في طياتها فسيفساء الشرق الأوسط عرقيا وطائفيا، حيث تضم كل الأقليات العرقية والدينية الموجودة فيه، كما تكثف بموقعها الجيوسياسي كل توازناته، فسوريا تمنع تركيا عن عمق شبه الجزيرة العربية،[169] مثلما تحبس العراق عن شرق البحر المتوسط، وهي متنفس لبنان الجغرافي، كما تتجاور تاريخيا مع فلسطين،[170] وهي الفاصل بين الحليفين الشرق أوسطيين الاستراتيجيين أيضا: تركيا وإسرائيل، كما وتتقاسم سوريا مع تركيا فكرة رفض إقامة أي كيان سياسي كردي شمال العراق، لما يشكله من خطر على مصالح البلدين، كما أن أطول حدود يابسة لتركيا مع جيرانها هي السورية، ومن هنا تبرز أهمية سوريا سياسيا واقتصاديا واستراتيجيا وأمنيا وثقافيا وعرقيا بالنسبة لتركيا. إن المتأمل في العلاقات التركية – السورية منذ عام 2002، يجد أنها بلغت مستوى غير مسبوق من التحسن والتطور، بلغت ذروتها في شهر تشرين الأول 2009، عندما تم فتح الحدود بين البلدين، في خطوة تعكس مدى التقارب في العلاقات بينهما. وتبع ذلك، قيام تركيا بدور الوساطة بين دمشق وتل أبيب في خطوة تعكس اعترافاً واضحا بموقع تركيا ودورها باعتبارها "مرجعية إقليمية" في المنطقة، وهذا جزء من النفوذ التركي القوي في دمشق.[171] كما وُقعت بين البلدين اتفاقية للتجارة الحرة، وأبرمت عشرات الصفقات التجارية الأخرى.

---

[169]- إن كون سوريا حلقة وصل أو فصل بين تركيا والدول العربية الشرق أوسطية والخليجية الأخرى لأمر مهم بالنسبة لتركيا، وهذا مع أفصح عنه وزير الخارجية التركي أحمد داوود أوغلو صراحة عندما قال: "عندما تتكامل سوريا مع تركيا، فإن ذلك سيعني أن تركيا ستمتد عبر سوريا الى البلدان الأخرى في الشرق الأوسط" قناة الجزيرة (تقرير إخباري). 13\10\2009.

[170]- عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*، 222.

[171]- اللباد، *الدور الإقليمي التركي*.

فمع وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم في تركيا، فإن تحولا هاما في صالح سوريا قد بدت بوادره، فتركيا وقفت في مواجهة محاولات الغرب المستمرة لعزل سوريا بتحريض إسرائيلي، وقد كانت تصريحات رجب طيب أردوغان ورفاقه بالحكم، دائما تؤيد حق سوريا الكامل في استعادة الجولان السوري المحتل، والانسحاب الإسرائيلي من كل الأراضي الفلسطينية والعربية إلى حدود عام 1967. وقد دخلت العلاقات التركية – السورية مرحلة من النضوج السريع أثارت دهشة الكثير من الدول العربية والإسلامية وإعجابها، كما فاجأت الدول الغربية لدرجة أنها تردّدت في إعلان موقف حول ما يمكن أن يترتّب عليها من نتائج وانعكاسات على دور تركيا الأطلسي أو على مستقبل علاقاتها مع إسرائيل. وقد شكلت علاقات سوريا مع تركيا محورًا أساسيًا في جهود دمشق لمواجهة الضغوط الأميركية الرامية الى عزل سوريا وإضعاف نظامها. وقد وصل التعاون بين البلدين إلى المجالات الإنمائية المهمة كالاتصالات، حيث أعلن في أواسط حزيران الماضي عن إرساء عقد لتنفيذ 250 كيلومتر من كابلات الاتصالات البصرية على الشركة التركية للاتصالات.[172]

يمكن القول أن الملف المفصلي الذي تحكم في تطور العلاقات بين البلدين الجارين، هو الملف الأمني، حيث كانت تركيا تتهم سوريا بدعم تنظيمات إسلامية مسلحة تعمل في سوريا خلال السبعينيات وبداية ثمانينيات القرن الماضي، كما اتهمتها بدعم حزب العمال الكردستاني، الذي أسسه عبد الله أوجلان، وشن من خلاله أوسع عمليات مسلحة في شرق وجنوب شرق الأناضول التي تتمركز فيها الكتلة الرئيسية من أكراد تركيا، حتى كادت أن تندلع الحرب بين البلدين.[173] ومن هنا فقد كان الدافع الأمني، الذي شكل لسنوات طويلة هاجسا مخيفا لتركيا، بالغ الأهمية والإلحاح، لتحسن العلاقة بين البلدين. ويُعد اختار رئيس الوزراء عبد الله غول[174] لدمشق كمحطة أولى لجولته الشرق أوسطية بداية عام 2003، لمنع الحرب الأمريكية على العراق [175] بداية المشوار لنسج العلاقات الودية الطيبة، والاهتمام بدور سوريا في المنطقة، بنفس الدرجة من الاهتمام بالشأن العراقي الذي لم تكن ترغب تركيا باحتلاله وتدميره

---

[172]- نزار عبد القادري، "العلاقات التركية – الإسرائيلية: بين التحالف الاستراتيجي والقطيعة،"*موقع الجيش اللبناني* (2010\10\1)، http://www.lebarmy.gov.lb/article.asp?ln=ar&id=26143

[173]- محمود أبو القاسم، "دوافع تحسن العلاقات السورية التركية،" *موقع الأهرام* (2010): http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=96406&eid=1875

[174]- نذكر هنا أن عبد الله غول: شغل منصب رئيس الوزراء في تركيا من عام 2002 إلى عام 2003، ومنصب وزير الخارجية من عام 2003 حتى عام 2007، ومنصب رئيس الجمهورية منذ العام 2007 حتى اليوم. بينما يشغل رجب طيب أردوغان: منصب رئيس الوزراء منذ عام 2003 وحتى اليوم. أما أحمد داوود أوغلو فهو يشغل منصب وزير الخارجية منذ العام 2009 وحتى اليوم.

[175]- محلي، *الموقف التركي من الحرب*.

من قبل الغرب، حيث حاولت منع الحرب عليه. وبعد زيارة غل هذه بعام واحد، وقعت تركيا اتفاقية للتجارة الحرة مع أول بلد عربي وهو سوريا.

توقيع اتفاقية التجارة الحرة السورية- التركية.

في السادس والعشرين من كانون الأول 2004. تم في العاصمة السورية دمشق، توقيع اتفاقية لإقامة منطقة للتجارة الحرة بين سوريا وتركيا، من أجل زيادة وتعزيز التعاون الاقتصادي بينهما. حيث وقع الاتفاقية كل من رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان ونظيره السوري محمد ناجي العطري، ضمن جهود البلدين لتعزيز الروابط الاقتصادية والتجارة الثنائية. وتضمنت الاتفاقية حينها العمل على التخلص التدريجي من القيود على تجارة السلع، وتشجيع الاستثمارات. كما وأقرت الاتفاقية إلغاء الرسوم الجمركية على منتجات البلدين ضمن معايير محددة. كما تضمنت الاتفاقية، إمكانية اتخاذ الطرفين إجراءات لمنع كشف معلومات تتعارض مع مصالحهما الأمنية والسياسية، وتطبيق السياسات الدولية، او الوطنية ولاسيما المتعلقة بتجارة الأسلحة وعدم نشر الأسلحة البيولوجية والنووية.[176]

كما تم على أثر هذه الاتفاقية تنظيف حقل الألغام الذي يفصل تركيا عن سوريا بطول 450 ميلا، وقد دخلت الاتفاقية حيز التنفيذ في 2007.[177] كما تم على غرارها توقيع اتفاقيات مع العديد من الدول العربية الأخرى.[178] وقد رافق رئيس الوزراء أردوغان في هذه الزيارة التاريخية، وكالعادة وفد اقتصادي، ونحو 100 من رجال الأعمال الأتراك، سعيا لبحث سبل التعاون في جميع المجالات، خاصة الاقتصادية والاستثمارية. وتأتي هذه الزيارة بعد نحو عام على زيارة تاريخية مماثلة قام بها الرئيس السوري للعاصمة أنقرة، كأول زيارة لرئيس سوري إلى تركيا. ويظهر التحول الكبير في هذا السياق لدى استحضار اتفاقية التجارة الحرة التي وقعتها تركيا مع إسرائيل عام 1996، التي نصت على إعفاء السلع المتبادلة بين البلدين من الضرائب والرسوم الجمركية، وزيادة حجم التجارة بينهما خلال ثلاث سنوات من توقيع الاتفاقية إلى ملياري دولار سنوياً مقارنة ب 448 مليون دولار عام 1996.[179]

176- "أنقرة ودمشق توقعان اتفاقية منطقة تجارة حرة،" *الجزيرة نت*. استرجعت بتاريخ 26\12\2011.
http://www.aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=101403

177- أبو القاسم، *دوافع تحسن العلاقات*.

178- "العلاقات الاقتصادية التركية العربية وانعكاسها السياسية،" موقع BBC. استرجعت بتاريخ 12\6\2010،
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7451000/7451049.stm

179- الغول، *أثر صعود حزب*، 41.

وفي كلمة ألقاها أمام الملتقى الاقتصادي السوري- التركي في سوريا، الذي يشارك فيه عدد كبير من مديري الشركات ورجال الأعمال من البلدين ودول أخرى، قال رئيس الوزراء أردوغان، في خطاب عثماني اقتصادي سياسي شرق أوسطي ذي نبرة تصالحية واضحة:

"لقد كان هناك سوء تفاهم بين بلدينا في الماضي، لكننا نتطلع الآن إلى عهد جديد، فعلاقاتنا الاقتصادية اليوم متنامية، وتسير من حسن إلى أحسن. وستشهد علاقاتنا السياسية أيضا مزيدا من التطور". وقال أردوغان: "إن تركيا تخطط لإزالة جميع حقول الألغام من على طول الحدود الفاصلة بينها وبين سوريا"، والتي كانت قد زرعتها أنقرة في أعقاب توتر العلاقات بين البلدين عام 1998. وأضاف "أن دبلوماسيتنا المتعلقة بالسلام، ستقدم- إن شاء الله- إسهاما إيجابيا للسلام في العراق وبين سوريا وإسرائيل وبين إسرائيل والفلسطينيين".[180]

وقد تلا هذه التطور في العلاقات السياسية، والتي اكتست بلباس اقتصادي، تطورات أخرى، كانعقاد أولى الجلسات للإعلان عن انطلاق المجلس الإستراتيجي السوري التركي، في مدينة حلب شمال سوريا في 13\10\2009، الذي تم الاتفاق على تأسيسه، ويضم 11 وزيرا من كل بلد، لبحث ومناقشة عدد من الملفات السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية بينهما.[181] وقد وقعت في الاجتماع الأول لهذا المجلس، عشرات الاتفاقيات ومذكرات التفاهم في مجالات الاقتصاد والطاقة. التي شملت النفط والغاز والكهرباء والنقل والزراعة والصناعة، كما وقعت اتفاقيات سياسية وثقافية، وأخرى في الأمن والصحة والتعليم والتخطيط والإعلام والبيئة.[182]

وكان حجم التجارة بين تركيا وسوريا عام 2010 قد اقترب من 2،5 مليار دولار،[183] بينما كان قرابة نصف مليار دولار عام 2004. ارتفع بعدها عام 2008 إلى 1،8مليار دولار تقريبا. وإلى قرابة ملياري دولار عام 2009. وقد كان البلدان يخططان لرفع حجم التبادل التجاري بينهما الى خمسة مليارات دولار خلال السنوات القليلة القادمة،[184] إلا أن تداعيات الأزمة السورية الأخيرة، والموقف التركي منها، سيحولان على ما يبدو من هذا الطموح، ولاسيما أن سوريا أعلنت وقف العمل باتفاقية منطقة التجارة الحرة مع تركيا وقررت

---

[180]- "أردوجان يؤكد الوساطة التركية بين سورية واسرائيل،" موقع BBC. استرجعت بتاريخ 27\7\2009.
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7369000/7369044.stm

[181] - "مجلس إستراتيجي سوري تركي بحلب." الجزيرة نت. استرجعت بتاريخ 13\1\20011.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/5B368B50-F53F-4748-BC82-0D4585620AB7.htm

[182]- "سوريا وتركيا تعززان التعاون الاقتصادي،" الجزيرة نت. استرجعت بتاريخ 24\12\2011،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/A8407092-7A99-4FA9-9860-E7CF014DAC80.htm

[183]- " سوريا توقف العمل باتفاقية التجارة الحرة مع تركيا،" صحيفة القدس. 4\12\2011.

[184]- "سوريا وتركيا تعززان التعاون الاقتصادي،" الجزيرة نت. استرجعت بتاريخ 24\12\2011،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/A8407092-7A99-4FA9-9860-E7CF014DAC80.htm

فرض رسوم بنسبة 30% على المواد ذات المنشأ التركي الواردة الى سوريا، ردا على تعليق تركيا لكل التعاملات الائتمانية المالية مع سوريا وتجميد أصول الحكومة السورية، كجزء من العقوبات العربية والدولية على النظام السوري.[185]

لكن الخطوة التاريخية الأكثر تطورا وأهمية في العلاقة بين البلدين، تتمثل في الاتفاق الذي وقعته كل من سوريا وتركيا في 13\10\2009، لإلغاء تأشيرات الدخول بينهما لمواطنيهما، حيث احتفل البلدان بحضور أكثر من عشرين وزيرا من حكومتي البلدين وعشرات النواب ورجال الأعمال، وسط التأكيد على إستراتيجية العلاقة والتعاون في شتى المجالات، بإلغاء تأشيرات دخول مواطنيهما. وبمقتضى الاتفاق يمكن لمواطن البلدين وليس الدبلوماسيين فقط، زيارة البلد الآخر لمدة تسعين يوماً دون الحاجة إلى تأشيرة دخول. وقد وصف وزيرا الخارجية السوري وليد المعلم والتركي داوود أوغلو الاتفاق بالإنجاز التاريخي، في مؤتمر صحفي عقد عقب الاجتماع الوزاري الأول لمجلس التعاون الإستراتيجي.[186]

الرعاية التركية للمفاوضات السورية- الإسرائيلية.

انطلقت عجلة مفاوضات السلام غير المباشرة بين سوريا وإسرائيل بوساطة تركية، في شهر أيار من العام 2008، وجاءت الوساطة التركية بناء على طلب إسرائيلي وآخر سوري لإحلال السلام بينهما، ويتلخص الهدف الذي تجري من أجلة الوساطة والمفاوضات، في إعادة إسرائيل الأراضي السورية التي احتلتها في حرب عام 1967، وعلى رأسها هضبة الجولان السورية، مقابل إحلال السلام بين الجانبين. وقد قامت تركيا بهذا الدور وعقدت جولات مطولة من المفاوضات غير المباشرة بين الطرفين، ووصلت إلى مستوى متطور حيث شارفت على توقيع الاتفاق. فقد التقى رئيس الوزراء التركي أردوغان الرئيس السوري بشار الأسد، في زيارة قام بها لسوريا في 26\4\2008، حمل فيها تفاصيل العرض الإسرائيلي بالانسحاب من هضبة الجولان المحتلة، مقابل توقيع معاهدة سلام بين دمشق وتل أبيب.[187] وقد تلا هذا اللقاء لقاءات أخرى مطولة بين الطرفين أحرزت تقدما ملموسا كما أكد المسؤولون الأتراك.

---

[185]- " سوريا توقف العمل باتفاقية التجارة الحرة مع تركيا،" صحيفة القدس. 4\12\2011.
[186]-"سوريا وتركيا تحتفلان بإلغاء التأشيرات،" الجزيرة نت. استرجعت بتاريخ 13\10\2011.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/60E31C96-4AC5-4D8B-8E6B-E80380959FFE.htm
[187]- "أردوغان يتوجه لسوريا والجولان تتصدر أجندة مباحثاته،" الجزيرة نت. استرجعت بتاريخ 26\4\2011،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/57C8B696-B187-4E41-8B73-099BBF0F1720.htm

وفي هذا السياق تبدو سوريا بحاجة إلى تركيا أكثر من حاجة تركيا إلى سوريا، فسوريا بحاجة لتركيا "المقبولة غربيا" لكسر الاصطفاف الدولي والإقليمي ضدها، وتعلـم سـوريا أن الهدف التركي من رعاية المفاوضات السورية– الإسرائيلية يتمثل في سحب رافعـة إيـران الإقليمية، وتفكيك حضورها، في المشرق العربي، لكن سوريا تركت البـاب مواربـا أمـام الأطراف كافة، لتصبح في وضع يمكنها من "استدراج العروض" دون أن تحسم خياراتها حتى اللحظة الأخيرة. كما أن سوريا من ناحية أخرى بحاجة لاستمرار تدفق المياه من تركيا عبـر الفرات إليها، والانتفاع من العلاقة بالاقتصاد التركي القوي، بينما يرى الباحث مصطفى اللباد "أن تركيا تحتاج سوريا للنفاذ الى معادلات المنطقة، كما أن نجاح الوساطة التركية بين سوريا وإسرائيل، سيجعل تركيا أكثر قربا من هدفها بقيادة المنطقة. لأن السلام السوري الإسـرائيلي سيكون على حساب التحالف الإيراني السوري، ويصب في صالح تركيا التي تنافس إيـران، حيث المعادلة التي تقول أن التراجع في نفوذ أحد الطرفين سيصب في صالح الآخر."[188]

لكن الرياح لم تأت بما اشتهت السفن التركية، حيث أعلنت سوريا على إثر الحرب التي شنتها إسرائيل على غزة أواخر 2008، انسحابها من المفاوضات غير المباشرة مع إسرائيل، لتضطر تركيا أيضا لإعلان تجميد وساطتها، حيث أعلن رئيس الوزراء أردوغان فـي لقـاء جمعه بالرئيس السوري في دمشق، في اليوم الرابع على الحرب (30\12\2008)، أن العدوان الإسرائيلي على غزة نسف كل الجهود المبذولة لتحقيق السلام في المنطقـة.[189] كمـا قـال أردوغان في موضع آخر "بينما كنا في المرحلة الخامسة والأخيرة مـن المفاوضـات غيـر المباشرة بين سوريا وإسرائيل التي كان نجاحها سيعمم السلام، ويحل بـاقي المشـاكل فـي المنطقة، إذ هوجمت غزة، ولمدة 15 يوما لم نجد للأسف الشديد أي مسؤول إسرائيلي يـتكلم معنا في الهواتف، وهنا انسحب السيد الأسد من هذه المفاوضات، وهو محق بـذلك".[190] ولا تزال الجهود التركية لاستئناف المفاوضات السورية الإسرائيلية معلقة إلى اليوم.

ومن نتائج العدوان ذاته على غزة، الذي توترت بعده العلاقات التركية الإسرائيلية، قامت تركيا نهاية نيسان 2009 في خطوة استفزازية لإسرائيل، بإجراء منـاورات عسـكرية مـع سوريا، وهي أول مرة تتم في تاريخ العلاقات بين البلدين، وهي خطوة أثارت بلا شك، قلـق وغضب إسرائيل، وعبرت عن انزعاجها منهـا، وهنـا تـولى رئـيس الأركـان التركـي

188- عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*. ص222

189- صالح، *تركيا والقضية*، 45.

190- أردوغان، رجب طيب. قناة الجزيرة (برنامج بلا حدود). 12\1\2011.

"إلكر باشبوغ" بنفسه مهمة الرد على تصريحات المسؤولين الإسرائيليين، حيث قال في مؤتمر صحفي عقده في 28\4\2009، "أن الانتقادات الإسرائيلية لا تعنيــه، وأن المنــاورات مــع سوريا شأن خاص بتركيا ولا علاقة لأحد بها".[191] وقد جاءت هذه المناورات بعد أيام قليلة، من إلغاء أنقرة مناورات "نسر الأناضول" الجوية التي كانت ستشارك فيها إسرائيل، إلى جانب قوات من الولايات المتحدة ودول حلف شمال الأطلسي (ناتو).[192] فتركيا اعتادت أن تجــري مناورات مع (النقيض) إسرائيل، ومع الولايات المتحدة وحلف الأطلسي، فكيف بهــا اليــوم تجري هذه المناورات مع دولة "راعية للإرهاب" بالمقياس الغربي، وعدوة لإسرائيل، وصديقة لإيران، لا شك أن في ذلك تغير جوهري في السياسات التركية، وتحول في التوجهات، لصالح سوريا والعرب. وقد كان تخوف إسرائيل نابع من أن تكون تلــك المشــروعات إســتراتيجية جديدة لتركيا، بمعنى الاستغناء عن اتفاق التعاون الاستراتيجي مع إسرائيل، وعقــد صــفقات عسكرية وأمنية مع العرب. وهو أمر يخيف إسرائيل من مستقبل صراعها مع العرب، وعودة تركيا إلى هويتها الإسلامية.[193]

وقد لقي القرار التركي بإلغاء مناورات عسكرية تشارك فيها إسرائيل ارتيــاح أطــراف عربية عدة، أولها سوريا التي وصف وزير خارجيتها وليد المعلم القرار بالاســتراتيجي، ولا يقل أهمية عن الانجازات التاريخية التي تشهدها علاقات بلاده بتركيا. والذي أكد بــدوره أن هناك تعاونا عسكريا يجري بين الجيشين السوري والتركي.[194] وبالعودة الى عام 2007 حيث شهدت العلاقات التركية- الإسرائيلية إحدى محطات التوتر، بعد أن شنت طائرات إســرائيلية غارة جوية في 6 \9\ 2007، قيل أنها على منشأة نووية سورية في دير الــزور، غيــر أن الأهم ما رشح من معلومات حول استخدام الطائرات الإسرائيلية أثناء قدومها إلى سورية، من جهة الغرب فوق لواء الاسكندرونه، وللمجال الجوي التركي ذهاباً وإيابا فــي طريقهــا إلــى الموقع المستهدف. ثم ألقت الطائرات الإسرائيلية خزاني وقود داخل الأراضي التركية، وقــد أثارت هذه الحادثة غضب الأتراك، واعتبر الرئيس التركي عبد الله غول - الذي كــان قــد انتخب قبل الغارة بأيام- تلك الغارة خطأً كبيراً. مما دفع إسرائيل لتقديم اعتذار عــن انتهــاك طائراتها المجال الجوي التركي.[195]

---

[191]- صالح، *تركيا والقضية*، ص22.

[192]- "مناورات عسكرية سورية تركية،" الجزيرة نت. استرجعت بتاريخ 14\10\2011،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/1BD01A01-9D97-47DF-8B98-176F2D29C8E5.htm

[193]- الغول، *أثر صعود حزب*، 135.

[194]-"مجلس إستراتيجي سوري تركي بحلب،" الجزيرة نت. استرجعت بتاريخ 13\10\2011،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/5B368B50-F53F-4748-BC82-0D4585620AB7.htm

[195]- الغول، *أثر صعود حزب*، 132.

أما على صعيد الزيارات المتبادلة التي قام بها مسؤولو البلدين، وعلى أرفع المستويات لبلديهما، فالحقيقة يصعب حصرها لكثرتها، ولاسيما رأسي الهرمين السياسيين للبلدين (أردوغان والأسد)، لبحث قضايا داخلية وشرق أوسطية متعددة، ولكن إن كانت هذه الزيارات المكوكية تدل على شيء، فإنما تدل على الدرجة المتقدمة التي وصلت إليها العلاقات بين البلدين في العقد الأخير، بعد توتر وقطيعة شبه حادة سبقته.

ثانيا: خطاب تركيا تجاه العراق

> يحتل العراق موقعا مهما في الاستراتيجيات الدولية للقوى الكبرى، ومبعث هذا القول أن العراق يحتل موقعا جيواستراتيجيا حيويا في الشرق الأوسط، فهو يطل على الخليج العربي ويجاور إيران، ويفصل حلفاء الغرب (تركيا ومجلس التعاون الخليجي)، أما من الناحية الاقتصادية، فهو يمتلك موارد مهمة على صعيد النفط والغاز الطبيعي، فاحتياطيه من النفط المؤكد بلغ 143 مليار برميل، أي نحو (10%) من الاحتياطي العالمي، كما بلغ احتياطيه من الغاز حوالي 3170 مليار متر مكعب، ما يعادل (1,8%) من الاحتياطي العالمي،[196]

وعسكريا فقد كان العراق يشكل القوة العسكرية الأولى في المنطقة بعد انتصاره في الحرب مع إيران واحتلاله للكويت، وعوامل أخرى، منحت للعراق أهمية كبيرة في الاستراتيجيات الكبرى، وكذلك الأمر بالنسبة لتركيا.

"وإذا كانت المصالح الاقتصادية هي التي توجه السياسات التركية الموجهة نحو الوطن العربي، فإن الحافز الرئيس لتقوية علاقات تركيا مع العراق كان مكافحة هجمات حزب العمال الكردستاني ضد الأهداف الحدودية مع شمال العراق، ولاسيما بعد توقيع اتفاقية أضنة مع سوريا في 20\8\1998.."[197] يقول أحد المحللين. قول وإن انطوى على قدر من الصحة، إلا أنه غير دقيق تماما، فليس الاقتصاد وحده الذي يوجه السياسة التركية تجاه العرب، ومن ناحية أخرى فهناك جملة من الحوافز والدوافع لتركيا لتلعب دورا حيويا ونشطا في العراق، وتحسين علاقاتها مع كل الأطراف فيه. وإن كان الملف الأمني من الملفات المهمة جدا في هذا السياق، فإن الاقتصاد، والمنافسة مع إيران، والنفاذ إلى باقي دول المشرق

[196]- خضر عباس عطوان. خضر عباس، *النظام السياسي في العراق: بين الإصلاح والشرعية* (الدوحة. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011)، 5.
[197]- الداقوقي، *صورة الأتراك*، 368.

العربي من خلاله، أمور لا تقل أهمية عن هذا الملف، ولاسيما إذا علمنا أن العـراق يشـكل المصدر الأول للطاقة التركية، "فجميع الدوافع الأمنية والاقتصادية والسياسية تحكم علاقـات تركيا بالعراق، وليس لأحد ان يستكثر على تركيا أن تفكر بمصالحها وتحمي حدودها ".[198]

وقد تضاعف الاهتمام والتدخل التركي بشؤون العراق بشكل واضح منذ وصول حـزب العدالة والتنمية، ذي التطلعات "العثمانية" في المنطقة إلى الحكم في البلاد، وكـان أول ثمـار العثمانية الجديدة تجاهه، أن رفض المشاركة في الحرب الأمريكية عليه، وقد حظـي الملـف العراقي منذ الاحتلال عام 2003، باهتمام بالغ في حسابات الساسة الأتـراك، كونـه ملـف حساس جدا، ويحوي الكثير من التعقيدات والأوحال السياسية والأمنية والاقتصادية، وتتنـافس فيه أقطاب دولية مختلفة. إضافة إلى أقاليمه ومساحاته الشاسعة، وما تحوي من تنوع عرقـي وطائفي وسياسي ليس من السهل التعامل مع أي قطاع منها دون الآخر، عدا عـن الـرؤوس السياسية المتعددة، متناقضة المصالح، ومتباينة الأيديولوجيات والفكر السياسي والتبعية، والتي خلقها وعززها الاحتلال الأمريكي أساسا، واللاعبين الآخرين في الساحة العراقيـة كـإيران. ومن هنا فقد فرضت الحتمية الجغرافية التي تربط البلدين (العراق وتركيا)، وسيل المصـالح التركية في الساحة العراقية، فرضت على البلاد التعامل بدقة وحنكة كبيرتين، مـع تعقيـدات المشهد العراقي هذه، وعدم الوقوف بصمت تجاه ما يجري في الساحة العراقية من تطـورات وأحداث، كما كان على الدبلوماسية التركية أن تتعامل مع العراق كله جملـة وتفصـيلا، وأن تقف على مسافة واحدة من جميع الأطراف، حتى يكون دورها مقبولا ومرحبا به ومؤثرا.

احتلال العراق.

لم يكن الاحتلال الأمريكي للعراق في نيسان 2003 بالحدث العـابر أو البسـيط فـي حسابات تركيا، فقد كان هذا الحدث التاريخي الكبير، بمثابة زلزال سياسي اقتصادي أمني في حدودها الجنوبية، ونقطة تحول محورية في سياسات تركيا الخارجية تجاه العـالم العربـي، ومشرقه، بل أنه أحد أهم الأسباب التي أحدثت تغيرا جوهريا في توجهات تركيا وتعاطيها مع ملفات الشرق الأوسط عامة بهذه القوة. "فاحتلال العراق الذي خلق واقعا غير مسـبوق فـي منطقة الشرق الأوسط، حيث دمر قوة مركزية فيه، وخلق كيانا فيدراليا كرديا جديـدا شـمال العراق بصورة رسمية منصوص عليها في الدستور العراقي، وله كل حيثيات الدولة المستقلة.

[198]- خشرم، عمر. 25\2\1012. (مقابلة) أنقرة.

إن هذا يمثل في استراتيجيات أنقرة خطرا بالغا على أمنها القومي ووحدة أراضـيها، يفـوق خطر حزب العمال الكردستاني ذاته. بل أن أردوغان صرح فـي 2007\1\19: "ان تقسـيم العراق أمر خطير جدا وغير مقبول، وللعراق عندنا أولوية حتى على الإتحاد الأوروبي".[199]

حيث تركت الحرب على العراق انعكاساتها علـى مجمـل الوضـع الجيـو- استراتيجي لتركيا وشعرت أنها قد أصبحت خارج المعادلة العراقية وخصوصًا لجهة التأثير المباشر في التوازنات الداخلية العراقية. وقابل ذلك صعود بـارز للـدورين الكردي والإيراني في الصيغة الجديدة الناتجة عن الحرب. وفقدت تركيا بسبب عدم مشاركتها في الحرب قيمتها العسكرية بالنسبة للولايات المتحدة. وهنا لا بـدّ مـن الإشارة إلى أن موقف تركيا من الحرب قد وضعها في موقع يتجانس مـع المـزاج الشعبي العربي العام، ما شجعها على الاستفادة من هذه الأجواء الإيجابية لتسـريع خطوات التقارب مع الدول العربية الرئيسة وخصوصًا مع سوريا.[200]

ورغم أن رفض تركيا "العدالة والتنمية" المشاركة في الحرب على العراق انطلى علـى مجازفة كبيرة بالعلاقة مع أمريكا، إلا أن الرفض قد تم، وهذا بذاته يعكس تغيرا جليـا فـي سياسات تركيا الخارجية وتعاطيها مع قضايا المنطقة العربية، فهي قبل عقـد ونيـف فقـط، شاركت في الحرب الغربية على العراق عام 1991 وجعلت قواعـدها العسـكرية منطلقـا للطائرات الأمريكية لقصف جارتها، فَما بين الأمس واليوم يوجد تحول لافت فـي السياسـة الخارجية التركية. فربما لو ترك الأمر للجيش والمؤسسة العلمانية في البلاد ليقـرروا بهـذا الشأن، ربما لما ترددوا في المشاركة مع حلفائهم الغربيين في الحرب، لكن حزب أردوغـان استخدم السلاح الديمقراطي القوي الذي يمتلكه، وهو البرلمان، ورفض الزج بالبلاد في أتون حرب خطيرة كهذه، دون تفويض من البرلمان، وهذا يدل على أن لتركيا "الجديـدة" أهـداف وسياسات أخرى، غير المصالح الاقتصادية في المنطقة، وهي التي لا نتردد فـي أن نطلـق عليها، العثمانية الجديدة.

فرغم أن الولايات المتحدة وعدت تركيا بحزم من المكافئات والمزايا، كثمن لمسـاعدتها في الحرب، وهي عروض ومزايا اقتصادية مغرية، قد لا تتمكن دولة أخرى من مقاومتهـا، تتعلق بتسهيل تسديد الديون، وتسهيل الاقتراض من المؤسسـات الماليـة والنقديـة الدوليـة

[199]- عبد العاطي، *تركيا بين تحديات*، 136.
[200]- عبد القادر، *العلاقات التركية – الإسرائيلية*.

وغيرها، ومع ذلك فقد رفضت تركيا المشاركة في تدمير قوة مركزية أساسية في محيطهـا، كانت تشكل توازن مع قوى أخرى، فرفضت استباحة أراضي جارتها، ونهب ثرواتها حيث صدرت عن زعماء العدالة والتنمية أثناء حملتهم الانتخابية تعهدات تؤكد التزامهم الكامل بعدم الانخراط في الحرب، وتشبثهم بالشرعية الدولية. ويرى مراقبون أن جملـة مـن الأسـباب ساعدت ودفعت تركيا لاتخاذ هذا الموقف، "كحجم الخسارة التي تكبدتها تركيا في حرب الخليج الثانية، التي قدرت بمليارات الدولارات، مما دفع الحكومة إلى الحرص على تفادي ذلك فـي الحرب الجديدة. ثم ضغط الشارع التركي الذي رفض رفضا مطلقا من خلال مظاهرات شبه يومية انخراط بلاده في الحرب، إضافة إلى انقسام الموقف الأوروبي من الحـرب، ورفـض فرنسا وألمانيا لها".[201] وعدم كسب الحرب تفويضا من الأمم المتحدة.

لكن عدم مشاركة تركيا في الحرب على العراق، لم يوقف شنها، ولم يكن له تأثير يذكر على سير العمليات فيها، حيث مضت أمريكيا في حربها دون التفات لتركيـا، ولهـذا يـرى البعض أن تركيا كانت في عداد الخاسرين في تلك الحرب، رغم عدم مشاركتها فيها، ومـرد ذلك أن تثبيت الكيان الكردي في شمال العراق ضَرَب المصالح التركية ضربة مزدوجة، أولاً لأن طموحات الأكراد القومية تهدد وحدة الأراضي التركية، في جنوب شرقها، حيث الغالبية الكردية من السكان. وثانياً لأن ظهور هذا الكيان في شمال العراق بغطاء دولـي أميركـي، يشكل منطقة عازلة لتمدد نفوذ تركيا الإقليمي. حيث أن تركيا لا تملك من مداخل جغرافية إلى المشرق العربي سوى العراق وسوريا.[202] ومع كل هذا، فإن تجنب المشاركة فـي الحـرب تحسب نقطة مضيئة في تاريخ علاقة تركيا بالعرب، في ظل تخاذل عربي ضد العراق، تمثل بفتح قناة السويس أمام القوة الأمريكية المتجهة للعراق، وتكثيف وجودها في القواعد العسكرية في الدول العربية الخليجية، التي كانت منطلقا لضرب العراق. ولا بد أن موقف تركيا هذا قد خلق صورة وأثرا إيجابيا لها لدى العرب، وأنه يعزز ويصب في مصب العثمانية الجديدة التي تمارسها تركيا وتطمح لها.

الملف الأمني

وقَعت الحرب رغما عن تركيا، وحدث ما حدث في العراق من فوضى متعددة الجوانب، لكن تركيا في ظل هذه التغيرات لم يكن لها أن تقف مكتوفة اليدين، بل كان عليها أن تـنهض

[201]- بووانو، *إسلاميو تركيا*، 93.
[202]- اللباد، *الدور الإقليمي التركي*.

وتتعامل بجدية مع هذا الواقع الجديد شاءت أم أبت، وأن تبحث عن مصالحها الضائعة في كومة مصالح الدول والأطراف المختلفة اللاعبة على الساحة العراقية، فالواقع الجديد لجارتها الجنوبية فتح على تركيا أبوابا خطيرة عدة، وخلق أمامها تحديات كبرى، يتطلب كل منها بذل حزم من الجهود المضنية لتفاديه، وأخرى للمشاركة في الكعكة التي ستتناهشها الأطراف الأخرى لا محالة، ولاسيما النفطية، وكما هو معروف فإن مصادر الطاقة شكلت قديما ولا زالت، معضلة حقيقية لتركيا "غير النفطية"،[203] وقد أولت تركيا التحولات الأمنية الجارية في العراق ولاسيما شماله أهمية كبرى، وقد عملت كل ما من شأنه أن يجنبها خطر تدهور الأوضاع المتصاعد في هذه المنطقة. "حيث شهد الوضع الأمني في العراق في أعقاب إعلان الولايات المتحدة إنهاء العمليات القتالية في أيار 2003، تدهورا متصاعدا، استمر حتى 2008– حيث قلت وتيرته– بل أن المشهد الأمني أوصل بعض التحليلات إلى إدراك صعوبة استمرار العراق كبلد موحد، وأن احتمالية تفككه هي الأقوى".[204]

ولعل هذا ما كان يقض مضاجع الساسة الأتراك خيفة من هذا الوضع. " فإقامة كيان أو حكم ذاتي للأكراد شمال العراق أمر مقلق ومرفوض كليا بالنسبة لتركيا، لخشيتها من أن ينشر هذا الكيان سمومه في المنطقة كلها، وأن يطمع أكراد تركيا في إقامة كيان مشابه لهم في البلاد".[205] فتركيا التي تطمح لمد نفوذها، وترسيخ دورها في محيطها، لا يمكن لها أن تتخيل أن جزءا من أراضيها سينفصل عنها ذات يوم، بل أنها تسعى ومنذ ثلاثة عقود بكل طاقتها لإخماد فتيل حزب العمال الكردستاني الانفصالي الذي ينادي بإنشاء دولة كردية جنوب البلاد. ولشدة اهتمام تركيا بالقضية الأمنية، وضرورة القضاء على قوة المتمردين الأكراد، تواصلت باستمرار مع الساسة العراقيين، بمختلف أطيافهم، وقامت بجهود كثيرة في هذا المجال، منها أن "توصلت مع العراق إلى اتفاق أمني يسمح للقوات التركية بمكافحة عناصر حزب العمال الكردستاني داخل الأراضي العراقية."[206] كما وكان من الثمار المهمة التي جنتها تركيا بسبب التحسن الكبير في علاقاتها بكردستان العراق، هو تفهم أكراد العراق للمطلب الأمني التركي، وعدم سماحهم لحزب العمال بالانطلاق من مواقع كردية داخل العراق، والمراقبة والتنسيق مع السلطات التركية بهذا الشأن، بل أن هناك ميل من قبل حكومة كردستان للجانب التركي وليس لحزب العمال الكردستاني.[207] وهذا مكسب أمني كبير لم تكن تركيا لتتمكن من حصاده لولا

---

[203]- تنتج تركيا كميات قليلة من النفط والغاز الطبيعي لا تكفي لسد ربع حاجتها من الطاقة.
[204]- عطوان، *النظام السياسي*، ص13.
[205]- كرامر، *تركيا المتغيرة*، 217.
[206]- "اتفاق امني بين العراق وتركيا،" موقع BBC. استرجعت بتاريخ 26\9\2007،
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7014000/7014695.stm
[207]- باكير، علي. 3\3\2012. (مقابلة). أنقرة.

سياساتها الرشيدة، ودبلوماسيتها الحكيمة في الاصطلاح مع كافة الأطراف، حيث ساهم العامل الاقتصادي بشكل كبير، في جني مكاسب أمنية، وهذا يعيدنا من جديد للحديث عن الأهمية البالغة للعنصر الاقتصادي في حسابات تركيا وعلاقاتها الخارجية.

العامل الاقتصادي

كما فصلنا في الفصول السابقة، فإن الاقتصاد يعتبر أحد أهم محركات ودوافع السياسة الخارجية التركية، وأحد أهم أسباب انفتاحها على العالم العربي، وبما أن العراق يحوي ثروات نفطية هائلة، تفتقر إليها تركيا، فقد كان على تركيا الاهتمام به، والتدخل بقضاياه، بما يضمن استمرار وصول ما تحتاجه تركيا منها بسلاسة، وبتكلفة وجهد معقولين، بما يدعم اقتصاد البلاد. "حيث احتل العراق خلال نصف القرن الماضي نصيب الأسد من صادرات تركيا إلى البلاد العربية، وكذلك من حجم الواردات إليها، كما شهد عقد الثمانينات، حركة تجارية نشطة بين تركيا والعراق، على إثر الحرب العراقية الإيرانية،[208] حيث تركزت الصادرات التركية على المواد الغذائية، أما الواردات إليها فقد كان معظمها من النفط. ولا تزال العلاقات التجارية والاقتصادية بين العراق وتركيا علاقات قوية ونشطة. لكن هذا النشاط تراجع مع تطبيق المقاطعة الدولية عليه، فبينما كانت التجارة الحدودية بين تركيا والعراق عند الحدود الشرقية الجنوبية لتركيا بمثابة الشرايين المهمة لمناطق الأناضول الفقيرة فإن انقطاع هذه التجارة جعل هذه المنطقة تشهد موجة من البطالة والركود الاقتصادي غير المسبوقة، بعد أن كانت بدأت خطواتها نحو التنمية والازدهار.

إن هذه الصورة السيئة للأوضاع الاقتصادية والضربات التي تلت الحرب على العراق والتي أنهكت الاقتصاد التركي، زادت من القلق التركي تجاه مثل هذه الأزمات التي قد تحدث من حولها خصوصا إذا كان الأمر يتعلق بشريك تجاري آخر لتركيا.[209] ومن هنا كان تحسين تركيا لعلاقاتها مع جميع الأطراف العراقية بما فيها الشيعية القريبة من إيران، هو ضرورة لها، لتتمكن من التأثير في حسابات الجدوى الاقتصادية لهذه الفصائل، بما يجعل تركيا الطرف الثاني إلى جانب إيران في معادلات السياسة العراقية، وهي نتيجة تعكس تطوراً لافتاً وعميقاً لدور تركيا الإقليمي.[210] وهنا يمكن لنا أن نتخيل كم للدافع الاقتصادي أهمية في حسابات

[208]- أوغلى، *العلاقات التركية*، 328

[209]- الطويل، *مستقبل العلاقات*، 110.

[210]- اللباد، *الدور الإقليمي التركي*.

تركيا وعثمانيها الجدد. جنبا إلى جنب مع الرغبة الجامحة في التدخل في شؤون العراق وتعقيداته، وكذالك المنافسة مع اللاعبين الآخرين على النفوذ فيه.

وقد جلب الوضع الجيوسياسي الحالي لإقليم كردستان العراق لتركيا رغم مخاطره، الكثير من المنافع الاقتصادية، فتركيا أصبحت تسيطر اقتصادياً على منطقة الحكم الذاتي الكردية في العراق، عبر امتلاك شطر كبير من السوق المحلية في كردستان العراق وتصدير البضائع إليها، وعبر الاستثمار المباشر في مشروعات البنية التحتية، وليس آخراً بسبب أن تركيا هي المعبر الجغرافي لصادرات كردستان العراق من النفط. وهو ما يهيئ لتركيا امتلاك وسائل ضغط فائقة الفاعلية على إقليم كردستان، ولا تكتفي فقط بالآلة العسكرية لملاحقة مقاتلي حزب العمال في جبال قنديل الوعرة.[211]

وهنا يتداخل الاقتصادي بالسياسي بالأمني، من أجل الكسب الاقتصادي، والنجاح الأمني في ذات الوقت. وبشكل عام "فإن العلاقة التركية ولاسيما الاقتصادية بكردستان العراق علاقة جيدة. وبينهما تجارة بأرقام كبيرة مقارنة بالسابق.[212]

العلاقة بالأطراف العراقية

إن أكثر من ثلاثة أرباع المجتمع العراقي ينغمسون في الخندق الفئوي كما تشير دراسات، حيث أن الطائفية والفئوية متجذرة في المجتمع العراقي تاريخيا، قبل ان تبرز بشكل كبير بقدوم الاحتلال الأمريكي.[213] لأجل ذلك كان على الدبلوماسية التركية أن تتعامل مع العراق كله جملة وتفصيلا، وأن تقف على مسافة واحدة من جميع الأطراف، حتى يكون دورها مقبولا ومرحبا به. ويقول الوزير "داوود أوغلو" في هذا السياق: "لقد دخلنا على الخط في مراحل حساسة في العراق، لكن دخولنا لم يكن لصالح جهة على حساب أخرى، فدخلنا لتأمين السلام بين إخواننا، ونقلنا قناعتنا وأفكارنا لإخواننا بكل صراحة، فخلال الأزمة السياسية عام 2005 مثلا في العراق، حاولنا تشجيع إخواننا السنة على المشاركة في الانتخابات حتى يشارك الجميع في العملية السياسية، لأننا نريد أن تكون بغداد مجددا مركز الحضارة كما كانت في السابق." [214]

---

[211]- المرجع السابق.

[212]- باكير، علي. 3\3\2012. (مقابلة). أنقرة.

[213]- عطوان، *النظام السياسي*، 13.

[214]- أوغلو، أحمد داوود. قناة الجزيرة. (برنامج: لقاء اليوم). 14\2\2011.

وقد نجحت تركيا إلى حد كبير في سياسات التوازن التـي انتهجتهـا مـع الأطـراف العراقية، وكانت الدولة الوحيدة – ولغاية فترة قصيرة – القادرة على مخاطبة كافـة أطيـاف المشهد العراقي بلا استثناء، ولكنها خدعت من قبل المالكي الذي وعدها– وباتفاق ضمني مع إيران– بأن لا يستخدم الطائفية في سياساته. "ولكن عندما تبين لتركيا– التي لها مؤيدين كثـر من مختلف الأطياف في العراق سواء السنية أم الشيعية– أن المالكي لا ينفذ وعـوده ويفعـل العكس تماما، ويقوم بحكم طائفي للعراق، بدأت تحذره سياسيا، وبعد ذلك ساءت العلاقات مع تصاعد تطبيق المالكي للطائفية، وقد حاولت تركيا وقتها أن تذكره بأنها طرف سـني، لكنهـا تعاونت معه من اجل الابتعاد عن الطائفية." [215]

وقد عكف الخطاب التركي تجاه العراق على التأكيد أن تركيا لا تتعامل مع العراق مـن منطلقات طائفية، بل وكانت من أشد الداعين لنبذها وعدم التعامل بها بين الأطراف العراقية، فقد أكد الوزير داود أوغلو أن بلاده لا تحمل أي نظرة عرقية أو إثنية تـجاه العـراق ودول المنطقة، وشدد على ضرورة التآزر بين جميع الأطراف للحيلولة دون اندلاع نزاع طائفي في المنطقة.[216] كما ولفت أردوغان الأنظار إلى الاختلاف المذهبي في العراق، وقال "نحن نعتبر الخلافات في العراق على أساس مذهبي أمرا خطيرا جدا، وسنواصل توجيه نداءاتنا القوية إلى الأطراف العراقية بشأن ضرورة التحلي بضبط النفس"[217] ولكن الحيادية التي كانت تلتزم بها تركيا، ويرددها قادتها في خطاباتهم المتعلقة بالشأن العراقي، تبدو وكأنها تبدلت بعـد إخـلال المالكي بوعوده بعدم استخدام الطائفية في الحكم، ولعل هذا ما جعل تركيا تدعم وترغب فـي وصول إياد علاوي للحكم بدل المالكي وطالباني، لكن آمال تركيا في وصول علاوي لرئاسة الجمهورية، قد تبددت، بإخفاقه في الانتخابات، وهنا قال جلال الطالباني أن محاولات تركيـا لإبعاده هو والمالكي عن رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة لصالح علاوي قد فشلت.[218]

ولعل هذا ما دفع بعض المحللين الى اعتبار أن زيارة أردوغان للبنـان أواخـر 2010، "جائت كتعويض عن خسارتها في تقاسم السلطة بالعراق، بعد تبنيها بالكامل لقائمة العراقيـة ودعمها لإياد علاوي"[219] لكن آخرين رأوا أن تركيا لم تخسر خسارة جوهرية بالعراق، بل لا زالت تلعب دورا مهما ومؤثرا هناك.[220] وأن الاهتمام بلبنان يأتي ضمن الانفتاح التركي العام

---

[215]- خشرم، عمر. 25\2\1012. (مقابلة) أنقرة.
[216]- قناة التركية، نشرة الأخبار، 26\1\2012.
[217]- قناة التركية، نشرة الأخبار، 31\1\2012.
[218]- قناة الجزيرة (ما وراء الخبر). 19\11\2010.
[219]- خوري، آرنست. قناة الجزيرة (برنامج ما وراء الخبر). 25\11\2010.
[220]. العادل، محمد. قناة الجزيرة (برنامج ما وراء الخبر). 25\11\2010.

على العالم العربي. ولكن تجدر الإشارة هنا إلى إن العامل الإيراني عامل حاضر بقوة في تحديد طبيعة العلاقة التركية بالعراق، نظرا لما يملكه من نفوذ في العراق، وقد حاولت إيران باستمرار الضغط على تركيا في مواقف مختلفة، من خلال مؤيديها في لبنان والعراق، لدفعها للاستجابة لمطالب معينة، وهذا ما حدث إبان الثورة السورية التي تدعمها تركيا ضد النظام، الأمر الذي أغضب إيران حليفة النظام السوري، ومن هنا استخدمت أداة الضغط العراقية على تركيا، وحدث توتر وتراشق كلامي بين تركيا والمالكي، الذي اتهم تركيا بأنها تريد التعالي عليه، ومُنع الطيران التركي من الهبوط ببغداد على إثرها وإجراءات أخرى.[221] ولكن عموما فإن المؤكد أن تركيا معنية بوحدة الأراضي العراقية وتماسكها، وأن يعم الأمن والاستقرار والسلام فيها، وحريصة على التوفيق بين السنة والشيعة وأن تكون على مسافة واحدة منهما، فهي التي استضافت الحكيم كما استضافت الهاشمي، وهذا شيعي وذاك سني، كما زار أردوغان المرجع الشيعي علي السستاني، وهي الزيارة التي أزعجت إيران.[222] فتركيا اليوم تملك شبكة من العلاقات داخل العراق لا تقتصر على التركمان فقط، بل تمتد إلى العرب السنة والشيعة عبر علاقاتها المتميزة مع رئيس الوزراء نوري المالكي، والسيد مقتدى الصدر الذي استقبلته في اسطنبول، مثلما مع آل الحكيم القريبين من إيران.[223]ومن هنا يمكن القول أن علاقات تركيا طيبة ومتينة مع كافة الأطراف في العراق، رغم بعض الشوائب التي شابتها. وأنه "بالمقارنة بين ما كانت عليه العلاقة مع العراق قبل 2002 سنجد اختلافا كبيرا، حيث تحسنت العلاقات معه على كافة الصعد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بعد أن أثبتت تركيا صدق نواياها تجاه الجميع".[224]

هناك بعض القضايا المشتركة بين سوريا والعراق، كانت محط اهتمام الدبلوماسية والخطاب التركيين الجديدين، والتي لا يمكن الفصل بين البلدين في التعاطي معها، كقضية المياه، والوساطة في الخلافات بينهما. فيعتبر التحسن الأخير في ملف المياه المتدفقة من نهري دجلة والفرات إلى كل من سوريا والعراق، خطوة مهمة على طريق تحسين العلاقة والتواصل بين الجارات الثلاث. فحاجة سوريا الملحة للمياه المتدفقة من مياه نهر الفرات لقطاع الزراعة، وتوليد الطاقة فيها.. لعب دورا في الضغط على سوريا لتوطيد علاقاتها مع تركيا. كما أن حاجة العراق الأشد إلحاحا لمياه نهري دجلة والفرات كذلك دور مهم في العلاقة مع تركيا.

---

[221]- باكير، علي. 3\3\2012. (مقابلة). أنقرة
[222]- المرجع السابق.
[223]- اللباد، *الدور الإقليمي التركي*.
[224]- أويصال، أحمد. 12\4\2012. (مقابلة). أنقرة.

ففي الرابع من أيلول 2009، تعهدت تركيا ببذل ما بوسعها لتوفير احتياجات سوريا والعراق المائية، وأكدت التزامها بتمرير ما لا يقل عن 500 متر مكعب في الثانية من مياه نهر الفرات على سوريا ومن ثم إلى العراق، وبهذا الخصوص أوعز رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان إلى وزرائه المعنيين بالمفاوضات بهذا الشأن، بإبداء المرونة حيال المباحثات مع جارتيه، مشيرا إلى أن القرار التركي بهذا الشأن سيتولاه هو بنفسه، إذا ما تشابكت صلاحيات وزراء الري والطاقة والبيئة الأتراك حوله.[225] وتعتبر هذه أول مرة تبدي فيها تركيا مرونة حقيقية بهذا الشأن، حيث كانت المحاولات الحثيثة من قبل البلدين العربيين لتوقيع اتفاقية ثابتة تحدد نصيب كل بلد من مياه النهرين، تبوء بالفشل، بعد أن تصطدم بالتشدد التركي والتهرب من هذا الالتزام، ولاسيما في عقدي الثمانينات والتسعينات.

ويتجلى الفرق بين الماضي والحاضر لدى استحضار موقف الرئيس التركي سليمان ديميريل الذي شدد في 15\9\ 1997، على عدم قبول تركيا بإصرار سوريا والعراق على تقسيم مياه الفرات ودجلة إلى ثلاث حصص متساوية، حيث كانت تركيا وقتها تريد ممارسة مزيد من الضغط السياسي على العراق وسوريا، في أوج تحسن علاقتها بإسرائيل، وكانت هناك وعود وخطط تضمن تزويد تركيا لإسرائيل بالمياه.[226]

أما على صعيد الوساطة التركية في الأزمة التي نشبت بين العراق وسوريا في شهر آب 2009، بعد اتهام العراق لسوريا بإيواء معارضين عراقيين ينتمون إلى حزب البعث المنحل، متهمين بالضلوع في التفجيرين الدمويين اللذين استهدفا وزارتي الخارجية والمالية العراقيتين في 19\8\2009، وأوقعا نحو 100 قتيل و600 مصاب ببغداد، الأمر رفضته دمشق بشدة. فقد أوفد رئيس الوزراء أردوغان على إثرها وزير خارجيته داود أوغلو إلى كل من سوريا والعراق، في محاولة لاحتواء الخلاف بين البلدين، حيث التقى بدمشق كلا من الرئيس السوري بشار الأسد ووزير خارجيته وليد المعلم، ثم توجه إلى بغداد للقاء رئيس الوزراء العراقي نور المالكي ووزير خارجيته هوشيار زيباري.[227] وعلى إثر استمرار الأزمة بين البلدين قررت الخارجية التركية عقد لقاء يجمع وزيري الخارجية العراقي والسوري في اسطنبول في 17\9\2009، للتوسط بين بلديهما لحل الأزمة.[228] ورغم أن نجاحا كبيرا لم

[225]-"تعهد تركي بشأن مياه الفرات،" الجزيرة نت. استرجعت بتاريخ 4\9\2011،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/5A27EF18-B2F4-4007-BBCB-374A69E8734F.htm
[226]- الغول، *أثر صعود حزب*، 45.
[227]-"تركيا تتوسط بين سوريا والعراق،" الجزيرة نت، استرجعت بتاريخ 29\8\2011،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/78D68A52-5894-4CB1-BCA7-683196D9F7DD.htm
[228]- "الأسد في تركيا لبحث قضايا المنطقة،" الجزيرة نت. استرجعت بتاريخ 16\9\2011،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/D4A6EBC0-B5FE-4B1E-A8A6-E1751442D2A0.htm

ينتج عن هذه الجهود التركية. إلا أن المبادرة بحد ذاتها، تعبر عن تلك العثمانية التي طالما حاولت تركيا "الجديدة" ممارستها من خلال الاهتمام بشؤون المنطقة ومشاكلها، والسعي لحلها. كما أن قبول الأطراف المتنازعة للوساطة التركية، يعد اعتراف بأهمية هذا الدور وفعاليته.

ثالثا: خطاب تركيا تجاه لبنان

في سياق سياسة الانفتاح التركي العامة على المنطقة العربية، والهلال الخصيب، التي تنتهجها تركيا، يأتي الاهتمام بلبنان وبشؤونه وقضاياه المختلفة، ولكن خصوصية التركيبة اللبنانية المعقدة، جعلت الموقف التركي أكثر دقة في التعامل مع قضاياه، حيث التعدد الطائفي والسياسي والعرقي والأطراف التي تحمل رؤى وأيديولوجيات بل وتمارس سياسات شديدة التناقض على الأرض وفي السياسة. ولكون لبنان شكل تحديا كبيرا ودائرة صعبة في تاريخ الصراع مع إسرائيل، فهذا أكسبه أهمية كبرى في الحسابات العربية والشرق أوسطية والعالمية، وقد أسهم غياب سلطة سياسية عليا متناغمة وقوية، في تحويل لبنان إلى ساحة منافسة للاعبين الدوليين المختلفين، الذين عكفوا على دعم أطراف لبنانية على حساب أخرى. فبينما كانت إيران تدعم بقوة التيار الشيعي في لبنان، الذي يمثله حزب الله، وهو واحد من الركائز الأساسية في لبنان، كان لفريق الرابع عشر من آذار علاقات وطيدة مع أمريكا والغرب، ويتلقى دعما سياسيا وماليا كبيرا منهما. أضف إلى ذلك النفوذ السوري وتأثيره في الداخل اللبناني.. وهكذا.

ولهذا كان البحث التركي عن الدور المفقود في الساحة اللبنانية أمر ليس بالسهل، لكنه مهم وضروري، "لأن الأمن القومي التركي مرتبط بشكل مباشر بمنطقة الشرق الأوسط عامة بما فيه لبنان، حيث أدركت أنقرة بأن أمنها القومي ليس مرتبطا بواشنطن أو بباريس، وإنما بالشرق الأوسط، وأن ما يحدث في لبنان ينعكس بشكل مباشر على أمن تركيا".[229] وهنا آثرت تركيا الدخول إلى لبنان من أكثر من باب في آن واحد، كان أهمها المدخل السوري، وهو الفاعل بقوة في الساحة اللبنانية، إضافة إلى السعي لمد جسور التعاون مع كافة الأطراف اللبنانية، ودعم مؤسسات المجتمع المدني، وإنشاء مؤسسات صحية وتعليمية ومراكز ثقافية على شكل هبات ومساعدا – ولاسيما في القريتين اللتين يسكانهما أتراك في لبنان– ثم اللعب على الوتر الاقتصادي، وتشجيع الاستثمار وغيرها من السبل.

[229]- العادل، محمد. قناة الجزيرة (برنامج ما وراء الخبر). 25\11\2010.

وبعد الحرب التي شنتها إسرائيل على لبنان في تموز 2006، والممارسات الوحشية خلالها، والتي كانت إحدى أخطر المنعطفات التي مرت على لبنان في صراعه مع الاحتلال، خرج موقف تركي معارض لها بشدة، وناقد للسياسات الإسرائيلية فيها، وقد أستقال خلال الحرب العديد من النواب الأتراك من عضوية لجنة الصداقة البرلمانية التركية الإسرائيلية.[230] وهو تطور مهم إذا قورن بحجم العلاقة السابقة مع إسرائيل، وفيه دلالة على أن ثمة رفض تركي عام للممارسات الإسرائيلية، وليس فقط من قبل العدالة والتنمية. ومن جهتها وافقت تركيا على إرسال قوات للمشاركة في مهمة قوات الطوارئ الدولية العاملة في جنوب لبنان "اليونيفيل"، ووصل عدد أفراد هذه القوة التركية الى 681 جندي،[231] لكن هذه الخطوة قد جرّت على تركيا انتقادات حادة من بعض الأطراف، ولاسيما من أرمن لبنان. ولكن بشكل عام، لقد أعطت الحرب لتركيا فرصة للمشاركة في دور إقليمي مهم في الشرق الأوسط، مع أن النظام في تركيا في ظل حزب العدالة والتنمية يبقى جزءا من النظام العام في العالم الإسلامي الذي يعتمد في صوغ توجهاته الأساسية على المقاربة السعودية للأمور، لكون الرياض صاحبة الكلمة الأولى في المؤتمر الإسلامي.[232] ويرى مراقبون إن تركيا وأردوغان شخصيا منذ عدوان تموز مرورا بواقعة دافوس ثم أسطول الحرية، قد نالوا مصداقية كبيرة في الشارع اللبناني – كما الشارع العربي عموما – كانت مصداقية عابرة للطوائف اللبنانية، بل ومبالغ فيها أحيانا على اعتبار أن أردوغان أصبح المنقذ لدى البعض، وعبد الناصر الجديد وإلى آخره. [233]

وقد شكلت الزيارة التي قام بها رئيس الحكومة اللبنانية سعد الحريري لتركيا بعد تسلمه للحكم، محطة مهمة في العلاقات التركية اللبنانية. فللمرة الأولى يلتقي وفد لبناني برئاسة الحريري وعضوية ثمانية وزراء مع القيادة التركية. وأسفرت الاجتماعات عن نتائج غير مسبوقة في تاريخ العلاقات الثنائية، أهمها قرار إلغاء تأشيرات الدخول بين البلدين، وبهذا يكون لبنان قد تبع سوريا في هذه الخطوة، التي بات بإمكان أي مواطن لبناني بموجبها دخول الأراضي التركية دون الحاجة إلى تأشيرة دخول. وفي الواقع ما كان ممكنا تحقيق زيارة الرئيس الحريري وبالحجم الذي تمت فيه أيضا لولا توفّر مجموعة من العوامل أهمها على الإطلاق وجود سلطة جديدة في تركيا هي حزب العدالة والتنمية، التي أعطت للعلاقات مع

---

[230]- صالح، *تركيا والقضية*، 33.
[231]-"وصول القوات التركية المشاركة فى اليونيفيل الى لبنان،" وكالة أنباء البحرين، استرجعت بتاريخ 20\10\2011، http://www.bna.bh/portal/news/86730
[232]- "الحرب الإسرائيلية على لبنان،" الجزيرة نت، استرجعت بتاريخ 19\4\2011، http://www.aljazeera.net/books/pages/d2335b66-3021-416d-b5d9-b27a0b0862c8
[233]- خوري، آرنست. قناة الجزيرة (برنامج ما وراء الخبر). 25\11\2010

محيطها المشرقي أولويّة كبيرة. لكن تطور العلاقات التركية مع سوريا كان في منتهى الأهمية أيضا لتتقدم العلاقات التركية مع لبنان. بحيث يمكن القول بكل ثقة انه لولا العلاقات الجيدة بين سوريا وتركيا ما كان ممكنا لزيارة الحريري ان تسفر عن هذه النتائج حجماً ونوعاً.[234]

وقد انتقد أردوغان خلال مؤتمر صحفي عقده مع نظيره اللبناني بأنقرة، إسرائيل بشدة لعدم امتثالها لقرارات الأمم المتحدة واستمرار خرقها الأجواء اللبنانية وقصفها لقطاع غزة، مؤكداً في ذات الوقت رفضه التهديدات الأميركية بضرب إيران في حال فشل المحاولات الدبلوماسية لحل أزمتها النووية. وأنه لا يمكن القبول بتجربة عراق جديدة في المنطقة. وقال أردوغان "هناك سلاح نووي في إسرائيل، والذين ينتقدون إيران لمحاولة امتلاكها سلاحا نوويا لا ينتقدون إسرائيل التي تمتلك بالفعل سلاحاً نووياً، وهذه مشكلة حقيقية" وأضاف "إن إسرائيل تعترف أن لديها أسلحة دمار شامل، وقد استخدمتها بالفعل في غزة حيث استخدمت الفسفور الأبيض، ولا يمكن لأحد أن يدعي أن الفسفور الأبيض ليس من أسلحة الدمار الشامل". وقد استفزت هذه التصريحات إسرائيل، ونددد بيان لوزارة خارجيتها بها.[235] وتأتي هذه التصريحات في ظل صمت عربي وغربي مطبق، عن السلاح النووي الإسرائيلي.

وفي أول زيارة له إلى لبنان في 24\11\2010. أطلق رئيس الوزراء أردوغان العنان للسانه في تمجيد لبنان، والحديث عن اهتمام تركيا بشؤونه وأمنه ووحدته واستقراره، وعن علاقات الأخوة بين الأتراك واللبنانيين، مستحضرا التاريخ الطويل المشترك الذي جمعهم بهم، كما أطلق العنان أيضا للسانه في نقد إسرائيل، والتنديد بممارساتها، في خطاب لم يبلغ مستواه من الجرأة، خطاب أي من القادة العرب سابقا، ولاسيما أنه يأتي بعد اعتداءات إسرائيل الثلاث: العدوان على البنان، والعدوان على غزة، والعدوان على السفن التركية في البحر الذي استشهد خلاله تسعة أتراك. واعتبر أردوغان ان لبنان انتصر على إسرائيل في الحرب التي شنتها عليه عام 2006، وأنه سينتصر عليها في أي حرب قادمة. ودعا إلى أن تكون المنطقة كلها في موقف واحد ضد "القتلة الإسرائيليين" كما طالب إسرائيل بالتوقف عما وصفها بالأعمال التحريضية، وبالاعتذار لشعوب المنطقة. وأضاف أردوغان أن على إسرائيل أن تتراجع عن أخطائها، مؤكدا أنه في حال نشوب حرب جديدة فإن الخاسر لن يكون فقط أبناء المنطقة العرب، بل مواطنو إسرائيل أيضا.[236] وأكد "أن تركيا ستستمر في رفع الصوت عاليا

---

[234]- محمد نور الدين، "نحو علاقات لبنانية تركية أفضل،" *صحيفة الغد* (3\3\2010):
http://www.alghad.com/index.php/article/362949.html

[235]- "أردوغان ينتقد إسرائيل وضرب إيران،" الجزيرة نت، استرجعت بتاريخ 11\1\2011.
http://aljazeera.net/news/pages/a6f9e6f0-f84d-446e-a01c-541252ab89d7

[236]- "أردوغان: إسرائيل هزمت وستهزم بلبنان،" الجزيرة نت، استرجعت بتاريخ 24\11\2011،

تجاه الطغيان وفي الدفاع عن الحق ما دام هناك أناس يمتهنون القرصنة في عرض البحار، كما ستدافع عن الأبرياء والمظلومين والمغتصبة حقوقهم".

وفي حديثه عن حميمية العلاقة مع لبنان قال أردوغان: "لقد كتب التاريخ علينا الأخوّة كشعوب لهذه المنطقة، ولن يستطيع أحد أن ينال من هذه الأخوة، أو يزرع الفتنة بيننا.. فعندما كانت بيروت محاصرة شعرنا بأننا نحن المحاصرون، وعندما استشهد أخي الغالي رفيق الحريري شعرنا بالألم العميق، وأنتم تشعرون بالألم لاستشهاد الأتراك التسعة الذين سقطوا في عرض البحر، لذا سنستمر في الدفاع عن الحق طالما هناك أناس يمتهنون القرصنة في عمق البحار" [237] وقد استُقبل أردوغان الذي استمرت زيارته ليومين، بحفاوة وترحيب كبيرين من الشعب اللبناني، ورؤساء الهرم السياسي الثلاثة الذين التقى بهم، رئيس الجمهورية ميشيل سليمان، ورئيس مجلس النواب نبيه بري، ورئيس الحكومة سعد الحريري، وتأتي هذه الزيارة بعد نحو شهر من زيارة مشابهة قام بها الرئيس الإيراني أحمدي نجاد، وألقى فيها خطابا شهيرا في جنوب لبنان. الأمر الذي دفع البعض لاعتبار أن زيارة أردوغان تأتي في سياق المنافسة العامة بين تركيا وإيران في المنطقة. وفيما يتعلق بالشأن اللبناني الداخلي أكد أردوغان وقوف تركيا إلى جانب لبنان في كل الظروف التي يمر بها، مشدداً على ضرورة تحقيق الوحدة بين دول المنطقة من أجل تحقيق الاستقرار والرفاهية لشعوبها. كما شدد على أن بلاده لن تسمح بأن ينزلق لبنان في حرب أهلية.[238] وقد زار أردوغان عدة مناطق لبنانية خصوصا صيدا حيث رعى افتتاح المستشفى التركي التخصصي للطوارئ والحروق، والذي أنشئ بهبة من الحكومة التركية على أرض قدمتها بلدية صيدا، وبلغت تكلفته حوالي 20 مليون دولار.[239] كما تم التوقيع خلال الزيارة على اتفاقية تجارة حرة بين لبنان وتركيا،[240] وهي خطوة على قدر عال من الأهمية ولاسيما بالنسبة للبنان، وتكون لبنان بذلك قد لحقت بسوريا التي وقعت نفس الاتفاقية عام 2004.

وفي كلمة ألقاها في المؤتمر المصرفي العربي في اليوم الثاني للزيارة، تحدث رئيس الوزراء التركي عن إلغاء تأشيرات الدخول بين تركيا وكل من سوريا ولبنان والأردن، وأشار الى أن تركيا تهتم دائما بمصالح دول الجوار، وتبذل جهودها من أجل السلام، وستستمر في

---

http://aljazeera.net/news/pages/3dfc105b-8663-42c1-8fbe-3ea2efe4e839

237- قناة التركية، نشرة الأخبار، 24\11\2010.

238 - قناة التركية، نشرة الأخبار، 24\11\2010.

239- "أردوغان في لبنان بعد.. نجاد،" وكالة الأنباء الكويتية، استرجعت بتاريخ 17\11\2010، http://www.alanba.com.kw/AbsoluteNMNEW/templates/international2010.aspx?articleid=150839&zoneid=214&m=0

240- قناة الجزيرة (الشريط الإخباري). 25\11\2010.

القول، غزة وكابل وبغداد وبيروت والقدس، من أجل السلام، وهاجم أردوغان إسرائيل مـرة أخرى بلهجة شديدة، قائلا: "تقتل الأطفال في لبنان وتهدم المدارس والمستشفيات، وتستخدم أحدث الأسلحة وتدخل غزة وتقتل الأطفال وبعد ذلك تطلب منا أن نسكت، تقوم بالقرصنة في البحر الأبيض المتوسط وتقتل تسعة مواطنين من الأتراك كانوا في طريقهم إلى غزة وبعـدها تطلب منا أن نسكت، فلن نسكت وسنقول الحق ونكون مع الحق".[241]

ورأى محللون "ان الاهتمام التركي في الملف اللبناني يأتي كتعويض عن الخسـارة فـي الساحة العراقية، حيث خسرت تركيا بالكامل تقاسم السلطة بالعراق، بعد تبنيها بالكامل لقائمة العراقية ودعمها لإياد علاوي الذي كانت ترغب بتوليه للحكومة والرئاسة في البلاد".[242] بينما بدد آخرون هذا الطرح باعتبار أن تركيا لا زالت تلعب دورا مهما ومؤثرا في العراق وليست خاسرة هناك.[243] ورأى البرلماني اللبناني نهاد المشنوق: "أن اللاعب الإقليمي التركي لاعـب عميق التأثير، ويدعم قوة ووحدة لبنان، وأن الدور التركي مقبول من جميع الأطـراف فـي لبنان، بعكس الدور الإيراني الذي هو موضع خلاف".[244] وقد أكد مراقبون كثر هذا المعنـى، أي أن تركيا لا ترغب في أن تلعب دورا منحازا لأي طرف في لبنان على حساب آخر، وأنها تسعى الى التوفيق بين السنة والشيعة في لبنان، وبين المسلمين والمسيحيين. غيـر أن هـذا التوازن يعتمد الى حد كبير على الأطراف ذاتها، بمعنى أنه إذا كان هناك طـرف لبنـاني لا يريد من الأتراك ان يقوموا بهذا الدور، فإن تركيا وقتها لا تستطيع ان تفعل شيأ علـى هـذا الصعيد. كحالة عدم الترحيب بهذا الموقف في الفترة الأخيرة من قبل حزب الله.[245]

وعلى صعيد الخلاف اللبناني الداخلي فإن تركيا وبحكم الثقل الذي تمثله في المنطقة، قد بادرت للمساعدة في حل هذا الخلاف، وتسوية الأزمة بين الأطراف اللبنانية المتخاصمة، جنبا إلى جنب مع الأطراف المعنية بهذا الشأن، وخصوصا بعد أن طلبت بعض الأطراف اللبنانية مباشرة من تركيا التدخل في هذه الأزمة. وقد كانت أي علاقة تركية مع لبنان، لا بد وأن تمر عبر سوريا، نظرا للنفوذ السوري الكبير داخل لبنان، والارتباطات القديمة الحديثة بين البلدين، وعلاقات سوريا الوطيدة مع بعض أطرافه كحزب الله، إضافة إلى أن سوريا هي حلقة الوصل الجغرافية مع لبنان، بل أن لا ممر بري للبنان على العالم إلا الأراضي السـورية. فتحسـن

---

[241]- "أردوغان يهاجم إسرائيل بشدة،" موقع جريدة الشرق الأوسط، استرجعت بتاريخ 26\11\2011، http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=596875&issueno=11686

[242]- خوري، آرنست. قناة الجزيرة (برنامج ما وراء الخبر). 25\11\2010.

[243]- العادل، محمد. قناة الجزيرة (برنامج ما وراء الخبر). 25\11\2010.

[244]- المشنوق، نهاد. قناة العربية. (برنامج ستوديو بيروت) 25\11\2010.

[245]- باكير، علي. 3\3\2012.(مقابلة). أنقرة.

العلاقات التركية السورية قد أدى إلى انفتاح تركي أكبر على لبنان، كما تؤثر علـــى العلاقـــة التركية مع إيران أيضا، والتي لها هي الأخرى نفوذ كبير داخل لبنان، استخدمته أكثر من مرة للإضرار بالعلاقات التركية اللبنانية، ومع ذلك بقي ثمة الكثير من الأطراف اللبنانية تؤمن بأن العلاقة مع تركيا جيدة ولاسيما على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، ومنظمـــات المجتمـــع المدني.[246] وهنا يشير محللون إلى أن الدور التركي في لبنان كان دور تكاملي مـــع الـــدور السوري وليس منافسا له، وإنما التنافس الساخن كان مع إيران ودورها في المنطقة.[247] وفـــي التسوية التي تمت في العاصمة القطرية الدوحة بين الأطراف اللبنانية المتخاصمة عام 2008، وهي المصالحة التي وقعتها الأطراف اللبنانية في الدوحة، وأثمرت حلا للأزمـــة الرئاســـية، وانتخاب رئيس للبلاد، فقد أكد مراقبون أنه كان لأنقرة دور رئيس فيها، وأنها كانت حريصة على عدم زعزعة الاستقرار والأمن في لبنان، ولم يكن لها في ذلك أهداف أيديولوجية، بـــل هي تسعى للعب دور مهم في المنطقة.[248]

وبعد انهيار حكومة الوحدة الوطنية اللبنانية التي كـــان يرأســـها ســـعد الحريـــري فـــي 2011\1\12، إثر استقالة 11 وزيرا منها، بينهم عشرة من التحالف الذي يتزعمه حـــزب الله وواحد من حصة الرئيس اللبناني. في ظل خلافات داخلية بشأن المحكمة الخاصـــة باغتيـــال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري وقرارها الظني. هرول الحريري "الابن" إلـــى أنقرة راجيا منها التدخل في حل الأزمة. ولأن تركيا كانت تخشى أن يؤدي صـــدور قـــرار المحكمة واتهامه لطرف ما، الى زعزعة الاستقرار وحدوث تداعيات سياسية وأمنيـــة علـــى لبنان ومن ثم على سوريا والمنطقة.[249] تقرر عقد قمة ثلاثية ســـورية قطريـــة تركيـــة فـــي العاصمة السورية دمشق لبحث تداعيات الأزمة اللبنانية الجديدة وسبل إيجاد مخرج لها، وقـــد شارك في القمة التي عقدت في 2010\1\17، رئيس الوزراء أردوغان ذاته، إضـــافة الـــى الزعيمين السوري والقطري.[250] وقد خلصت القمة الى" التأكيد على حرص القادة المشاركين فيها على أن يكون هناك حل للأزمة اللبنانية مبني على المســـاعي الســـورية ـــ الســـعودية، لتحقيق التوافق بين اللبنانيين ومنع تفاقم الأوضاع".[251] وبعد قمة دمشق بيومين، وصل وزير الخارجية التركي أوغلو، ونظيره القطري حمد بن جاسم، إلى العاصمة اللبنانية بيروت فـــي

---

[246]- باكير، علي. 3\3\2012. (مقابلة). أنقرة.
[247]- العادل، محمد. قناة الجزيرة (برنامج ما وراء الخبر). 25\11\2010.
[248]- خوري، آرنست. قناة الجزيرة (برنامج ما وراء الخبر). 25\11\2010.
[249]العادل، محمد. قناة الجزيرة (برنامج ما وراء الخبر). 25\11\2010.
[250]- "قمة سورية قطرية تركية بشأن لبنان،" الجزيرة نت، استرجعت بتاريخ 17\1\2011.
http://aljazeera.net/news/pages/00da492d-94f7-4cfd-b537-bf9094b3d12b
[251]-"داود أوغلو وحمد بن جاسم في لبنان،" موقع دار الحياة، استرجعت بتاريخ 19\2\2011،
http://ksa.daralhayat.com/ksaarticle/225065

2011\1\19، لاستكمال ما قررته قمة دمشق، وقد اجتمعا مع كافة الأطراف اللبنانيـــة. وقـــد غادر الوزيران البلاد وبسبب تحفظات أطراف لبنانية على مقترحاتهما، وعلقت قطر وتركيـــا جهود الوساطة التي تستهدف التخفيف من حدة الأزمة، وقال داود أوغلو "إنـــه لا يعتقـــد أن الأطراف اللبنانية قريبة من التوصل لاتفاق لحل الأزمة السياسية".[252] وهكذا تبددت الجهـــود التركية ومبادرتها لاحتواء الأزمة. التي يرى الباحث علي باكير أن حزب الله مـــن أفشـــلها وبطريقة مهينة، بهدف توصيل رسالة الى تركيا أن دورها غير مرحب به، ولاسيما أن ســـعد الحريري كان قد وافق على ما جاء فيها.[253]

بعد انقطاع دام لعام كامل بعد هذه الزيارة للبنان، قام أوغلو بزيارة أخرى للمشاركة في مؤتمر بعنوان "الإصلاح والانتقال إلى الديمقراطية" أيضا في 2012\1\14، وقد جاءت هـــذه الزيارة– التي احتلت التطورات على الساحة السورية حيزا كبيرا منها– في ظرف تمر فيـــه لبنان في واحد من أصعب المنعطفات السياسية وأكثرها تأثيرا على أمنها واستقرارها، ولاسيما أنها تأتي في ظرف تشتعل فيه الساحة السورية، وتشهد أعنف وأخطر مراحل تحولها، وقـــد أجرى أوغلو خلال زيارته محادثات سياسية مع عدد من المسؤولين الرسميين والحزبيين في لبنان، وعلى رأسهم الرئيس اللبناني ميشيل سليمان ورئيس الحكومة نجيب ميقـــاتي ورئـــيس مجلس النواب نبيه بري، وقد شدد أوغلو خلال لقاءاته على أهمية استقرار لبنان بالنسبة إلـــى بلاده، محذراً من أي انعكاسات أو ارتدادات سلبية عليه من خلال ما تشهده منطقـــة الشـــرق الأوسط من اضطرابات وأزمات، وقال "إن استقرار لبنان هو استقرار لمنطقتنا، ولبنان نموذج جيد للتعددية الدينية والثقافية والعرقية والتعايش والحوار والانتخابات الحرة"، مؤكداً "أن الوقت قد حان للتشاور والحوار حول مستقبل المنطقة بما فيها سوريا".[254]

ورأى بعض الناقدين للموقف التركي من النظام السوري خلال الثورة، أن هذه الزيـــارة تأتي من باب المواجهة والضغط على النظام السوري من خلال استغلال الميـــدان اللبنـــاني، متهمين أنقرة بأنها اخترقت مبادئها وحياديتها، وغادرت زمن تصفير المشاكل، وأن نظريـــة العمق الاستراتيجي التي تبنتها قد انهارت.[255] من المؤكد هنا أن حلفاء ســـوريا فـــي لبنـــان، كحزب الله، لم يعودوا يرغبون بتحركات تركيا ودورها في لبنان، بسبب موقفهـــا المنـــاهض

[252] - " تحفظات تعلق المساعي القطرية - التركية لحل الأزمة اللبنانية،" موقع أبو عريش استرجعت بتاريخ 2011\2\21، http://www.abuarish.co/news/international/900-news.html

[253]- باكير، علي. 2012\3\3. (مقابلة). أنقرة.

[254]- صحيفة القدس العربي، أوغلو غادر بيروت بعد محادثات شاملة،" (2012\1\16): http://alquds.co.uk/index.asp?fname=today%5C16qpt963.htm&arc=data%5C2012%5C01%5C01-16%5C16qpt963.htm

[255]- محمد نور الدين،"أنقرة تغادر زمن تصفير المشكلات،" *صحيفة السفير*. 14، العدد: 12084 (2012\1\).

لممارسات النظام بحق شعبه. ولكن في نفس الوقت فإن اجتماع أوغلو مع كافة الأطراف اللبنانية، دليل على أن تركيا ترغب في أن تبقي على علاقات جيدة مع جميع الأطرف، كما أنها اعتراف من هذه الأطراف بأهمية الدور التركي، وأنه لازال مؤثرا وفعالا. وعموما ورغم هذا الاهتمام التركي بلبنان وقضاياه، والانفتاح عليه والاصطلاح مع شعبه وقادته، إلا أنه لا يمكن القول أن لبنان قد حظي بنفس القدر من الأهمية التي حظيت بها العلاقة مع بلدان أخرى كسوريا والعراق، وذلك لأسباب تتعلق بحجم لبنان السياسي والاقتصادي والديموغرافي، إضافة الى عدم وجود حدود مباشرة له مع تركيا، وقلة المصالح التركية به مقارنة بغيره، بحيث كانت أهمية لبنان في بعض جوانبها لأسباب تتعلق بكونه ساحة صراع أو منافسة دولية وإقليمية. لكن ذلك لم يمنع تركيا من التقدم والمبادرة، والإدلاء بدلوها به.

رابعا: خطاب تركيا تجاه القضية الفلسطينية والصراع مع إسرائيل

بخلاف العراق وسوريا، فإن اهتمام تركيا بالأراضي الفلسطينية كجزء من منطقة الهلال الخصيب، لا ينبع من دوافع اقتصادية أو أمنية، ففلسطين ليست دولة مجاورة أو ذات حدود مباشرة مع تركيا، ومن ناحية أخرى فإنه ليس لدى هذا البلد موارد أو قوة اقتصادية يُطمع بها، أو تجارة حقيقية ترتجى، بل يكاد لا يكون له اقتصاد أو تجارة، إذا فمن أين ينبع اهتمام تركيا "القوية" بفلسطين "الضعيفة"؟. الحقيقة أن الاهتمام التركي بالقضية الفلسطينية ليس لذات القضية، وإنما لغيرها، بمعنى أن فلسطين هي قضية أكبر وأعم وأشمل من حجمها الجغرافي والديموغرافي والاقتصادي..، فلكونها قضية مركزية في الحسابات العربية والإسلامية لاعتبارات قومية ودينية وتاريخية وجغرافية وإستراتيجية..، وباعتبارها قضية العرب الأولى- كما يقول العرب- فإنها أنسب مدخل يمكن الدخول منه إلى القلوب والجيوب العربية معا، وإلى صناع القرار والجماهير العريضة في الوقت ذاته، حيث أن الاهتمام التركي بالقضية الفلسطينية سيحصد ود العرب، وما يؤدي إليه ذلك من مكاسب جمة،اقتصادية وغير اقتصادية ويضمن منحها امتيازات ومواقع مُنعت عن غيرها، ويضمن دخولها إلى الأسواق، ووصولها إلى الموارد ومنابع النفط والقلاع الاقتصادية من أوسع أبوابها، هذا اقتصاديا.

أما سياسيا فقد شكلت القضية الفلسطينية ولا زالت، مصدر عدم استقرار في الشرق الأوسط، وربما في العالم أجمع، نتيجة للتجاذبات الدولية التي أحدثتها منذ ما قبل عام 1948 وحتى اللحظة، فلا تكاد تكون دولة في العالم إلا وكان لها موقفها وتدخلها في القضية الفلسطينية بشكل قريب أو بعيد، من روسيا (الاتحاد السوفييتي سابقا) شرقا، إلى أوروبا

وسطا، الى أمريكيا غربا..، لكل كان دوره ونصيبه من هذه القضية حسب مصالحه وخططه وأهدافه، فاحتلال إسرائيل لهذه المنطقة الإستراتيجية التي تتوسط العالم العربي، وتشكل حلقة الوصل البرية بين قارتي آسيا وإفريقيا، عدا عن أهميتها التاريخية والدينية، واقتطاعها من سياقها الثقافي والتاريخي والجغرافي والحضاري..، جعل من هذه القضية ساحة صراع بين أقطاب وقوى دولية مختلفة،- وكما ذكرنا- ليس لذاتها، وإنما لارتباطاتها بحلقات ودوائر عدة، ومن هنا كان الجميع يسعى للعب دوره، أو عرض وساطته، أو الإدلاء بدلوه في بحر القضية.

وما تركيا التي باتت تتطلع بشكل حثيث مؤخرا، إلى ممارسة عثمانيتها الجديدة في المنطقة العربية والجوار عامة، والانفتاح على الأقطار العربية، ولعب دور فعّال في ساحتهم، إلا جزءا من هذه المعادلة المعقدة، وكأن المعادلة السياسية الدولية تجاه القضية الفلسطينية والعرب عموما التي تقول: (ان تحسين أي دولة للعلاقة مع العرب يعني بالضرورة إفسادها مع إسرائيل والعكس صحيح)، كأنها هي المحرك ذاته للسياسات التركية في هذا الاتجاه، فقلما تمكنت دولة من الاحتفاظ بعلاقات حسنة مع الطرفين منذ عام 1948، ولهذا السبب فإن العلاقات التركية الإسرائيلية منذ وصول حزب العدالة والتنمية للحكم في تركيا عام 2002، بدأت تشهد توترا ملحوظا بشكل لا يقبل الجدل، إلى أن تدهورت بدرجة كبيرة مؤخرا بوصولها الى طرد السفير الإسرائيلي من أنقرة، وتجميد عشرات الاتفاقيات التجارية، وإلغاء المناورات العسكرية بين الطرفين.

وفي المقابل، فقد ترافق مع الانفتاح التركي على العالم العربي، تدخل ملحوظ وقوي في الشأن الفلسطيني سواء الداخلي، أو فيما يتعلق بدعم القضية الفلسطينية في المحافل الدولية، وفي الصراع مع الاحتلال. "وقد استطاع حزب العدالة والتنمية توظيف الورقة الفلسطينية بشكل جيد لكسب الرأي العام التركي المتعاطف أصلا مع هذه القضية من منطلقات دينية"،[256] وليس كسب الود العربي فحسب. "ويرى البعض أن الحزب قد غير اتجاه البوصلة الرسمية التركية (البوصلة الشعبية متعاطفة تماما) تجاه القضية الفلسطينية".[257] كما ويؤكد مراقبون أتراك "أن القضية الفلسطينية ساعدت كثيرا في التقارب بين تركيا والعالم العربي".[258] ولا يتردد المراقبون في القول أن تركيا "قد أولت مؤخراً أهمية كبرى للقضية الفلسطينية، كبوابة للعودة إلى دورها الريادي في المنطقة، والعمل على تحقيق سياسة العمق الاستراتيجي، من خلال السعي والتربع في صدارة الدول الإسلامية، التي تتفوق عليها بالمقومات الكثيرة."[259]

---

[256]- صالح، *تركيا والقضية*، 11.
[257]- المرجع السابق، 33.
[258]- أوزجان، مصطفى . قناة القدس الفضائية (برنامج اتجاهات). 5\1\2011.
[259]- الغول، *أثر صعود حزب*، 135.

ففي القمة العربية التي عقدت بشأن تهويد القدس في مدينـــة ســـرت الليبيـــة، بـــين 27 و2010\3\28، قال رئيس الوزراء أردوغان الذي دُعي الى القمة كضيف:

"إن من أكثر المشاكل المصيرية التي تتطلب حلا عاجلا في منطقتنا هي المشـــكلة الفلسطينية، إن القدس هي قرة عين لهذه الرقعة الجغرافية وللعالم الإسلامي برمته، وهي القبلة الأولى، ولا يمكن القبول أبدا بالتعديات الإسرائيلية عليها، وعلى الأماكن المقدسة فيها، إن إعلان وزير الداخلية الإسرائيلي القدس عاصمة، هو ضرب مـــن الجنون، ولا يُلزمنا أبدا، وسيدفع بهم إلى العزلة.. فطالما احترقت القدس، احترقـــت فلسطين، وطالما احترقت فلسطين، احترقت منطقة الشرق الأوسط، والعالم كلـــه لا يمكن أن يبلغ السلام حينها".[260]

ويلاحظ في خطاب أردوغان الحماسي هذا، والذي يتهجم فيه على إسرائيل وينتقد سياساتها، استخدامه لمصطلح "فلسطين" وليس الأراضي الفلسطينية، كما تستخدم في كثير من المحافـــل، كما أن في دعوة أردوغان "تركيا" لحضور القمة "العربية" بحد ذاتها، ترحيب واعتراف مباشر من الأقطار العربية بأهمية الدور التركي، كما لوحظ في خطاب أردوغان التأكيد على الشراكة التركية الفلسطينية مع العالم الإسلامي، عند إخراج أردوغان للقدس عن دائرتهـــا والعربيـــة، لتكون برأيه إسلامية، وبالتالي هي شأن تركي وإسلامي، كما هي شأن عربي وفلسطيني.

ومنذ اشتعال شرارة الانتفاضة الفلسطينية عام 2000 وجهت تركيا العديد من الانتقادات للممارسات الإسرائيلية بحق الفلسطينيين، وخلال أحداث مخيم جنين عام 2002، اتهم رئـــيس الوزراء التركي بولنت أجاويد إسرائيل بالقيام بمجـــازر جماعيـــة وعرقيـــة ضـــد الشـــعب الفلسطيني.[261] وبعد اغتيال إسرائيل لقادة حركة حماس الشيخ أحمد ياسين، ود. عبد العزيـــز الرنتيسي، وصف رئيس الوزراء أردوغان ممارسات رئيس الحكومة الإســـرائيلي "أريئيـــل شارون" ضد الفلسطينيين بأنها "إرهاب دولة"، كما رفض استقبال شارون في بلاده.[262]

ويمكن القول أن الهجوم الدموي الذي شنته إسرائيل على قطاع غزة أواخر عام 2008، كان علامة فارقة، ونقطة تحول جوهرية في تاريخ العلاقة بين تركيا وإسرائيل مـــن ناحيـــة، وبين تركيا والقضية الفلسطينية والعرب عموما من الناحية الأخرى، فـــالتوتر الحقيقـــي فـــي

---

[260]- قناة الجزيرة. تغطية وقائع القمة العربية – سرت. 2010\3\28.
[261]- صالح، *تركيا والقضية*، 25.
[262]- المرجع السابق، 16.

العلاقة مع إسرائيل منذ بداية حكم حزب العدالة والتنمية بدأ من تلك النقطة، وفي الوقت ذاته فإن الصورة المشرقة التي حازتها تركيا ورسمتها لنفسها في الأوساط العربية، كانت بشكل أساسي من نتاج موقفها من تلك الحرب، وما تبعها من مواقف تركية متعددة، كالموقف في مؤتمر دافوس، ومحاولات كسر الحصار عن غزة وغيرها. ففي صباح السابع والعشرين من كانون الأول عام 2008، وبعد أيام قليلة فقط على زيارة رئيس الحكومة الإسرائيلي إيهود أولمرت للعاصمة التركية أنقرة، بدأت إسرائيل بشن مئات الغارات الجوية على قطاع غزة، موقعة بذلك مئات الشهداء وآلاف الجرحى في فترة وجيزة، وتبع ذلك محاولة اجتياح بري للقطاع، محدثة بذلك خسائر بشرية ومادية هائلة، حيث كان من نتائج العدوان أن تشرد آلاف المواطنين نتيجة لتدمير نحو 5000 بيت في القطاع، وكذلك سقوط 1500 شهيد، وما يقارب خمسة آلاف جريح، كثير منهم في حالات متطورة وحرجة، إضافة إلى خسائر ومضاعفات أخرى كثيرة، مباشرة وغير مباشرة، على صعيد البنى التحتية والاقتصاد مثلا، وما إلى ذلك.

منذ اليوم الأول للعدوان، لم تتوقف الجهود التركية لإيقاف الحرب، ولم تتوقف الانتقادات القوية للممارسات الإسرائيلية، والدعوات المستمرة لإيقاف العدوان على غزة، المترافقة مع جهود دبلوماسية كبيرة، وعلى شتى الصعد، تارة بمحاولة الاتصال بالجانب الإسرائيلي، وتارة باستثارة القوى الدولية المؤثرة ولاسيما الغربية، وثالثة بالتحركات على الساحة العربية، حيث اجتمع رئيس الوزراء أردوغان، بالرئيس السوري بشار الأسد في دمشق في اليوم الرابع على الحرب للنقاش حولها، حيث أعلنت سوريا وقتها انسحابها من المفاوضات غير المباشرة مع إسرائيل التي ترعاها تركيا. وفي 2009\1\1 اجتمع أردوغان مع الرئيس المصري حسني مبارك، مؤكدا على ضرورة وقف إسرائيل إطلاق النار مباشرة ورفع الحصار والسماح للمساعدات الإنسانية بالمرور. وقد حمل أردوغان إسرائيل مسؤولية العدوان على غزة، ورأى "انها لم تحترم شروط التهدئة رغم التزام حماس بها، ووصف العدوان بأنه غير إنساني وظالم وغير مقبول، وحث مجلس الأمن على التدخل بأسرع وقت ممكن."[263] وقد وجه أردوغان سيلا من الانتقادات الحادة لإسرائيل، في اليوم الحادي عشر على العدوان في خطاب غاضب له في البرلمان التركي قائلا:

> "أخاطب من هنا إيهود باراك وتسيبي ليفني، أن أتركوا عنكم حسابات الدعاية الانتخابية، إن التاريخ سيحاسبكم، ويذكر أفعالكم على أنها بقعة سوداء في تاريخ الإنسانية.. عندما تعرض أجدادكم للظلم والطرد، نحن من آويناهم وساعدناهم، أننا

[263]- صالح، *تركيا والقضية*، 44.

أتحدث هنا كزعيم من أحفاد تلك الدولة العثمانية، وليس كزعيم أي دولة عادية، لا يمكن مسامحة إسرائيل على ما تقوم به في غزة، خصوصا أن شعب إسرائيل قد عاش الكثير من المظالم، وكنا نتوقع أن يكون أحرص من غيره على حقوق الإنسان، وحق العيش بكرامة. إن للمواطن الفلسطيني في غزة نفس حق العيش الكريم الذي يحق للإسرائيلي، إن القضية الفلسطينية هي قضية تركيا الإنسانية، ولا يمكننا أن نبقى صامتين إزاء ما يحدث، خصوصا أن حصار غزة حولها إلى ما يشبه معسكرات الاعتقال. بعد هذا بأي حق تتحدث إسرائيل عن الديمقراطية والدبلوماسية".[264]

من ناحية أخرى خرج الشعب التركي بعشرات الآلاف إلى الشوارع طيلة أيام الحرب، من مختلف الاتجاهات، في غضب عارم، وتعبيرا عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني واستنكارهم للعدوان. كما ناشد المتظاهرون وقادة أحزاب المعارضة الحكومة التركية لقطع العلاقات مع تل أبيب فورا، ووقف كافة أنواع التعاون وخاصة العسكري معها لإثبات مصداقية تصريحات أردوغان ضد إسرائيل.[265] فقد سمحت الحكومة للقوى الشعبية بالخروج إلى الشوارع بمئات الألوف تنديدا بالعدوان على غزة، ثم قوافل المساعدات الإنسانية التي جهزها الناشطون الأتراك أثناء العدوان وبعده، وصولا إلى قافلة أسطول الحرية.[266]

وبعيد أيام على انتهاء الحرب، وبينما كان أردوغان يشارك في مؤتمر دافوس الاقتصادي الدولي في سويسرا، وجه كلاما شديد اللهجة الى الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز قائلا:

"سيد بيريز أنت أكبر مني سنا، أشعر بأنك ربما تشعر بالذنب قليلا، ربما لهذا السبب كنت عنيفا في كلامك وصوتك مرتفع، أنا أتذكر الأطفال الذين قتلوا على الشاطئ، وأتذكر قول رئيسي وزراء من بلدكم أنهما يشعران بالرضى عندما يهاجمون الفلسطينيين بالدبابات. أشعر بالحزن عندما يصفق الناس لما تقوله لأن عددا كبيرا من الناس قد قتلوا، وأعتقد أنه من الخطأ، وغير الإنساني أن نصفق لعملية أسفرت عن مثل هذه النتائج."[267]

ثم انسحب أردوغان احتجاجا على سوء إدارة الجلسة، وعدم المساواة بين المتحدثين، حيث مُنح "بيريز" وقتا أكثر منه. وبينما بقي بعض المسؤولين العرب في قاعة المؤتمر، كالأمين

---

[264]- قناة الجزيرة. نشرة الجزيرة هذا المساء. 6\1\2009.
[265]- محلي، *الموقف التركي من.*
[266]- الباسل، *دور تركيا في.*
[267]- قناة الجزيرة. (تقرير إخباري). 30\1\2009. إضافة إلى وسائل إعلامية عدة.

العام للجامعة العربية عمرو موسى. وهو ما يؤكد حقيقة أن الموقف التركي من القضية الفلسطينية متقدم على كثير من المواقف العربية، وقد استقبل المواطنون الأتراك في مطار اسطنبول زعيمهم استقبال الأبطال، كما خلف موقف أردوغان حالة من الارتياح التي سادت في أوساط العرب، وربما هذه أول خطوة تساهم بشكل قوي في تلميع تركيا، وتعزيز صورتها عربيا وإسلاميا. إن انتقادات أردوغان للممارسات الإسرائيلية فاقت بأضعاف الانتقادات العربية، وهذا دفع البعض إلى القول: "أن أردوغان كان في هذا المجال، أكثر عروبة من العرب. حيث لم تكتف تركيا بالممارسات اللفظية، تجاه حرب الإبادة الأخيرة على غزة، بل لم تتوان بالمبادرة في شتى الطرق لتخفيف المعاناة عن الشعب الفلسطيني."[268] "فالجهود التركية لوقف العدوان على غزة جاءت في ظل موقف عربي كان في أحسن أحواله صامتا، بينما كان قسم آخر من العرب يلقي باللوم على حماس والمقاومة لتحرشها بإسرائيل، كما عجز العرب عن عقد قمة يحضرون إليها جميعا.[269]

وفي رده على سؤال حول العلاقة مع إسرائيل بعد العدوان على غزة قال أردوغان: "بينما كنا في المرحلة الأخيرة من المفاوضات غير المباشرة بين سوريا وإسرائيل، إذ هوجمت غزة، ولمدة 15 يوما لم نجد للأسف الشديد أي مسؤول إسرائيلي يتكلم معنا عبر الهاتف، هل هذه دولة؟ هل هذه إدارة؟ .. أنتم تضربون الأرض بكل سهولة، تضربون الأطفال من السبعة إلى السبعين دون أي اكتراث أكانوا رجالا أم نساء أم شيوخا. وأضاف أردوغان: " أسائلكم هل هذا أمر يعقل؟ 1500 إنسان شهيد في غزة، وخمسة آلاف جريح، بعضهم أحضرناه الى مستشفياتنا في تركيا وزرتهم، ولقد رأيت بأم عيني الفسفور، وقد بكيت دما من قلبي، فأنا إنسان وأنا أب قبل كل شيء،.. يا أخي لا أستطيع أن أرى إنسان يستشهد أمامي وأبقى صامتا، فقد رأيت أناس مبتورين ومجروحين وبكيت عليهم دما.[270]

إن هذا الخطاب الذي يحتوي على الكثير من العواطف، ويحرك المشاعر- بلا شك – يعكس حجم الاهتمام التركي بأعلى المستويات السياسية بالقضية الفلسطينية، وكذلك درجة التدهور في العلاقة مع إسرائيل. وقد استمر الوضع على حاله هذا، إلى أن جاء الهجوم الإسرائيلي على أسطول الحرية، وهي الحادثة المحورية، والتي شكلت مرحلة جديدة وفاصلة.

---

[268] صالح، *تركيا والقضية*، 33.
[269] - بكري، مصطفى. قناة القدس الفضائية (برنامج اتجاهات). 5\1\2011.
[270] - أردوغان، رجب طيب. قناة الجزيرة (برنامج بلا حدود). 12\1\2011.

الهجوم على أسطول الحرية.

إن كانت الحرب الإسرائيلية على غزة، وما رافقها من غضب تركي وردود أفعال مختلفة هي بداية التوتر الحقيقي بين أنقرة وتل أبيب، فإن اعتداء إسرائيل على أسطول الحرية، وقتلها لتسعة متضامنين أتراك على متن سفينة مرمرة التركية، هي الضربة التي أوقعت الشرخ الأكبر وغير المسبوق في العلاقة بين الجانبين، والتي تتجه للأسوأ في ظل التعنت الإسرائيلي، ورفض الشروط التركية لإعادة المياه الى مجاريها، الى أن وصل الأمر لطرد السفير الإسرائيلي. وتتلخص أزمة حادثة الاعتداء على أسطول الحرية، في أن تركيا وانطلاقا من رفضها الكلي لمبدأ ضرب الحصار على قطاع غزة ونتائجه الكارثية، فإن تركيا حاولت مرارا وتكرارا إنهاء الحصار، بشتى الوسائل. فمنذ فرض إسرائيل للحصار على غزة عقب فوز حركة حماس بغالبية مقاعد المجلس التشريعي عام 2006، وتشكيلها للحكومة، ما انفكت أنقرة، وبلا كلل، تدعو لفك الحصار، ومنح الفلسطينيين حريتهم، وتنتقد إسرائيل على سياستها هذه، وعكفت على تفعيل القضية في المحافل الأممية والدولية المختلفة، إلا أن إسرائيل، وفي ظل صمت دولي غربي شبه كامل، لم تستجب ولم تحرك ساكنا على هذا الصعيد. ومن هنا كان لابد لأنقرة أن تبادر بخطوات عملية أخرى لكسر الحصار عن غزة، فكان أن سيرت قوافل بحرية تحمل مساعدات إنسانية، بالشراكة مع مئات نشطاء من 36 دولة فما كان من قوات البحرية الإسرائيلية الخاصة وطيرانها، إلا أن اعترضت السفن فجر الاثنين 2010\5\31، وقامت بقتل تسعة من المتضامنين الأتراك على متن سفينة مرمرة، وجرح العشرات بإطلاقها للنار مباشرة باتجاههم ، ثم احتجازهم واقتياد سفنهم إلى أحد موانئها.

وقد فجرت هذه الحادثة غضب تركيا ودوائرها السياسية العليا، حيث شن رئيس الوزراء أردوغان، هجوما شديد اللهجة على إسرائيل، ووصف حكومتها بأنها "وقحة" وأنها تشكل دملا في طريق السلام، داعيا الى معاقبتها على "المجزرة الدموية" كما عد الاعتداء بأنه هجوم "دنيء" ووجه واحدا من أثقل الصفعات لضمير الإنسانية.[271] كما وصفه بأنه "إرهاب دولة"[272] وبادرت تركيا فور الهجوم بسحب سفيرها من إسرائيل، واستدعت خارجيتها السفير الإسرائيلي للاحتجاج على الاعتداء، وعلقت الرحلات السياحية البحرية مع إسرائيل، ودعت الى اجتماع عاجل لمجلس الأمن.[273] كما قامت الحكومة التركية بإلغاء ثلاث مناورات

---

[271]- قناة الجزيرة والقدس وغيرهما. 2010\5\31.

[272]- "أردوغان: الهجوم الإسرائيلي على (أسطول الحرية)إرهاب دولة،" موقع قناة BBC، استرجعت بتاريخ 2011\7\31، http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2010/05/100531_gaza_flotilla_obama_netanyahu_new.shtml

[273]- صالح، *تركيا والقضية*، 50.

عسكرية مشتركة مع إسرائيل، وإلغاء المباريات التي كان من المفتـرض أن يشـترك فيهـا منتخب تركيا لكرة القدم الذي كان موجودا في إسرائيل حينها، و دعت مجلس حلف الناتو إلى اجتماع طارئ.[274] وبعد نشر تقرير أممي يخلو من الإدانة المباشرة لإسـرائيل أو تحميلهـا مسؤولية قتل المواطنين الأتراك التسعة، واعتراضها لقافلة المساعدات المتجهة لغزة، أعلنت تركيا طرد السفير الإسرائيلي في أنقرة، وتجميد الاتفاقيات العسكرية معها.[275] وفـي اليـوم التالي قال وزير الخارجية أوغلو إن بلاده تستعد لطرح قضية الحصار الذي تفرضه إسرائيل على غزة أمام محكمة العدل الدولية،[276] وهكذا ساءت العلاقات التركية الإسرائيلية إلى أسـوأ حد في تاريخها. بينما لقي قرار طرد سفير إسرائيل استحسان أطراف عربية عدة.

وبمرور ستة أشهر على الحادثة، أكد أردوغان "أن تركيا لن تغفر لإسرائيل قبل أن يُغسل البحر المتوسط من دماء الأتراك التسعة". وقد حددت أنقرة ثلاثة شروط لإعادة النظـر فـي العلاقات مع إسرائيل، وهي: الاعتذار الإسرائيلي إلى تركيا، ودفع تعويضات لذوي الضحايا، والمطلب الثالث والأهم، وهو رفع الحصار الإسرائيلي عن قطاع غزة،[277] وفي هـذا الـربط تأكيد تركي واضح على الاهتمام بهذه القضية. كما جدد أردوغان تأكيده لإسماعيل هنية خلال زيارته لتركيا في 1\1\2012، بأن رفع الحصار عن غزة، أحد الشروط التركيـة الـثلاث لعودة العلاقة مع إسرائيل، والذي وعد أيضا بتنفيذ خطة عمل متكاملة في القطاع تحت مسمى "مشروع تنمية غزة".[278] وضمن حملته الخطابية القاسية المستمرة بحق إسرائيل، قال رئيس الوزراء أردوغان: "لقد قاموا بقتل تسعة أخوة لنا، في السفن التي لم يجدوا فيها سلاحا واحدا، ومع كل هذه الأحداث يحاولون أن يقولوا للعالم بأنهم محقون، لكن العالم كله يرى بأنهم ليسوا محقين، ويكفي أنهم في جنيف وُصفوا بالحقارة، فقد قيل وسُجل في المحاضر بأن ما فعلـوه وحشي وحقير" وقد أكد أردوغان أنه أو أي من وزرائه لن يكونوا ذات يوم مع الإسـرائيليين على نفس المائدة، كما أكد من ناحية أخرى أنه لن يتم تجديد الاتفاقيات الموقعة مع إسـرائيل بعد انتهائها. مشددا أن إسرائيل هي الخاسر الأكبر من توتر هذه العلاقة، لأن ليس ثمة دولـة أخرى في الشرق الأوسط يمكن أن تكون على علاقة معها بهذا المستوى غير تركيا.[279]

---

[274]- الباسل، *دور تركيا في*.

[275]- "تركيا تطرد سفير إسرائيل وتجمد الاتفاقيات العسكرية معها،" موقع قناة BBC، استرجعت بتاريخ 2\10\2011، http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/09/110901_flotilla_israel.shtml

[276]- "تركيا تستعد لطرح حصار غزة أمام محكمة العدل الدولية،" موقع قناة BBC، استرجعت بتاريخ 3\10\2011، http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/09/110903_turkey_israel_court.shtml

[277]- أردوغان، رجب طيب. قناة الجزيرة (برنامج بلا حدود). 12\1\2011.

[278]-"أردوغان يؤكد لهنية ان إنهاء حصار غزة أحد شروطه لتسوية العلاقة مع إسرائيل" موقع صحيفة القدس العربي، (2\1\2012) http://www.alquds.co.uk/index.asp?fname=data\2012\01\01-02\02qpt954.htm

[279]- أردوغان، رجب طيب. قناة الجزيرة (برنامج بلا حدود). 12\1\2011.

ويرى محلل فرنسي "أن الأتراك بعد حادثة أسطول الحرية ساهموا في المزيد من تشويه صورة إسرائيل، مقابل ذلك تمكنوا من ترويج صورة أفضل لتركيا وشـعبية اكبـر لـرئيس الحكومة طيب أردوغان و في العالم العربي والإسلامي.[280] وبهذا تكون فلسطين قـد شـكلت مدخلا جيدا إلى هذا العالم.

ويخرج هنا رأي مخالف لهذا الطرح، يشير إلى أن العلاقة التركية المتوترة مع إسرائيل لها حدود لا يتم تجاوزها، "فالتركيبة المعقدة لبنية العلاقات التركية الإسرائيلية لم تكن لتحـرم الأتراك والإسرائيليين من مساحة محددة ومحسوبة من الانتقادات والإدانات المتبادلـة عبـر الحرب الكلامية الموسمية، التي قد يركن إليها الطرفان مع نشوب أية تـوترات بينهمـا لأي سبب، إن بغرض الاستهلاك المحلي أو بقصد توجيه رسائل ذات مغـزى معـين لمحـيطهم الإقليمي وفضائهم الدولي".[281] وبالتالي فإن الخلاف يكون في أمور شكلية، وأن خلافا جوهريا لا يكون بينهما ، بسبب حاجة البلدين لبعضهما. ومع هذا فمن السذاجة إنكار أن علاقات أنقرة بإسرائيل تشهد توترا غير مسبوق، وأن العلاقة مع إسرائيل بعد 2008 ليست كما قبلها.

علاقة تركيا وموقفها من حركة حماس.

بدأت حركة حماس منذ فوزها في الانتخابات التشريعية عام 2006، تسـترعي اهتمـام أطراف دولية عدة، فبدخول الحركة لمعترك السياسة، بات تأثيرها يفوق ما كانت عليه زمـن وجودها في المعارضة، بحيث باتت بعد ذلك جزءا لا يتجزأ من المشهد السياسي الفلسـطيني داخليا خارجيا، وباتت عنصرا له كلمته ولا يمكن تجاوزه في أي معادلة للصراع مع الاحتلال ، كونها تحظى بتأييد شعبي كبير، وتسيطر على البرلمان، مقابل عجز إسرائيل عـن كسـر شوكتها عسكريا.

فرأينا منذ ذلك التاريخ (2006)، أطرافا دولية عدة قد فتحت قنوات اتصال مع الحركـة ووجهت لها دعوات للزيارة، كما فعلت روسيا عندما دعت خالد مشعل رئيس المكتب السياسي للحركة لزيارة موسكو، ثم اللقاءات التي عقدها الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كـارتر مـع مشعل في دمشق. كانت تركيا ترغب في بناء علاقات جيدة مع هذه القوة الجديدة، ولكن فـي

---

[280]- بيون، *تركيا غير قابلة*.

[281]- عبد الفتاح، بشير، "حدود التصعيد بين تركيا وإسرائيل،" *الجزيرة نت* (10\6\2010)، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/83E4C095-6E86-401A-AAC7-BB26F98DD56B.htm

الوقت ذاته كانت لها قيود ومحددات أخرى، فحركة حماس، مصنفة كمنظمة "إرهابية" في القاموس الأمريكي، وتركيا تقيم علاقات متينة مع الولايات المتحدة، كما أن الحركة هي العدو اللدود لإسرائيل التي تربط أنقرة بها صداقات وأحلاف واتفاقيات على شتى الصعد، لذلك حاولت أنقرة التواصل بحذر مع حركة حماس، وقد لوحظ التردد والارتباك في توجيه دعوة لحركة حماس لزيارة أنقرة، لكن الزيارة تمت لوفد من الحركة على رأسه رئيس المكتب السياسي لها لأنقرة في 16\2\2006، وهي إنجاز مهم للحركة التي كانت تتشبث بأي حبل في ظل التوعد الإسرائيلي والأمريكي لها بالمقاطعة. وقد أشار أردوغان بعد ظهور انتقادات أمريكية وداخلية للزيارة، الى "أن المسؤولين الأتراك قد أوضحوا لوفد حماس موقف المجتمع الدولي بشأن ضرورة التخلي عن العنف، والاعتراف بإسرائيل."[282]

وإن كانت الزيارة الأولى لحركة حماس إلى تركيا اتسمت بالتردد والارتباك، فإن أنقرة واسطنبول بعدها باتتا قبلة لقادة الحركة وممثليها، فقد تكررت زيارات رئيس المكتب السياسي لحركة حماس لتركيا لإجراء محادثات في قضايا مختلفة، كقضية حصار غزة، أو إنعاش ملف المصالحة الفلسطينية، كتلك الزيارة التي قام بها خالد مشعل في 22\6\2011، لاسطنبول وترافقت مع زيارة مماثلة للرئيس محمود عباس لأنقرة.[283] ولكن الموقف الأكثر جرأة في هذه العلاقة، اتضح في الاستقبال الحار الذي لقيه رئيس الحكومة في غزة إسماعيل هنية، في البرلمان التركي لدى زيارة قام بها لتركيا، واستغرقت ثلاثة أيام، وكان هنية قد وصل في الفاتح من هذا العام (1\1\2012) الى اسطنبول حيث استقبله رئيس الوزراء أردوغان في بيته هناك، قبل أن يستقبله رسميا في البرلمان التركي بأنقرة، وسط تصفيق نوابه وأمام وسائل الإعلام المحلية والعالمية.[284] ولعل في ذلك استفزازا قويا لإسرائيل، ولاسيما أنها تأتي بعد طرد السفير الإسرائيلي من أنقرة.

وقد تكررت الزيارات الرسمية لقادة حماس لتركيا، فقد زار وفد يضم أعضاء المكتب السياسي للحركة على رأسه خالد مشعل تركيا في 16\3\2012، واجتمع الوفد خلال الزيارة برئيس الوزراء أردوغان، ووزير خارجيته أوغلو، وكذلك رئيس الجمهورية عبد الله غل، ومدير المخابرات التركية هاكان فيدان، على إثر التصعيد الإسرائيلي تجاه غزة، والاستمرار في تهويد القدس، كما نوقشت تطورات المصالحة الفلسطينية، التي شدد أردوغان على

---

[282]- صالح، *تركيا والقضية*، 40.

[283]- صحيفة الأيام. رام الله. 23\6\2011.

[284]- "ترحيب بهنية في البرلمان التركي،" موقع أخبار العالم، استرجعت بتاريخ 4\1\2012.
http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=49461

ضرورة سرعة تطبيقها.[285] ويتلخص موقف تركيا من دخول حركة حماس ومشاركتها في العملية السياسية، بعد الفوز بالانتخابات، أن أنقرة كانت من الداعين لإشراك الحركة في العملية السياسية، وعدم تجاوزها، ودعت مرارا لمنح الحركة فرصة "لتتبين نتائج ما تفعل"، ودعا رئيس الوزراء أردوغان إسرائيل مرارا الى عدم رفض نتائج الانتخابات، كما دعا من ناحية ثانية حماس إلى ترك "عاداتهم وتصرفاتهم في الماضي، وأن يدخلوا عالما جديدا بنظرة جديدة، لأنهم أصبحوا طرفا في حكم الدولة". وقال: "أنه مقتنع بأن حماس تتجه نحو الوسط". كما وانتقد إسرائيل لاستخدام العقوبات الاقتصادية على الفلسطينيين بسبب انتخابهم لحماس. وبعد عدة شهور على إجراء الانتخابات التشريعية، اعتبر أردوغان دعوة الرئيس عباس الى انتخابات فلسطينية مبكرة بأنه إجراء "سلبي جدا"، وقال أن المشكلة الأكبر بخصوص انتخابات كانون الثاني 2006، أن إرادة الشعب الفلسطيني لم تُحترم.[286]

وفيما يتعلق بنظرة تركيا الى حركة حماس بشكل عام، قال أردوغان في مقابلة تلفزيونية مع قناة الجزيرة القطرية على الهواء مباشرة: "سنكون دائما بجانب حماس عندما تكون محقة، أنا لا أنظر الى حماس على أنها إرهابية، إنهم أناس يدافعون عن أرضهم، أنظر إليها على أنها حركة سياسية دخلت الانتخابات وكسبتها، وأنظر لمن أنزلها عن الحكم رغم فوزها، أنهم أعداء الديموقراطية". وقد هاجم أردوغان إسرائيل وانتقد الغرب لعدم احترامهم للديمقراطية الفلسطينية قائلا:

"هؤلاء الناس (أي حماس) لم يعطوا الفرصة، وقد أخذت من أياديهم كل الإمكانيات، ووضعت كل العراقيل لكي لا ينجحوا، فقد سجنوا رئيس البرلمان والوزراء والنواب، لا أفهمكم عن أي ديمقراطية تتكلمون، هذا ليس ديموقراطيا، والعالم كله بالنسبة لي فشل في امتحان الديموقراطية، لذلك ستبقى تركيا تعمل ما يمليه الواجب عليها بهذا الشأن". وأضاف أردوغان: " جلست مع مبعوث الرباعية توني بلير في دافوس، وقلت له يجب عليك أن تفهم يا توني بأن الطاولة التي لا تجلس عليها حماس لن يخرج منها أي سلام، هذه حقيقة لأن حماس طرف في الموضوع، فتح وحماس عنصران هامان في فلسطين، فإن رأيتم طرفا ولم ترو الآخر فإن السلام الفلسطيني لن يتجسد.[287]

[285]- "مشعل يبحث مع أردوغان ملفي المصالحة والعدوان على غزة،" المركز الفلسطيني للإعلام، استرجعت بتاريخ 16\2\2012، http://www.palinfo.com/site/pic/newsdetails.aspx?itemid=111394
[286] - صالح، *تركيا والقضية*، 39 و 42.
[287]- أردوغان، رجب طيب. قناة الجزيرة (برنامج بلا حدود) 12\1\2011.

دور تركيا في المصالحة الفلسطينية.

على صعيد ملف المصالحة الفلسطينية بين حركتي فتح وحماس، بذلت الدبلوماسية التركية جهودا مهمة في هذا الاتجاه، وعقدت لقاءات في أماكن مختلفة مع الطرفين المتخاصمين، فمنذ بدايات الخصام بين فتح وحماس، عرض رئيس الوزراء التركي أردوغان خلال اتصال هاتفي مع رئيس الحكومة في غزة إسماعيل هنية وساطة تركية لتحقيق المصالحة الفلسطينية ورأب الصدع وقال: "إننا نتألم من رؤية نزيف الدم بين الإخوة الفلسطينيين، وإن هذا الانقسام يضعف مواقفكم ويضر بمصلحة الشعب والقضية، وإن استمرار هذا الخلاف سيؤثر سلباً على إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة".[288]

لقد أخذ تحقيق المصالحة أمدا طويلا، وجهودا مضنية، وكأن القضية رغم بساطتها، قد استعصت، وفشلت الكثير من المبادرات والوساطات لحلها، بما فيها التركية، وهنا يقول مراقبون: "بينما نجحت تركيا في استضافة المفاوضات السورية الإسرائيلية غير المباشرة عام 2008. كان دورها أقل تأثيرا في المسائل المستعصية مثل الصراع ما بين فتح وحماس.[289] ومع ذلك لم تتوقف الجهود والمبادرات التركية لحلها. وقد اجتمع وزير الخارجية "داوود أوغلو" بخالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في دمشق، لبحث تقريب وجهات النظر بين فتح وحماس من أجل إتمام المصالحة بينهما.[290] وعقب حادثة أسطول الحرية التي استشهد فيها تسعة أتراك، اقترح وزير الخارجية التركي أوغلو، على رئيس المخابرات المصرية عمر سليمان أن تقوم تركيا بدور الوسيط لتقريب وجهتي نظر حركتي فتح وحماس. من خلال اجتماع يضم ممثلين عن الحركتين، والمسؤولين المصريين ووزير الخارجية التركي، وقد وافق الرئيس عباس على الاقتراح، إلا أنه تراجع عنه بعدما رفضته مصر.[291]

ومن ناحية أخرى أكد رئيس الوزراء أردوغان، أن تركيا مستعدة لأداء دور نشط للتوصل الى مصالحة بين فتح وحماس، وقال خلال مؤتمر صحفي مشترك مع الرئيس السوري بشار الأسد: إن إصلاح الخلاف بين حركتي فتح وحماس "أمر واجب"، وأكد أن حركة حماس رحبت بأن تؤدي أنقرة دور الوسيط.[292] وفي اللحظات الأخيرة للمصالحة، التي تمت بعد

---

[288]- " أردوغان يعرض وساطته لرأب الصدع بين فتح وحماس،" وكالة معا الإخبارية. استرجعت بتاريخ 24\7\2011، http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=71517&MARK=

[289]- د.م، *تركيا والشرق الأوسط*.

[290]- قناة القدس الفضائية. نشرة الأخبار. 7\4\2011.

[291]- "مصر ترفض تدخلا تركيا بالمصالحة،" الجزيرة نت، استرجعت بتاريخ 26\6\2011، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/23EEC181-0733-4BA4-99F6-F8BA99AEE67C.htm

[292]- صالح، *تركيا والقضية*، 43.

زوال نظام حسني مبارك، حرصت تركيا أن يكون وزير خارجيتها أوغلو أحد الحاضرين جنبا الى جنب مع ممثل الأمين العام للأمم المتحدة بان غي مون، ومفوضة العلاقات الخارجية في الاتحاد الأوروبي كاثرين آشتون وغيرهم، اتفاق المصالحة بين الحركتين الذي وُقّع في القاهرة في 4\5\2011.[293] ورغم توقيع اتفاق المصالحة في هذا التاريخ، إلا أن تطبيقا حقيقيا للاتفاق على الأرض لم يتم، لغاية إعداد هذه الدراسة، ولهذا بقيت الدبلوماسية التركية تشدد على ضرورة تحقيق المصالحة، وتوجه الدعوات للطرفين للالتزام بما وقعوا عليه.

وقد استحضر رئيس الحكومة التركية أردوغان فلسطين ومدنها، في أكثر اللحظات نشوة وسرورا، وخصوصية للداخل التركي، ألا وهي الانتخابات، فعقب فوز حزبه بنصف أصوات الناخبين في انتخابات حزيران 2011، اعتبر أردوغان "أن انتصار حزبه في الانتخابات هو انتصار لأنقرة واسطنبول كما هو انتصار لغزة والضفة الغربية والقدس ورام الله وجنين والخليل." [294] وهذا يدل على أن القضية الفلسطينية قد احتلت حيزا مهما من اهتمام الحزب، ولاسيما أن رئيسه قد ساوى بين عاصمته وبين أي مدينة فلسطينية، وهو ربط يفوق الربط الذي يستخدمه الرئيس الأمريكي – لو عقدنا مقارنة بينهما – عندما يقول بحق إسرائيل "إن أمن أمريكا من أمن إسرائيل". فهل الى هذا الحد تصل العثمانية الجديدة لتركيا. وبعد إتمام المرحلة الأولى، من صفقة تبادل الأسرى بين حركة حماس وإسرائيل، والتي تضمنت الإفراج عن 1027 أسير وأسيرة فلسطينية مقابل الإفراج عن الجندي الإسرائيلي "جلعاد شاليط" بتاريخ 18\10\2011. والتي كان لتركيا دور في إتمامها، كانت تركيا إحدى الدول الثلاث التي أعلنت قبول استقبال الأسرى المبعدين منهم إلى خارج الأراضي الفلسطينية. وهم 40 أسيرا، وصل 10 منهم إلى تركيا.[295] في وقت لم تبادر فيه دول عربية عدة باستقبال هؤلاء الأسرى.

ما يمكن استخلاصه حول الموقف التركي من القضية الفلسطينية أن هذا الموقف مهم ومتقدم على مواقف الكثير من الدول العربية والإسلامية، ولاسيما من قضية غزة، وخصوصا بعد طرد السفير الإسرائيلي، واستقبال "النقيض" إسماعيل هنية رئيس الحكومة في غزة في البرلمان التركي (مطلع كانون ثاني 2012).،. وتفعيل ودعم القضية الفلسطينية في محافل دولية عدة. ولكن بعيدا عن لغة العواطف، فإن إنجازا جوهريا على الأرض، فيما يتعلق

---

[293] . قناة الأقصى. الشريط الإخباري. 4\5\2011.

[294]- ،الخطاب الذي ألقاه أردوغان من شرفة مقر حزب العدالة والتنمية في أنقرة عقب إعلان نتائج الانتخابات التي فاز بها حزبه يوم 2011/6/12، عرضته وسائل إعلامية كثيرة منها قناة التركية والجزيرة والقدس ونشر في الكثير من الصحف والمواقع الالكترونية.

[295]- "وصول الاسرى المحررين الى الاردن وسوريا وتركيا وقطر،" وكالة معا الإخبارية، استرجعت بتاريخ 19\10\2011، http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=430553&MARK=

بالقضية الفلسطينية، لم تقدمه تركيا، فلا هي منحت الفلسطينيين استقلالهم، ولا رفعت الاحتلال عنهم، ولا أعادت لهم جزءا من أراضيهم المسلوبة، ولا حتى تمكنت من تفكيك حاجز أو اقتلاع مستوطنة، أو تحرير أسير.

ما قدمته تركيا هو مجموعة من الخطابات السياسية "العثمانية" الداعمة للقضية الفلسطينية، مع شيء من المساعدات، "الوعود بإنعاش الاقتصاد الفلسطيني وافتتاح بنوك في الضفة الغربية"،[296] إضافة إلى مواقف متقدمة في المحافل الدولية كالأمم المتحدة، ومؤتمر "دافوس" الاقتصادي وغيره، وهي أمور لا شك أنها بالغة الأهمية كما ذكرنا، إذا ما قورنت مع تلك المواقف "لتركيا السابقة" في ذات الاتجاه، ولكنها في الوقت ذاته ليست إنجازات جوهرية أو كافية مقارنة مع حجم ووزن هذا البلد، وتطلعاته وطموحاته في المنطقة. ولكن من ناحية أخرى لا أحد بإمكانه التنبؤ بالمستقبل، ففي ظل الربيع العربي، والتغيرات شبه الراديكالية في موازين القوى العالمية، ولاسيما في الشرق الأوسط، قد يكون ثمة مواقف أكثر تطورا وحسما لتركيا في هذا الاتجاه.

الباب الرابع: تركيا والثورات العربية.. الموقف والخطاب

كشفت موجة الاحتجاجات والاضطرابات التي عصفت بالعديد من العواصم والأقاليم العربية منذ فجر عام 2011، عن حجم الارتباك والتخبط في المواقف السياسة الخارجية التركية تجاهها أحيانا، وعن رغبة وتوجه تركيا القوي، وسعيها الحثيث للتدخل في الشؤون والقضايا العربية وتقديم نفسها كصديق لبعض القيادات العربية أو صديق للشعوب أو وسيط بين الشعب والقيادة- كما ليبيا- أحيانا أخرى. ويعود هذا التخبط والتقلب في لغة الخطاب التركي تجاه الثورة من بلد لآخر، وعدم الثبات والاستقرار على موقف واحد حازم الى فجائية هذه الثورات والعجز عن التنبؤ بانفجارها دفعة واحدة، والى خشية تركيا من خسارة أحد الأطراف من خلال دعمها للطرف الآخر، حيث كان من غير الواضح أي الفريقين سيكون الغالب، ومن سيحسم هذا الصراع لصالحه، أهو الشعب الثائر على نظامه القمعي المتجبر، أم نظام الحكم الذي يضرب بيد من حديد كل من يتظاهر أو يعارض، فيما بدا واضحا تغير لهجة الخطاب السياسي التركي تجاه البلدان العربية ذاتها، ولكن بعد زوال أنظمة الحكم فيها.

[296]- وكالة معا الإخبارية. "العثمانيون" يعودون... بنوك تركية في رام الله... قريبا. 2012\3\21. ينظر: http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=470036

"إن تباين مواقف تركيا تجاه هذا الثورات يسير حسب "لعبة" التوازنات والفاعلين في كل بلد، فتبنت القيادة التركية ردود أفعال بدت مختلفة في الدرجة والسرعة تجاه كل ثورة على حدة. ففي البداية مثلا، لاحظنا أن تركيا اتبعت الصمت والمتابعة المتوجسة تجاه اندلاع الثورة التونسية، حليف فرنسا الاستراتيجي.[297] ويفسر الارتباك والتردد أيضا بأن تركيا التي بنت علاقات وطيدة لمدى تسع سنوات متواصلة مع الأنظمة العربية التي تمثل هذه الدول، لم يكن لها لتنسف هذه العلاقات في عشية وضحاها، لذا آثرت التريث، ومحاولة الإصلاح، ودعوة الأنظمة إلى الاستجابة والتغيير، ثم التحذير والتنبيه، قبل أن تنحاز للشعوب ضد الأنظمة.[298] وقد تماهت الخطابات والمواقف التركية إبان الثورات العربية مع خطابات ومواقف الأقطاب والقوى الغربية في أوقات عدة، بينما كانت أنقرة تناور في بعض الأحيان للخروج بموقف مستقل أو مخالف ولو قليلا للمواقف الأمريكية الأوروبية التي لم تكن هي الأخرى على قلب رجل واحد في كافة السياسات، والإجراءات المتخذة، ولعل تركيا كانت تحاول من خلال ذلك القول للعالم والعالم العربي أننا هنا ولنا موقف ذاتي مستقل، ونحن قادرون على اتخاذ قرارات حاسمة، ولعب دور فعال، وأننا أصدقاء الشعوب العربية، وداعمون لحرياتهم.

بالنظر الى ثورة مصر، نرى أن القيادة التركية قد أدلت بخطابات حذرة ومحسوبة، في وقت تناغم الخطاب الأوروبي مع الخطاب الأمريكي تقريبا، حيث حاولت تركيا التي ترى في نفسها أنها "الأقرب" لمصر والعالم العربي من الغرب أن تتجاوز هذا الحد بخطابات أكثر تقدما على الخطاب الغربي، بانحيازها مبكرا للشعب المصري، وإعرابها عن ضرورة التغيير، ودعوتها لمبارك مباشرة بالاستجابة لمطالب الشعب، التي تلخصت وقتها في "تنحي مبارك وإسقاط نظامه"، حيث قال رئيس الوزراء التركي أردوغان: "أقول للرئيس مبارك بشكل أخَوي أننا بشر، وإننا إلى زوال، استمع لصيحات شعبك واستجب لمطالبه التي تمس صميم الحق الإنساني، دون تردد"، وأضاف "أن حل المشاكل السياسية هو صندوق الاقتراع وأن الانتخابات المعروفة نتائجها مسبقا لا تسمى انتخابات".[299] وقد أجّل أردوغان زيارة كان سيقوم بها لمصر يومي 8 و9 شباط2011، بسبب الثورة. وأشار أنه سيزور مصر عندما يستقر الوضع، معربا عن وقوف تركيا إلى جانب مصر وتونس. وقد زار مصر فعلا بعد زوال نظام مبارك وانتصار الثورة.

---

[297]- محمد أبو زهرة، "تركيا في بيتنا.. ماذا تريد؟،" *موقع أخبار العالم* (19\9\2011): http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=47523

[298]- باكير، علي. 3\3\2012. (مقابلة). أنقرة.

[299]- عرضت الخطاب وسائل إعلامية عدة، منها قناة القدس والعالم والتركية والجزيرة بتاريخ 1\2\2011.

إن هذا الموقف الجريء نسبيا، انطوي على مجازفة بالعلاقة مع نظام مبارك، الذي كان لا يزال قويا، ويمسك بزمام الأمور، حيث انتقد وزير خارجية مصر أحمد أبو الغيط وقتهـا الموقف التركي، واعتبره تدخلا في شؤون الغير. وقد اعتبر مراقبون "هذا التصريح تطـورا هاما، إذا ما أُخذ في الاعتبار سرعة تحول الموقف وسقف المطالب، ونوعيا كونه سابقة فـي حالة السياسة التركية بالتدخل المباشر في شئون داخلية لدولة تمثل قوة إقليمية في حجم الدولة المصرية، ودعم طرف في صراع لا يرتبط بحال بأمن تركيا".[300] ورغم أن أردوغـان لـم يصرّح مباشرة في خطابه بدعوة مبارك بالتنحي عن الحكم، إلا أن تأثير ما قاله من كلمـات ضمنية فاق تأثير التصريح المباشر بها، وهكذا تجنب أي نتائج دبلوماسية سلبية، قد تنجم عن الدعوة المباشرة بسقوط مبارك دون ان يتمكن الشعب بعدها من إسقاطه. وهنـا تكمـن قـوة الخطاب حسب فلاسفة الخطاب وعلى رأسهم "فوكو" والذين يشيرون إلى أن للكلمـات معـان بسيطة ومقاصد عميقة ومدروسة، وأن الخطاب يستخدم بعض المنطوقات لتحقيـق أهـداف أعمق، وجني مكاسب أثمن، وإيصال رسائل تخدم مصالح ممارس الخطاب وصانعه.

وفي معرض رده على رفض التدخل التركي في الشؤون الداخلية لغيرهـا، قـال وزيـر الخارجية التركي داوود أوغلو: "أن التصريحات التي أدلى بها رئيس الوزراء، او أدليت بهـا أنا، كانت كلها تهدف الى رؤية مصر أقوى، لأنها تشكل العامود الفقـري للمنطقـة، ونحـن متأكدون من أنها ستخرج أقوى، فإذا تكامل الشعب مع إدارته، فإن ذلك سيولّد قـوة دافعـة، ويفرز حكما ديموقراطيا شفافا كتجربتنا في تركيا.."[301] وهنا لا تعترف أنقرة بأنها تتدخل في ما لا يعنيها، بل ترى أن ذلك من مسؤولياتها، وأن ما يجري في مصر من تطـورات، هـو محط اهتمام تركيا، كما ويتضح الارتياح التركي للثورات ولتغيير النظام في مصر، الذي تأمل تركيا أن يخلفه نظام أكثر إيجابية، وقبولا لدورها في المنطقة. لذلك يضيف أوغلو "لم نفكـر يوما في التنافس مع مصر أو أي دولة شقيقة أخرى، أردنا جيراننا دائما أقوياء، لكي نعيد بناء المنطقة من جديد، وإن الحكم المستمد من إرادة الشعب في مصر سيكون أقرب صديق لتركيا، وستسخر تركيا إمكانياتها، ولن تبخل على الشعب المصري في كل ما يطلبه في هذه المرحلة الانتقالية الصعبة، لان مصر القوية هي أساس السلام في الشرق الأوسط، وشـرط لتصـبح المنطقة مركز الاقتصاد العالمي، ونحن نريد أن يكون لمصر الصوت الأقوى فـي مسـتقبل الإنسانية، كما كانت العمود الفقري لتاريخ الإنسانية، وهي تستحق هذا الصوت.[302] كما استبعد أوغلو أن تؤثر عودة مصر لدورها القيادي في المنطقة سلبا على الدور التركي.

---

[300]- أبو زهرة، *تركيا في بيتنا*.

[301]- أوغلو، أحمد داوود. 14\2\2011. قناة الجزيرة (برنامج: لقاء اليوم، حول النظرة التركية للثورات العربية)

[302]- المرجع نفسه.

وفيما يتعلق بالاحتجاجات التي شهدتها كل من اليمن والبحرين، فقد نالت اهتماما بسيطا في السياسة الخارجية التركية، ولم تحتل إلا مساحة ضيقة من مواقف وخطابات قادة تركيا. مقارنة مع غيرها من الثورات، ولعل افتقار هذين البلدين للموقع الاستراتيجي، أو المصالح الكبيرة التي ميزت غيرهما عنهما ما يفسر ذلك، فليس من السهل عقد مقارنة من حيث الأهمية بين كل من مصر والبحرين، أو سوريا وليبيا من جهة، واليمن من جهة أخرى. كما أن سخونة وخطورة الأحداث، والارتفاع الخطير في عدد الضحايا الذي وصل الى عشرات الآلاف من القتلى والجرحى والمشردين كما في سوريا وليبيا، قد لعب دورا إضافيا في هذا الاهتمام، ومع ذلك فإن الاهتمام والتدخل تجاه تطورات الأحداث في هذه الدول لم يكن معدوما تماما. ففي البحرين، وبعد دخول قوات درع الجزيرة إليها، تزامنا مع تصاعد الأحداث فيها، وازدياد نشاط المحتجين في الشوارع، فقد أدانت تركيا على لسان رئيس وزرائها أردوغان التدخلات الخارجية، وقمع الاحتجاجات في البحرين.[303]

ويرى محللون أن تركيا سلكت مسلكا تنسيقيا دبلوماسيا مع القوى الإقليمية في ما يتعلق بأزمة البحرين، واكتفت بدعوة الأطراف (النظام البحريني، السعودية، إيران) إلى محاولة ضبط النفس والابتعاد عن العنف، والتوجه إلى الحوار والإصلاح بشكل عام، دون توجيه انتقاد مباشر للسلطة البحرينية، بل على العكس، حيث طالبت القيادة التركية المحتجين بالاستجابة لمبادرات السلطة الإصلاحية.[304]

كما أطلت الأحداث الساخنة في اليمن، برأسها على الدبلوماسية التركية، حيث قال "داوود أوغلو" أثناء وجوده في العاصمة السورية دمشق أيضا للتباحث مع قيادتها حول مستجدات الثورة السورية، قال: "أن تركيا ترحب بالمبادرة الخليجية لإنهاء الأزمة في اليمن.[305] وهي مبادرة تقدمت بها الدول العربية الخليجية لاحتواء الأزمة في اليمن. كما ذكرت وسائل إعلامية، أنه بعد جمود المبادرة التي تقدمت بها الدول الخليجية، بعد رفض الرئيس صالح لها، عرضت تركيا وساطتها لحل الأزمة هناك.[306] ويتضح أن تركيا تجنبت التدخل المباشر بالأزمة اليمنية، واكتفت بمناشدات عامة لتحسين مستقبل اليمن من خلال الإصلاح والتحول الديمقراطي، ثم التزام الصمت التام. يُظهر هذا أنه كان ثمة اهتمام بالثورات العربية جميعها ولكن بتفاوت، حيث أن الاهتمام الأكبر حازته ثورتا سوريا وليبيا ، كما يلي:

303- قناة العالم. نشرة أخبار السابعة مساءً. 16\3\2011.
304- أبو زهرة، *تركيا في بيتنا*.
305- قناة الجزيرة. نشرة الجزيرة هذا المساء. 6\4\2011.
306- ينظر: قناة الجزيرة. نشرة أخبار الثامنة مساءا. 17\5\2011

أولا: ثورة سوريا.

يتجلى التناقض في لغة الخطاب التركي بوضوح إذا ما نظرنا الى تحولاته حيال الثورتين السورية والليبية، واختلاف مستوياته مقارنة بالتونسية والمصرية واليمنية. ففي سوريا ومع تصاعد موجة الاحتجاجات وامتدادها الى أكثر من عشر محافظــات، وســقوط آلاف القتلــى والجرحى، كان الموقف التركي مختلفا تماما عن ذات الموقف من الثورة المصرية ومن بعدها الليبية. فخطابات أردوغان تجاه سوريا كانت تصالحية وداعمة ومؤيدة للنظام الســوري فــي البداية، وكانت هناك دعوات للالتفاف حول القيادة السورية، والدعوة الى المحافظة على الأمن وعدم زعزعة الاستقرار في البلاد، بل وحذرت تركيا من فتنة تتربص بالبلاد، قد تؤدي إلــى حرب أهلية، وسيلان للدماء.. ورغم أن النظام السوري لا يختلف عن باقي الأنظمة العربيــة من ناحية الاستبداد وقمع الحريات، وأنه يعمل بقانون الطوارئ منذ عام 1963. إلا أن القيادة التركية لم تدعو إلى تغيير النظام في الأسابيع والأشهر الأولى من الثورة، ولم تدعو إلى خلع الرئيس أو تنحيته، بل استمرت أنقرة في إجراء الاتصالات المختلفة معه، وقد أوفد أردوغان وزير خارجيته عدة مرات إلى دمشق للتباحث مع القيادة السورية في التطــورات الميدانيــة الجارية، وسبل الخروج من الأزمة المستمرة، والوصول لحل وسط، بين النظام والمحتجين.

لعل تركيا بعد ذلك شعرت بالحرج من موقفها المؤيد للنظام، فأرادت التخفيف من وطــأة التناقض الشديد بين مبدأ الديموقراطية الذي تتغنى به دائما، وبين تأييدها لنظام الأسد القمعي. هنا جاءت دعوات خجولة من قبل أنقرة لإجراء إصلاحات في البلاد والاســتجابة لمطالــب الشعب والمحتجين، حيث قال رئيس الوزراء أردوغان: "كنت قد نصحت صديقي الأسد خلال لقائنا الأخير بإجراء إصلاحات في البلاد، وإلغاء قانون الطوارئ".[307] ويلاحظ هنا اســتخدام أردوغان لكلمة "صديقي" التي لم يستخدمها عند الحديث عن الرئيسين المصــري والتونســي المخلوعين. وعقب الخطاب الذي ألقاه الرئيس السوري بشار الأسد أمام حشود من مؤيديه، في بداية الثورة، في محاولة منه لامتصاص غضب الجماهير والمحتجين، والذي قال خلاله بــأن ثمة مندسين بين المحتجين يسعون إلى إثارة الفتن، وزعزعة استقرار البلاد، ووعــد خلالــه بإجراء إصلاحات تتناسب ومتطلبات الشعب واحتياجاته. أعلنت أنقرة أنها "تؤيد مــا أعلنــه الرئيس عن نيته بإجراء هذه الإصلاحات، وأنها لن تقبل في المقابل بأي إجراءات تضر بإرادة الإصلاحات، أو تزعزع الاستقرار في سوريا."[308]

[307]- قناة الجزيرة، نشرة الأخبار. 2011/3/31

[308]- قناة الجزيرة، الشريط الإخباري. 2/4/2011

الأمر ذاته كرره أحمد داوود أوغلو وزير الخارجية التركي عندما قال عقب لقاء جمعه بالرئيس السوري في 6\4\2011، أن بلاده تؤيد الإصلاحات التي بدأتها سوريا،[309] مفترضا بخطابه هذا أن سوريا قد بدأت بالفعل بإجراء الإصلاحات، حيث بحث أوغلو مع الرئيس السوري خلال لقائهما في دمشق المستجدات على الساحة السورية.[310] وقد عرضت تركيا ضمن محاولاتها للخروج من الأزمة عروضا مختلفة على النظام، وطلبت منه إرسال خبراء الى أنقرة ليتم إطلاعهم على التجربة التركية، وبالتالي إجراء إصلاحات وتغييرات بما يجنب البلاد خطر أزمة قد تطول، ويصف محللون محاولات داوود أوغلو لإصلاح النظام السوري، واعتقاده بإمكانية التغيير بأنها ساذجة، لاستحالة قبول النظام الحديدي السوري بذلك.[311] ويعزو محللون هذا الاهتمام الزائد بالشأن السوري، والاختلاف في الموقف التركي تجاه الأحداث في كل من ليبيا وسوريا، الى خصوصية العلاقات السورية التركية القوية وحساسيتها، حيث ثمة قضايا جوار وملفات ساخنة مشتركة لا تزال عالقة، كقضية الأكراد، والعرب الأتراك، والعلويين وأهل السنة، وملفات المياه وتأثر كل دولة بالأخرى.[312] إضافة إلى الخلاف على لواء اسكندرون، والحدود الطويلة والتاريخ الطويل المشترك.. وغيرها.

ومع تصاعد وتيرة الانتقادات الدولية والأممية للقمع المفرط الذي تمارسه قوى الأمن السورية بحق المتظاهرين، ازدادت الاحتجاجات في أماكن متفرقة من العالم على "المجازر في سوريا"، والانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان، وإعلان الولايات المتحدة فرض عقوبات على شخصيات وقيادات سورية مقربة من النظام، لم يكن لأنقرة وقتها أن تصمت، وخصوصا بعد أن نشرت مراكز حقوقية كالمرصد السوري لحقوق الإنسان، ووسائل إعلامية كثيرة حقائق ومشاهد مروعة لعمليات قتل أو تمثيل بجثث أو اعتقال أو دوس بالأقدام على رؤوس المعتقلين الذين قتل الكثير منهم بالتعذيب، بينهم معارضون سياسيون كبار، ورجال دين وأكاديميون مشاهير.. بل وصل الأمر بالجيش السوري الى قصف المساجد وهدمها، وقتل المصلين، كما تم الكشف عن مقابر جماعية لمواطنين سوريين في مناطق عدة قيل أنها من صنيع قوات النظام، واستخرجت جثث أطفال ونساء بُترت أطرافهم، كالطفل حمزة الخطيب الذي بات بعدها رمزا وشاهدا على ما وصف بوحشية ممارسات قوات الأسد، هنا بدأت مواقف القادة الأتراك وخطاباتهم تتغير تدريجيا باتجاه التصعيد مع النظام والنقد لممارساته، وفي المقابل الدعوة لتحقيق مطالب الشعب السوري ووقف القتل في صفوف أبنائه المحتجين.

309- قناة BBC. نشرة الأخبار. 6/4/2011

310- قناة روسيا اليوم. نشرة الأخبار. 6/4/2011

311- باكير، علي. 3\3\2012. (مقابلة). أنقرة.

312- فيلالي، *تحولات تركيا تجاه*.

وهنا خرج رئيس الوزراء أردوغان بتصريحات شديدة اللهجة، احتوت تحذيرا على صيغة نصح للأسد ونظامه قال فيها: "انه لا يريد أن يرى مذبحة حماة تحدث مرة أخرى في سوريا" وهي المجزرة التي وقعت عام 1982 في مدينة حماة السورية، وراح ضحيتها عشرات آلاف القتلى، وحذر من أن حدوث مثل هذه الأمور سيجبر المجتمع الدولي على اتخاذ موقف من سوريا، مؤكدا أن بلاده ستتخذ الموقف نفسه في تلك الحالة. كما حذر الرئيس الأسد من عواقب الاستمرار في قتل المدنيين. مطالبا إياه بالإصغاء إلى مطالب الشعب السوري الطامح إلى الحرية، ومشيرا إلى أن الأسد أعلن أنه سيلغي العمل بقانون الطوارئ، لكنه لم يتخذ الخطوات الجادة لتحقيق ذلك حتى الآن.[313] على حد قوله.

ولدى إصرار نظام الأسد على تكرار ذات الرواية القائلة أن جيشه يواجه مسلحين يستهدفون استقرار البلاد، رد أردوغان: ".. يقولون أن هناك مجموعات مسلحة في مواجهتهم، لا يوجد مجموعات مسلحة، ولو كان كذلك لكان من حقهم الدفاع عن النفس.. المعلومات لدينا مختلفة تماما، حيث تشير أن القتلى قد وصلوا ألفا"[314] (وقت هذا التصريح). وكانت تظاهرات حاشدة قد خرجت في مدينة اسطنبول وعدد من المدن التركية تأييدا للحراك الشعبي السلمي في سوريا وتنديدا بالقمع العنيف للمتظاهرين[315]و تطور الموقف التركي باستضافة مؤتمر ضخم بمشاركة 300 شخصية سورية معارضة في مدينة انطاليا التركية،[316] يمكن النظر إليه أنه تحول غير مسبوق، ويأتي في دعم حرية الشعب، لكنه يسهم في توتير العلاقة مع الأسد، ولاسيما أن المؤتمر- الذي تبعه مؤتمرات عدة في تركيا- يتيح للمعارضة (المشتتة سياسيا) بأن تشكل جسما جديدا لها، وترسم خارطة طريق جديدة تساعدها في بلورة موقف فعال وموحد في مواجهة النظام.[317]

وفي معرض رده على عدم تطبيق الأسد لإصلاحاته الموعودة، طالب الرئيس التركي عبد الله غول الأسد بأن يكون أكثر وضوحا، مشيرا "أن المطلوب الانتقال الى نظام تعددي يمهد لانتخابات ديموقراطية وفق المعايير الدولية".[318] وهنا بدأت علاقات تركيا بنظام الأسد تسوء يوما بعد آخر، الى أن وصلت الى قول أردوغان "بأن الشعب السوري سيطيح بالأسد عاجلا أم آجلا، لأن الحكم الديكتاتوري يتلاشى في العالم"،[319] بل ووصف أردوغان ما

[313] - نقلت الخطاب وسائل إعلامية كثيرة، منها قناة الجزيرة، وقناة BBC، وقناة روسيا اليوم، وغيرها في 3/5/2011.
[314]- ينظر: قناة الجزيرة. نشرة إخبارية. 10\5\2011
[315]- قناة الجزيرة. نشرة الأخبار. 15/4/2011
[316] - قناة روسيا اليوم. نشرة الأخبار. 1/6/2011
[317]- لقد تشكل في تركيا مجلس للمعارضة السورية في الخارج برئاسة برهان غليون يحمل اسم المجلس الوطني السوري، وبدأ بنشاطات دبلوماسية مختلفة على الساحة الدولية والعربية، وكان من أهم إنجازاته أن دُعي إلى حضور جلسات في الجامعة العربية.
[318]- سما الإخبارية. 20/6/ 2011. خبر بعنوان: "غول : على الرئيس الأسد ان يكون أكثر وضوحا". ينظر:
[319]- "أردوغان: سيطاح بالأسد عاجلا أم آجلا،" الجزيرة نت. استرجعت بتاريخ 25\9\ 2011،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/149D6C7A-B64A-4B68-BC33-49FD9DF3448E.htm

يمارس من قبل قوات الأسد بجثث النساء والأطفال بأنها فظاعات وتصرفات وحشية.[320] لذلك تم التحذير من الندم لاحقا، في حال الاستمرار بذات النهج.

ورأى مراقبون أن الموقف التركي الذي بدأ بالتحول في سياسته تجاه نظام الأسد- إضافة إلى دعوة القذافي للتنحي فورا- جاء نتاج الانتقادات التي تعرضت لها الحكومة من رموز عربية وإسلامية (ولا سيما رئيس هيئة علماء المسلمين، د. يوسف القرضاوي، وكذلك متحدثون باسم المجلس الانتقالي الليبي)، والتي تلخصت في أن الموقف التركي السابق (أي الغامض) من القضيتين إنما يدل على أن أنقرة قد قدمت المصالح على المبادئ، الأمر الذي سيأكل- حسب محللين- من رصيد أردوغان وحكومته وبلاده في الوعي العربي والإسلامي.[321]

وقد احتوت هذه المواقف المتطورة والمترددة قليلا، على مجازفة كبيرة بصداقة تركيا مع الأسد ونظامه، فهي قد أثارت حفيظة النظام السوري وأزعجته، لتخرج على إثرها بعض الدعوات من قبل موالين للنظام، الى عدم تدخل تركيا في الشؤون الداخلية السورية، لأنها في مواجه "جماعات مسلحة" تسعى لزعزعة الاستقرار.[322] ليرد أردوغان على الاحتجاج السوري بالقول "أن مواقف تركيا تجاه سوريا لا يعتبر تدخلا في الشؤون الداخلية للغير، فسوريا دولة جارة تربطها مئات الكيلومترات الحدودية مع تركيا، وما يحدث في الساحة السورية سيؤثر بشكل تلقائي على الساحة التركية." وهنا تشير دراسة إلى:

"أن الخطاب السياسي في تركيا تجاه الثورة في سوريا، قد ركز على المخاوف الجدية لأنقرة من انعكاسات الأحداث في سوريا على الأمن القومي لتركيا، وخاصّةً من جهتي التكوين المذهبي الطائفي والتكوين العرقي. وتخشى تركيا وقوع صدامات مذهبيّة أو عرقية أو ربما حرب أهلية، وقد تتطور الأمور إلى تقسيم محتمل، وهو ما يمكن أن ينتقل إلى تركيا، ولاسيما أن التكوين العرقي والديني والمذهبي والثقافي للبلدين متقارب. وهذه سيناريوهات تتحدّث تركيا عنها، وعن مخاوفها بشأنها، ولكن سلوكها العملي أحيانا يوحي كأنما هي "تشتغل" من أجل حصولها."[323]

---

[320]- "أردوغان: الأسد يستخف بالموقف ويصر على استخدام الوحشية،" موقع الشرق الأوسط، استرجعت بتاريخ 11\6\2011.
http://aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=11883&article=626027

[321]- ياسر الزعاترة، جريدة الدستور. العدد 15744 (11/5/2011)

[322] - تكروري، عصام، قناة BBC(مقابلة).13/5/2011.

[323]- عقيل محفوض، "سوريا وتركيا: تحوّل وغموض العلاقات،*المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات*
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/A29A1919-AF10-437B-BEF0-7D65AFCC5563.htm?GoogleStatID=9 (2012\1\2)

وقد وقع بالفعل ما كانت تركيا تخشاه، وهو تدفق آلاف اللاجئين السوريين إلى تركيا عبر الحدود، مع ارتفاع وتيرة القمع والقتل، حيث أُجبر عشرات الآلاف على الهروب بـأرواحهم وأبنائهم، وهنا وجدت تركيا نفسها مضطرة- من منطلقات "إنسانية سياسية" وعثمانية- للتعامل معهم بإيجابية، وإيوائهم، وتوفير ما يلزم من الحد الأدنى لمقومات الحياة، من باب التزامها بمبدأ دعم حرية الشعوب. حيث نُصبت الخيام، ووزعت المساعدات والخدمات المختلفة على اللاجئين. ولا بد من لفت الانتباه الى أن تركيا لم تغلق الحدود أمام آلاف اللاجئين السوريين المتدفقين إلى أراضيها بل أبقت الحدود مفتوحة لهم. وأشار مراقبون أنه "رغم ما كان يكلفه وجود اللاجئين السوريين في الأراضي التركية من مبالغ باهضة، إلا أن تركيا لم تشتكي ولم تتذمر من ذلك".[324]

ويعتبر مراقبون أتراك أن الحكومة التركية قد منحت الأسد فرصة تاريخية لكنه أضاعها، خاصة بعد أن أخذ في تسليح عناصر حزبه، وهنا بدأ الانحياز للشعب السوري وحريته يتجلى أكثر، إضافة الى التخلي عن السياسات المتوازنة تجاه النظام العلوي الحاكم[325] ورغم هذه اللهجة التركية الشديدة نسبيا تجاه نظام الأسد، والدعوات المتكررة بوقف القتل، ومنح الشعب حريته وحقوقه، فقد أعلن وزير الخارجية أوغلو في1\5\2011 أن بلاده ترفض "أي تدخل أجنبي في سوريا وتسعى لتفادي هذا الاحتمال"، لأنه ستكون له تداعيات مؤسفة، ودعا إلى إيجاد حل داخلي للأزمة والاحتجاجات المتواصلة هناك وقال "ان سوريا جارتنا ودولة ذات سيادة، ونعلق أهمية كبرى على حلّ المسألة داخل البلاد، ولا تزال فرصة ذلك متاحة، ولا يجب تفويتها".[326]

ويكاد المشهد الليبي ذاته يتكرر هنا، عندما أعلنت تركيا رفضها أي تدخل عسكري غربي في ليبيا، لنجد بعد أيام أن تركيا جزء لا يتجزأ من هذا التحالف العسكري الغربي ضد نظامها، ويمكن قراءة هذا الرفض التركي للتدخل الأجنبي في سوريا من عدة محاور، لعل أهمها التخوف من أن يكون مصير سوريا كمصير العراق، وانفلات الحدود بين البلدين وخطورته على أمنها، فقد يجد حزب العمال الكردستاني في الفوضى فرصة له للانتعاش. ويضاف الى ما سبق رغبة تركيا بالمناورة دوليا، وممارسة الدور الإقليمي الذي تعكف دوما على ممارسته. المتلخص بالقول (إننا موجودون، ولنا كلمة تقال) وهو جزء لا يتجزأ من العثمانية الجديدة المسكونة بها القيادة التركية الجديدة.

[324]- أويصال، أحمد.(مقابلة). 12\4\2012. أنقرة.
[325] - فيلالي، *تحولات تركية*.
[326]- قناة الجزيرة، نشرة "الجزيرة هذا المساء". 1\5\2011.

لقد طال أمد الثورة السورية، وتضاعفت وتيرة العنف بحق الشعب السوري معها، فبعد مضي سبعة أشهر على اشتعال فتيل الثورة دون تحول إيجابي في سياسات نظام الأسد تجاه شعبه، أعلن أردوغان في 2011/10/4 " ان بلاده ستتخذ سريعا قرارا لفرض عقوبات على سوريا" وقال "لا يسعنا أن نقف متفرجين حيال ما يحصل في سوريا من قتل للأبرياء والعُزل". وأضاف "سبق أن أعلنا بعض الإجراءات التي لا يمكن الانتظار عليها".[327] وقد عكف المسؤولون الأتراك على الاجتماع مع رموز المجلس الوطني السوري، باعتباره يمثل غالبية أطياف المعارضة السورية. وعقب اتخاذ مجلس الجامعة العربية قرار تعليق عضوية سوريا بالجامعة، تعرضت مقار دبلوماسية لبعض الدول في دمشق للاعتداء. وكان مقر السفارة التركية منها، الأمر الذي دفع تركيا الى إجلاء عائلات الدبلوماسيين من دمشق.[328] وهنا توعدت أنقرة سوريا باتخاذ أشد المواقف حزما ضد تلك الاعتداءات، واستدعت السفير السوري بأنقرة احتجاجا على الهجمات، وأشار إرشاد هورموزلو مستشار الرئيس التركي إنه من الممكن إقامة منطقة عازلة في سوريا إذا تم تأمين غطاء عربي.[329]

ونلحظ العثمانية الجديدة في تصريح لوزير الخارجية أوغلو يبين شعور تركيا بأن لها مسؤولية تجاه سوريا، عندما طالب أوغلو الأسد في 2011\12\9، بمعاقبة قتلة معارضي النظام وأن يوافق على نشر مراقبي الجامعة العربية، وأوضح أن تركيا لديها "مسؤولية" تجاه سوريا، "وسلطة" لتقول لدمشق "كفى"، وأن تركيا لن تقف مكتوفة الأيدي إذا تعرض أمنها أو الأمن الإقليمي للخطر، بسبب القمع المفرط للمعارضين وإجبار الناس على الفرار من البلاد.[330] ويمكن حصر المقولات التركية والخطابات تجاه الأزمة في سوريا بالمحاور العامة التالية: "الديمقراطية والتغيير، الموقف الأخلاقي وإرادة الشعب، الآداب السلطانية والنصيحة، العبء والمسؤولية التركية، والمخاوف من عدم الاستقرار والحرب الأهلية والتقسيم".[331]

إنّ حديث تركيا بهذه اللهجة الخطابية السياسية، والحديث عن وجود مسؤولية والتزام لها تجاه سوريا، وكأنها تتحدث عن قضية أو إقليم تركي داخلي، كما فعلت من قبل تجاه غـزة،

---

[327]- "أردوغان: سنفرض عقوبات على سوريا،" وكالة ميلاد الإخبارية، استرجعت بتاريخ 2011/10/4، http://www.milad.ps/arb/news.php?maa=View&id=40683

[328]- قناة الجزيرة، نشرة الجزيرة هذا المساء، 2011\11\13

[329]- "تركيا تتوعد دمشق وأوروبا تعاقبها،" الجزيرة نت، استرجعت بتاريخ 2011\11\14، http://www.aljazeera.net/NR/EXERES/87E51C5A-B3F9-45F4-8641-41F973AF4932.htm

[330]- "تركيا تحذر والعرب يبحثون شروط دمشق،" الجزيرة نت، استرجعت بتاريخ 2011\12\9، http://www.aljazeera.net/NR/EXERES/E0369067-67BE-4C8E-BFF3-794E1273C70F.htm

[331]- محفوض، *سوريا وتركيا تحول*. ص57.

حيث ألزمت نفسها بحرية غزة، إن هذا بحد ذاته خطاب عثماني في أوضح صوره، وكأن تركيا تقول أن هذه الأقاليم جزء لا يتجزأ من مجال اهتمام تركيا ونفوذها، باعتبارها الدولة الأولى في العالمين العربي والإسلامي، والشرق أوسطي، سياسيا وعسكريا واقتصاديا، يضاف الى ذلك ما لها من رصيد تاريخي وشراكة أيديولوجية مع هذه الأقاليم، التي كان الأتراك يقودونها في ظل الدولة العثمانية، وكأن هذه الدولة لا زالت قائمة، وتدافع عن جزء من أراضيها، أو تساعد فئة من شعبها في التغلب على معضلة ما، ومن هنا كانت القيادة التركية ترفض تصريحات ساسة ومؤيدي النظام السوري عندما يطالبون تركيا "بعدم التدخل في شؤونهم الداخلية"،[332] وكانت أنقرة ترد على ذلك بأن الدفاع عن حرية سوريا ليس تدخلا في شأن البلاد الداخلي، لأن تركيا وسوريا بلد واحد وبينهما حدود جغرافية تقترب من 900 كلم.

توالت خطابات تركيا المنددة بممارسات نظام الأسد، "وقد اتهم رئيس الوزراءِ أردوغان الرئيسَ السوري باتِّباع سلوكِ والدِه في ارتكاب المجازر ضد شعبه، كما دعا أردوغان الأسد إلى استخدام جيشه في تحرير الأراضي السوريةِ المحتلة بدلاً من قتل شعبه، وأعلن أردوغان في معرض الكلمة التي ألقاها أمام نواب البرلمان استعدادَ تركيا لإطلاق مبادرة جديدة للتعاون مع الدول التي ستقف إلى جانب الشعبِ السوري وليس إلى جانب الإدارةِ السورية."[333] ومع اتجاه علاقات نظام الأسد بأنقرة إلى القطيعة، أعلنت سوريا وقف العمل باتفاقية منطقة التجارة الحرة مع تركيا، وقررت فرض رسوم بنسبة 30% على المواد ذات المنشأ التركي الواردة إلى سوريا، ردا على تعليق تركيا لكل التعاملات الائتمانية المالية مع سوريا وتجميد أصول حكومتها، كجزء من العقوبات العربية والدولية على النظام السوري.[334]

ولم يقتصر الموقف التركي من ما يجري في سوريا على نقد نظام الأسد والتضييق عليه، بل وراحت تنتقد كل من يتواطأ معه، كروسيا والصين اللتان استخدمتا الفيتو في 4\2\2012 ضد مشروع قرار عربي- غربي قدم لمجلس الأمن الدولي يدعم دعوة الجامعة العربية للرئيس السوري بشار الأسد للتنحي.[335] حيث انتقد أردوغان الفيتو الروسي الصيني قائلاً: "إن هذا الفيتو استـُغلّ من قبل النظام السوريّ كذريعة للاستمرار في المجازر، وإن الذين يصمُتون حِيال ما يحدث في سورية يشاركون في جريمة قتلِ شعب"، وهدد الأسدَ قائلا: "إن

[332]- التكروري، عصام. (مقابلة تلفزيونية). قناة BBC. 13\5\2011.
[333]- قناة التركية. 7\1\2012. نقل مباشر (خطاب في البرلمان التركي)
[334]- صحيفة القدس. 4\12\2011.
[335]- "روسيا والصين تستخدمان (الفيتو) ضد مشروع القرار العربي،" موقع الشرق الأوسط، استرجعت بتاريخ 5\2\2012، http://aawsat.com/details.asp?section=4&article=662087&issueno=12122

مرتكبي مجزرة حمص سيلــقــون العقاب في الدنيا قبل الآخرة".[336] وقد استضافت تركيا في 2012\4\1، مؤتمر "أصدقاء سوريا" الدولي الذي اعترف بالمجلس الوطني ممثلا شرعيا لكل السوريين. ومن ناحة أخرى هددت تركيا سوريا بتدخل "النيتو" لحمايــة حــدودها التــي تــم الاعتداء عليها من قبل جنود سوريين، قاموا بقتل وإصابة مواطنين سوريين وأتراك بـــإطلاق النار عليهم أثناء تواجدهم داخل الأراضي التركية.[337]

وقد استمر الموقف التركي من الأزمة السورية بنفس الوتيرة من الضغط والنقد للنظــام وممارساته، ودعم مطالب الشعب وقد أكد وزير الخارجية أوغلو بعد أكثر من 16 شهرا على بدء الثورة، على وقوف بلاده إلى جانب الشعب السوري وأن بلاده مصممة على قيادة موجة التغيير في الشرق الأوسط، وستستمر في أداء مهمتها باعتبارها ضمير الإنســانية وضــمير شعوب المنطقة، وأن لها هدفا ساميا متمثلا في إقامة "شرق أوسط جديد"، قائم على أساس الأمن والسلام والأخوة.[338] وهذا بمثابة انقلاب واضح على مشروع الشرق الأوسط الأمريكي الــذي رسمته "إدارة بوش،" أي أنه شرق أوسط جديد ولكن بالمقياس التركي هذه المرة.

خلاصة القول فإنّ العلاقات التركية السورية شهدت خلال العقد الأخير تحوّلات نوعية، حيث اجتهد البلدان في بناء "تحالفهما"، إلا أنهما تتجهان اليوم وفي ظل "الثورة" للعمل علــى تقويضه، انطلاقًا من قيام تركيا بمراجعة نشطة لأولوياتها وسياساتها، بكل ما يقتضيه ذلك من استعدادات وقابليات للتراجع والالتفاف على ما جرى لصالح رهانات جديدة. حيث أن تركيــا اتّخذت موقفاً مركبا من الأحداث في سوريا، ينطوي على غموضٍ قصدي، ومستويات متعدّدة، بما يوحي بأن أنقرة تؤيد استقرار البلاد، وليس "بقاء" أو "استمرار" النظام السياسي، بــل قــد يصبح النظام السياسي- من هذا المنظور- هو نفسه عقبة أمام الاستقرار.[339]

---

[336]- "أردوغان: مجزرة حمص لن تمر دون حساب كما مرت مجزرة حماة،" موقع قناة التركية، استرجعت بتاريخ 2012\1\7، http://www.trtarabic.tv/ar/index.php?option=com_content&view=article&id=7915:2012-02-07-11-28-17&catid=44:news-reports&Itemid=184

[337]-"أردوغان لسوريا: لا تضغطوا علينا أكثر،" الجزيرة نت، استرجعت بتاريخ 2012\4\12، http://aljazeera.net/news/pages/bd6d3be0-d8a5-4a76-91f8-797b79e8b8c4

[338]- " أوغلو:علينا بناء "شرق أوسط جديد" على أساس الأخوة، لا الطائفية،"موقع أخبار العالم، استرجعت بتاريخ 2012\5\5، http://www.akhbaralaalam.net/?aType=haber&ArticleID=51671

[339]- محفوض، *سوريا وتركيا تحول*.

ثانيا: ثورة ليبيا

كموقفها من باقي الثورات في البلاد العربية عند بدايتها تقريبا، كان موقف تركيا من الثورة الليبية، حيث الدعوة إلى عدم زعزعة الاستقرار والأمن وتجاوز الأزمة الحاصلة في البلاد، ومن ثم الدعوة إلى الإصلاح في البلاد، وفي فترة ثالثة، عرض الوساطة لإنهاء الأزمة في البلاد، والخروج بحل وسط بين المحتجين والنظام... وفي وقت متأخر دعوة الزعيم الليبي إلى التنحي فورا. وهذا تدرج وتغير في المواقف، وتخبط أحيانا، يوضح أن مصالح البلاد كانت تملي عليها الموازنة، وتجاوز المبادئ أحيانا، أو التضحية بالقليل من أجل عدم خسارة الكثير، فعندما تواجه تركيا خسارتين لا مفر من إحداهما، كانت تختار أقلهما، ورغم محاولاتها الظهور أحيانا بموقف المعارض، والبلد الذي يتخذ قرارات داخلية مستقلة، نابعة من مبادئه الداعية للعدالة والديمقراطية والحرية للشعوب، لم تكن أنقرة لتسير تماما في عكس التيار الغربي، وتعارضه تماما في القضايا الجوهرية والكبيرة.

انفجرت الثورة الليبية في مدينة بنغازي- شرق البلاد- بشكل مفاجئ، كما في مصر وتونس، وكانت دوافعها كسابقتيها، المطالبة بالإصلاح والحرية والسماح بالتعددية السياسية، وعودة المغتربين قسرا، وغيرها من المطالب، لكن مواجهة نظام العقيد معمر القذافي للمحتجين بالقوة المفرطة، جعلت الثورة تتسع، وتتخذ منحا أكثر تعقيدا بسرعة، وهو عسكرة الثورة. لم يكن القذافي ولغاية ما قبل سقوط نظامه، يعترف بأن ثمة تظاهرات أو احتجاجات، أو أزمة في ليبيا، أو أن مواطنيها يعانون من أي مشاكل، وعكف القذافي في خطاباته المطولة على وصف المحتجين بصفات نابية، كوصفهم بالحشرات "والجرذان" والخارجين عن الصف القومي والوطني، والموالين لجهات خارجية، ومن هنا كان الرد على الاحتجاجات مفرطا وعنيفا، لدرجة أن التظاهرات السلمية كانت تقصف بالطائرات، الأمر الذي كان يوقع أعدادا مذهلة من الضحايا في أزمنة قياسية، وهذا ما دفع بمؤسسات حقوقية ودولية الى الخروج عن صمتها والإعلان عن أن الوضع جد خطير في البلاد، وأن ثمة الآلاف من القتلى والجرحى، وقد كان لما تنقله وسائل الإعلام أثر بالغ، في استثارة الرأي العام العالمي ضد نظام القذافي وممارساته ضد شعبه، كما دفع تطور الأحداث بالعديد من الأقطاب السياسية الدولية إلى الحديث، كمجلس الأمن الذي اتخذ قرارا بتجميد أرصدة القذافي وأبنائه وعائلته في البنوك الأوروبية. وبدأ الحديث في الأروقة الأوروبية عن "خيار الحظر الجوي فوق ليبيا."[340]

[340]- كاميرون، ديفيد. مقابلة تلفزيونية. قناة BBC. بتاريخ: 1\3\2011.

هنا خرج موقف تركي جديد، ولاسيما بعدما تناقلت الأطراف الدولية الحديث عن احتمالية التدخل العسكري في ليبيا، قال رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان: "أن أي تدخل عسكري لحلف "النيتو" في ليبيا سيشكل خطرا كبيرا على المنطقة" [341] وكرر الساسة الأتراك هذا الموقف في محافل عدة. وقد كان لهذا الموقف التركي وزنة وتأثيره، حيث أشار السفير الأمريكي السابق لدى حلف "النيتو" روبرت هانتر: إلى أن رفض تركيا للتدخل العسكري للنيتو في ليبيا، جعل الدول الغربية تتردد في اتخاذ هذا القرار.[342] لكن الموقف التركي الذي امتاز بالتقلب وعدم الثبات كما ذكر سابقا، جعل تركيا تتخلى عن هذا الموقف بعد فترة وجيزة. وبينما دعت دول أوروبية، إلى تسليح الثوار في ليبيا، ليتمكنوا من مواجهة قوات القذافي، أعلن أردوغان في مؤتمر صحفي: "أن بلاده ترى أن من غير المناسب تسليح الثوار، لأن ذلك سيؤدي إلى تقسيم البلاد، ويخلق جوا من الإرهاب فيها وهو أمر خطير."[343] وهنا يبدو أن تركيا استشعرت خطر التدخل العسكري، وما سيخلقه من آثار سلبية وخطيرة، كما حصل في العراق، بل لعلها خشيت من أن الغرب يسعى إلى احتلال ليبيا ووضع يده على ثرواتها الهائلة، وخصوصا أن لتركيا مصالح واستثمارات كبيرة في ليبيا قد تتعرض للخطر، لذا فقد ظلت هذه الهواجس تدفع أنقرة لرفض التدخل العسكري الغربي لفترة من الزمن، قبل أن تجد تركيا نفسها لاحقا، وقد خاضت مع الخائضين في العملية العسكرية على ليبيا.

أما على الصعيد الميداني فكانت تركيا نشيطة جدا في تواصلها مع الشعب الليبي أثناء المحنة، فما زالت سفنها المحملة بالمؤن والمساعدات الإنسانية تحط رحالها على الشواطئ الليبية،[344] كما كانت سفن أخرى تقوم بنقل مئات الجرحى ومصابي الحرب،[345] ولاسيما في مدينة مصراتة التي نالت حظا وافرا من القصف والحصار والمعاناة، والحصة الاكبر من عدد الضحايا. وفي الطرف المقابل، "ظلت أنقرة تقيم علاقات، وتجري اتصالات مع نظام القذافي، وكانت تستقبل مبعوثيه باستمرار، وتحثهم على ضرورة اتخاذ ليبيا قرارا بوقف إطلاق النار، وانسحاب الكتائب من المدن الليبية."[346] وهنا لابد أن الخشية على مصير المصالح التركية بليبيا، حيث مئات الشركات المنتشرة في البلاد، والاستثمارات التي كان نظام القذافي قد خص تركيا بها، وآلاف الموظفين والعاملين والمستثمرين فيها،[347] إضافة الى خشية أنقرة من

341- قناة القدس، الشريط الإخباري. بتاريخ: 1\3\2011.
342- قناة BBC. نشرة أخبار الثامنة مساءا. 2\3\2011.
343- نقلت المؤتمر مباشرة قناة الجزيرة، وفضائيات أخرى، بتاريخ: 31\3\2011.
344- قناة الجزيرة. نشرة الجزيرة هذا المساء. بتاريخ: 2\4\2011.
345- قناة العالم. تقرير إخباري. 4\4\2011
346- قناة الجزيرة. نشرة الجزيرة هذا المساء. 4\4\2011
347- ذكرت مصادر إعلامية أن أكثر من عشرين ألف تركي يعملون في ليبيا، وأن هناك شركات تمتلك عقودا للبناء بمليارات الدولارات. ينظر: الجزيرة نت، مقال بعنوان: هل ليبيا وسوريا صداع لتركيا (1\5\2011) .
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/BBCBC5C7-1764-43A4-BB1F-E7E44C4277AE.htm

خسارة حليف سياسي كان لا زال قويا في البلاد، كل هذا كان يدفع بأنقرة إلى التريث وعـدم الاستعجال في إفساد العلاقة مع النظام بالانحياز للثوار، وسعت دوما لعرض الوساطة وتقديم مبادرات، والدعوة الى وقف إطلاق النار وسفك الدماء.

لقد كان الموقف التركي حتى تلك اللحظة يتسم بالغموض والضبابية، ولم يكن أحد يفهـم توجه أنقرة، بل وُجهت الكثير من الانتقادات الى تركيا من أطراف عديدة، ودعوات لتوضيح موقفها من القذافي وما يجري في ليبيا، ولاسيما أن دولا أوروبية كإيطاليا، اعترفت بالمجلس الانتقالي[348] قبل تركيا، كما كانت قوات القذافي تقترف باستمرار أبشع المجازر، وتقتل الجنود الذين يترددون في إطلاق النار على المتظاهرين. ثم أن الكثير من سفراء القذافي في العالم قد أعلنوا تخليهم عنه، وعلقت الجامعة العربية عضوية ليبيا بها، وقبل ذلك تأييدهم للحظر الجوي عليها، أي ان أنقرة وقعت بحرج كبير ولم يعد لها مبرر للاستمرار في ضـبابيتها. وعنـدما اقتربت ساعة الحسم من تولي النيتو قيادة العمليات العسكرية في ليبيا، "وافق البرلمان التركي على مشاركة الحكومة في تلك العمليات استجابة لطلب حلف النيتو، وفوضها بإرسال قـوات إلى ليبيا لمدة عام لحماية المدنيين، دون أن تشارك في العمليات العسكرية بشكل مباشر."[349]

وهنا صرح رئيس الوزراء أردوغان قائلا: "لا نريد أن يقع في ليبيا ما وقع في العراق، ولا يمكن لطائراتنا أن تقصف الشعب الليبي، ولا يمكن لجنودنا أن يطلقوا النار على أشقائهم الليبيين".[350] وكأن أردوغان أراد من خلال قوله إن مهمة القوات التركية مهمة إنسـانية، أن يخفف من وطأة قرار المشاركة بالعمليات على ليبيا، ضد القذافي ومؤيديه، ومن وطأته داخليا على المعارضة التركية التي رأت في المشاركة رضوخا للضغوط الأمريكية. ويفسير البعض هذا الارتباك في الموقف التركي، بالقول:

"بالإضافة للمصالح التركية الكبيرة في ليبيا التي يُخشى أن تتضرر- حيث ثمة 25 ألف تركي يعملون في ليبيا- كان ثمة أيضا اتفاق سري لم يصل إلـى الإعـلام إلا متأخرا وهو أن أردوغان قد أخذ وعدا سريا من القذافي شخصيا بداية الثـورة، انـه سيتنحى ويترك المجال لانتخابات عامة في ليبيا، وأن لا يتم الإعلان عن هذا الاتفاق. ولكن بعدما بدأ القذافي يقصف بنغازي بشكل عنيف ذُهل الأتراك وصدموا، وحاولوا

[348]- تشكل المجلس الانتقالي الليبي في مدينة بنغازي من القيادات السياسية الليبية المعارضة بزعامة مصطفى عبد الجليل، كجسم يرسم الخطط لمواجهة نظام القذافي، وقد حصد المجلس اعترافات العديد من دول العالم.

[349]- قناتي العالم وBBC. نشرة إخبارية. 24\3\2011

[350]- قناة BBC. نشرة إخبارية.24\3\2011

التواصل مع القذافي فورا، لكنه لم يعد يجيبهم. وقتها أدرك أردوغان أنه قد خُدع، لكن الشعب الليبي لم يكن يعرف هذا الاتفاق. لذلك حاولت تركيا ان تصحح موقفها فورا فأرسلت سفن لجلب الجرحى الى تركيا وتوصيل المساعدات وما شابه.[351]

لقد استمر الموقف التركي المتسم بالغموض والضبابية على حاله إلى أن جاء الخطاب الحاسم والشهير لرئيس الوزراء أردوغان، والذي أوضح من خلاله انحياز تركيا المطلق للثوار وللشعب الليبي ومطالبه المشروعة، قائلا:

" يا أهل بنغازي، سنواصل جهودنا لحمايتكم والدفاع عنكم، أقول للشعب الليبي أننا نشعر بشوقكم للحرية، وسنواصل دعم مطالبكم المشروعة"، وأضاف في معرض رده على بعض الانتقادات: "هناك حملات تصور أن تركيا كانت تمنع النيتو من حماية الشعب الليبي، وهذه مزاعم خاطئة" وفي نقده للدول الغربية وسياساتها المصلحية في ليبيا، والتي اتهمها بأنها تسعى الى السيطرة على النفط الليبي، أكد أردوغان "أن أي قطرة دم ليبية أثمن من أي قطرة نفط.. كل جهودنا تستهدف رفاهية الشعب الليبي دون اعتبار للمصالح النفطية، ونحن نحاول لعب دور لإقرار المصالح في ليبيا، وليست لنا مصالح خفية" وعن المساعدات التي قدمتها تركيا لليبيا، قال "ان تركيا أرسلت ولازالت ترسل سفنا الى ليبيا لإيصال المساعدات للمحتاجين، وأخرى لنقل الجرحى والمصابين" ووعد بمواصلة تلك المساعدات حتى تنتهي معاناة الشعب الليبي.[352]

وقد أكد أردوغان في خطابه على وحدة الأراضي الليبية، ودعا الشعب الى أن يظل متحدا وراء المقاومة، وفي حديث استباقي عن مستقبل ليبيا، أشار الى أن بلاده تبذل جهدا لرسم خريطة طريق لحرية الشعب الليبي، وتسعى لتحقيق تغيير ديموقراطي بالبلاد بإجراء انتخابات ديموقراطية، وأشار إلى أن ممثلية ستكون لتركيا وسفيرا سيصل الى بنغازي قريبا. لقد أغلق أردوغان بهذا الخطاب الصريح الحاسم أبوابا عدة من التأويلات والتحليلات التي دارت حول موقف بلاده من الأزمة في ليبيا، ووضع حدا لذاك الغموض الذي انتهجته أنقرة شهورا. وقد لقي هذا الخطاب- المشبع بالملامح العثمانية- استحسان الكثير من الأطراف الليبية والعربية، وفسر معارضون ليبيون، إرسال أنقرة سفيرا إلى بنغازي، بمثابة اعتراف

[351]- باكير، علي. 3\3\2012. (مقابلة). أنقرة
[352]- نقلت الخطاب مباشرة الكثير من وسائل، ومنها قناة الجزيرة. في 7\4\2011

رسمي بالمجلس الانتقالي، وتخل عن نظام القذافي.[353] واتضح اعتــراف تركيــا بـــالمجلس الانتقالي بعد خطاب أردوغان، عندما زار رئيس المجلس الانتقالي مصطفى عبد الجليل أنقرة، وعقد مع وزير الخارجية داوود أوغلو مؤتمرا صحفيا قال فيه أوغلو: "أن تركيا تــرى فـــي المجلس الانتقالي ممثلا شرعيا لليبيا، وأنها ستستمر في إجراء الاتصالات والتنســيق معـــه، وأضاف أن رئيس الوزراء أردوغان قد قدم مبادرة تنص على وقف إطلاق النـــار ورحيـــل القذافي،.. ووعد أوغلو بدعم اللاجئين الليبيين في تونس، وأن تركيا ســتعمل علـــى تطـــوير المؤسسات الليبية والبنى التحتية، وقال "لقد كان قدرنا مشتركا مع إخواننا الليبيين منذ تـــاريخ عميق".[354] وفي وقت سابق كان الرئيس التركي عبد الله غول قد قال في مؤتمر صحفي عقده مع نظيره الاندونيسي في جاكرتا: "إن نظاما مغلقا مثل نظام القذافي لم يعد لـــه وجـــود فـــي الوقت الحاضر"[355] في نقد شديد للقذافي ودعوة مبطّنة إلى التخلي عن الحكم والتنحي، وكـــان رئيس الوزراء أردوغان قد تقدم– رغم تدهور علاقات بلاده بالقذافي– بمبادرة لحل الأزمـــة في ليبيا، تضمن وقف إطلاق النار، وفك الحصار عن المدن المحاصـــرة، وســـحب كتائـــب القذافي الى خارج حدود المدن، ووقف سيل الدماء،[356] لكن النظام الليبي لـــم يســـتجب لتلـــك المبادرة ولا لغيرها من المبادرات، ومضى في قمع الشـــعب، وحصـــار المـــدن وقصـــفها، واستخدام القوة المفرطة، مستعينا بمن وصفوا "بالمرتزقة".

وهنا أعلن أردوغان أن مبادرته قد فشلت، ودعا القذافي للتنحي فورا عن الحكم ومغادرة البلاد، كما ودعا الى فرض حظر على تصدير الأسلحة إليه، وقال أن ليبيا ليست ملكا لأحـــد، وأن أي نظام يحد من حرية البشر لا يستحق البقاء. وأضاف: "لا نريد حلبجـــة أخـــرى، ولا حماة وحمص أو بوسنة أخرى، فالحرية والعدالة والمساواة هي حقوق حرمت منهـــا بعـــض الشعوب، وعلينا أن نغير انطباع العالم كله عن العالم الإسلامي، وسنستمر في دعم الشـــعوب المظلومة في الدفاع عن حقوقها".[357] وقد ساءت علاقات تركيا بنظام القذافي وتدهورت على إثر ذلك، وخصوصا بعد أن استدعت أنقرة سفيرها في ليبيـــا،[358] ورأى معارضـــون بهـــذه التطورات "ضربة سياسية قاصمة لنظام القذافي، لما لتركيا من وزن سياسي، وأن ثمة تحولا ملموسا وهاما في السياسات التركية حيال الأزمة الليبية، تعد إنجازا للثوار وجهودهم.[359]

---

[353]- دوغة، سليمان. مقابلة تلفزيونية. قناة الجزيرة. 7\4\2011

[354]- قناة الجزيرة مباشر. مؤتمر صحفي لأوغلو وعبد الجليل. 23\5\2011.

[355]- قناة الجزيرة: الشريط الإخباري. 5\4\2011.

[356]- قناة المنار. 13\4\2011 . كانت تركيا قد جددت مبادرتها للسلام وحل الأزمة في ليبيا من خلال عرضها في اجتماع مجموعة الاتصالات الدولية المنعقد في الدوحة.

[357]- قنوات القدس، وBBC، والجزيرة. وينظر أيضا:3\5\2011.

[358]- قناة BBC. الشريط الإخباري. 3\5\2011.

[359]- الديباني، عبد الرحمن. قناة الجزيرة. مقابلة تلفزيونية. 3\5\2011.

سقط نظام القذافي بسقوط طرابلس العاصمة بأيدي الثوار، بعد جهود مضنية، وانطوى هنالك عهد قديم لليبيا استمر أربعة عقود، وهنا جاء وقت قطف الثمار السياسية وتسجيل المواقف للأقطاب السياسيين الدوليين. وقد كان رئيس الوزراء التركي من أوائل الزعماء الذين وصلوا ليبيا بعد القذافي، في 16\9\2011، وقد استقبل بحفاوة وترحيب كبيرين، بعد جولة له بشمال إفريقيا شملت كلا من مصر وتونس، اللتين شهدتا ثورتين أطاحتا بنظاميهما، وقال أردوغان الذي أشاد بنجاح الثوار الليبيين بالإطاحة بنظام القذافي، "أنتم من أظهرتم للعالم بأسره أن ما من إدارة يمكنها أن تقف أمام قوة الشعب وإرادته"، وتابع، موجها كلامه للأسد: "لا تنسوا أن من يمارسون القمع على الشعب في سوريا لا يمكنهم الوقوف على أقدامهم لأن القمع والازدهار لا يستقيمان سويا"، وقال أردوغان إن "عصور الأنظمة الاستبدادية والشمولية انتهت"، مضيفا: "الآن سلطة الشعب هي القادمة وأهنئكم على كفاحكم". ووعد رئيس الوزراء التركي بمساعدة الليبيين على إعادة إعمار المدارس ومراكز الشرطة وبناء مستشفى، وبناء مقر البرلمان المقبل، وتقديم المساعدات الإنسانية للمدن المحتاجة.[360]

هذه نماذج من مواقف تركيا تجاه الثورات العربية، وعموما يمكن القول أن تركيا ترددها كانت من مؤيدي الثورات العربية، الراغبين في حدوث تغيرات راديكالية في الدول العربية ولاسيما المجاورة، حتى تكون الأرضية أكثر خصوبة لذلك الدور العثماني الذي تسعى تركيا للعبه. بينما رأى البعض "أن الدعم التركي نابع من خلفية حزب العدالة والتنمية الأيديولوجية، حيث يدعم تيار الاخوان المسلمين في البلاد العربية ويرغب بوصوله للحكم على غرار تركيا."[361] ولكن لم يذكر خلال الثورات العربية، أن خرج موقف أو تصريح ضد الشعوب ورغبتها في الديمقراطية، بل كان في أسوأ الأحوال دعوات لضبط النفس، والحفاظ على الاستقرار والهدوء، وتحديدا في البدايات فقط، فتركيا عكفت على النداء بضرورة الاستجابة لمطالب الشعوب، وحريتها وحقها في الديمقراطية بشكل عام، وأن ما صاحب بعض التطورات في البلدان التي شهدت ثورات، من تخبط وارتباك وضبابية في الموقف، وتلكؤ في الحسم. قد كان له ظروفه ومبرراته، والذي كانت تحكمه باريغماتية تركيا ومصالحها العليا، رغم أن هذه تعد مآخذ على تركيا، وتنهش كثيرا من جسد عثمانيتها الجديدة المنشودة.

"فقد كانت تركيا ترحب برؤية المجتمعات العربية تسعى إلى الاستقلال والديمقراطية، كما ساعدت تركيا في إسقاط الأنظمة الاستبدادية، بعد أن بدأت

---

[360]- "أردوغان من طرابلس: زمن الطغاة ولى وارادة الشعوب لا يقف دونها القمع،" صحيفة القدس، استرجعت بتاريخ 25\9\2011، .http://www.alquds.com/news/article/view/id/294986
[361] - الشرفا، وليد. رام الله. (مقابلة) 2/4/2011

شعوبها بالثورة، لأن الربيع العربي سيؤثر على التفاعلات الإقليمية والدولية لصالح تركيا، فسقوط نظام البعث السوري، سيقلص النفوذ الإيراني في المنطقة، ولن ترتاح له إسرائيل، وهي الداعم لهذه الأنظمة الاستبدادية، لان أصدقاءها في المنطقة سيتناقصون، كما أن الثورات ستضعف الهيمنة الأمريكية في المنطقة، وستجلب المواقف الروسية والصينية المترددة في دعم الشعوب نتائج سلبية لها في المنطقة، بينما ستكون تركيا هي الرابح الأول".[362]

وإن تشكيل تركيا لتحالف مع هذه القوى الجديدة، كفيل بمنح تركيا دورا وموقعا أكبر بالمنطقة، وفي الوقت ذاته القدرة على المناورة ومواجهة الاستفزازات والضغوط الغربية المستمرة عليها، من خلال لجوئها إلى الحلف الجديد هذا. وقد طرح مراقبون سيناريوهات عدة، حول رؤية تركيا وتعاطيها مع هذه الثورات، أشار بعضها إلى:

"إن تركيا تبحث عن تعزيز دورها بالدفع في اتجاه نجاح الثورات وخروج طبقة جديدة منفتحة تجاهها، وتدعم التنسيق والتعاون بين دول المنطقة، حيث العامل الاقتصادي أهم المداخل في المرحلة الحالية، حيث الدول العربية تعاني من ضعف وانهيار اقتصادي رغم زيادة وتنوع مواردها. فيمكن من خلال طرح خطط للإصلاحات الاقتصادية عن طريق النموذج التركي الاقتصادي أن تسهم في تحسين التعاون الاستراتيجي مع دول المنطقة، وتفعيل عدة مشروعات ضخمة لربط النهوض الاقتصادي بها".[363]

إلا أنه من ناحية أخرى، كانت لدى أنقرة مخاوف عدة من بعض النتائج غير المرغوبة للثورات العربية، كاختطاف قوى أخرى لذلك الموقع والدور الذي كانت عين تركيا عليه في المنطقة، كأن يحتل الدور المصري بجدارة محل "اللاعب" الأساسي في المنطقة، وسد الفراغ الإقليمي الذي عملت الخطط الأمريكية- الإسرائيلية على إحداثه خلال العقود الماضية. وعموما، "لقد فتحت الثورات العربية عهدا جديدا من العلاقات التركية العربية، عادت فيه تركيا لجوارها العربي، مثقلة بمعطيات قطيعة؛ فكرية وسياسية واقتصادية وثقافية طويلة، وقد قطعت أشواطا قياسية في الالتئام معه، وفي تَصدُّر الركب الإقليمي."[364]

---

[362]- أويصال، *صعود تركيا*، 308.

[363] - أبو زهرة، *تركيا في بيتنا*.

[364]- الصويان، *واقع الإصلاح*، 259.

النتائج:

يوجد لدى القيادة التركية الجديدة المتمثلة بحزب العدالة والتنمية، مشروعا كبيرا يهدف للنهوض بالبلاد وإعادة الاعتبار لها، ولدورها في المنطقة والعالم، وإخراج البلاد من كونها جسرا بين الشرق والغرب، إلى أن تصبح مركزا، وقوة فاعلة ومؤثرة في محيطها.

إن هذا المشروع التركي الضخم، يحتاج إلى جهود مضنية، وخطط بالغة الدقة، ويحتاج الى خروج تركيا من عزلتها مع جوارها، وإعادة التصالح ومد جسور الثقة معهم، والقيام بدور فعال في هذه الأقاليم التي كانت جزءا لا يتجزأ من الدولة العثمانية التي قادها الأتراك لعقود عدة، وهذا ما دفع الكثيرين لاعتبار هذا التحرك التركي بأنه عثمانية جديدة.

إن العثمانية الجديدة، وهو مصطلح حديث الظهور، لا تعني على الإطلاق، أن تركيا تسعى الى إعادة مؤسسة الدولة العثمانية ذاتها، ببسط النفوذ والسيطرة على الأقاليم التي كانت تضمها الدولة العثمانية، وإنما تسعى تركيا الى التأثير الفعال في دول هذه المنطقة، والوصول الى موقع قيادي في العالم الإسلامي، ودور فعال ومؤثر في المنطقة، مستلهمة ذلك الموقع المرموق الذي تمتعت به الدولة العثمانية، من حيث التنوع العرقي، والرقعة الجغرافية الواسعة، والنفوذ والمنافسة الدولية، وكل ذلك خدمة لمصالحها.

إن مشروع العثمانية الجديدة يهدف بشكل أساسي الى خدمة المصالح التركية وفي مقدمتها المصالح الاقتصادية، حيث تشهد البلاد نقلة اقتصادية نوعية، وطفرة لم تعشها منذ خسارة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، إضافة إلى المصالح السياسية المتمثلة في المنافسة على النفوذ في المنطقة، وكذلك المصالح الأمنية وحفظ حدودها، وخصوصا أن الأمن قد شكل أواخر القرن العشرين معضلة حقيقية لتركيا وأمنها القومي.

لقد شكلت الدول العربية، ولاسيما تلك الواقعة في منطقة الهلال الخصيب، أحد أهم المناطق المستهدفة من مشروع العثمانية الجديدة التركي، لأسباب تتعلق بالجوار والشراكة التاريخية، واحتوائها على ثروات هائلة باتت تركيا في أمس الحاجة لها ولاسيما في العراق، وكونها حلقة الوصل مع منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي، إضافة إلى أن الفوضى الأمنية التي شهدتها تركيا كانت تنطلق من هذه المنطقة.

لقد بدأت تركيا فعلا بالانفتاح على هذه المنطقة والتصالح معها، وتهتم بشؤونها، وتبادر في حل مشاكلها وقضاياها العالقة، وتتوسط لتسوية النزاعات فيها، وذلك بعد عام 2002، حيث وصول حزب العدالة والتنمية ذي الجذور الإسلامية الى الحكم في البلاد، وهو الحزب الذي يلصق به لقب العثمانيون الجدد، حيث بات من الواضح ان الانفتاح التركي على العالم العربي مرتبط بانتعاش الإسلام السياسي في تركيا، وتدل تجربة "أربيكان" في الحكم على ذلك. لذا فأن العثمانية الجديدة في شق منها عثمانية أيديولوجية، وليست مصلحية أو اقتصادية فقط.

انتهجت تركيا وضمن مشروعها الجديد، وسائل وأساليب عدة للانفتاح وتشييد العلاقة الحسنة مع المنطقة العربية والجوار، وأهم تلك الأساليب التي استخدمتها القيادة التركية وسارت دبلوماسيتها عليها، هو الخطاب العثماني الجديد، وهو عبارة عن مجموعة من المواقف والخطابات أو (القوالب الخطابية) التي ألزمت القيادة التركية بها نفسها ومارستها في محافل عدة، والتي تظهر تركيا بأنها تسعى إلى التقارب مع الجوار العربي، والدفاع عن قضاياه، ودعمها في المحافل الدولية، وإظهار مدى قرب تركيا من هذه المنطقة واهتمامها بها.

إن الخطاب العثماني الجديد عبارة عن سلسلة مواقف وخطابات وتصريحات، يمارسها قادة حزب العدالة والتنمية، يستلهمون خلالها محطات مضيئة من تاريخ الإمبراطورية العثمانية، ويركزون خلالها على القواسم المشتركة مع دول المنطقة العربية، من حيث الحضارة والدين والتاريخ والجوار والثقافة وغيرها من المعاني التي تظهر قرب تركيا من المنطقة، واستغلال سلطة هذه الخطابات في التأثير في هذا المجال العربي، والترويج لتركيا في الأوساط الرسمية والشعبية العربية، ولدورها المستقبلي بها، بما يخدم مصالحها المعاصرة.

من خلال رصد نماذج من الخطاب التركي، تبين أن هذا الخطاب قد اتسم بسمات وملامح عدة، أهمها أنه خطاب اقتصادي؛ أي يهدف لدعم الاقتصاد، تاريخي؛ يظهر القواسم المشتركة مع العرب، إسلامي؛ لكونه موجه لمجتمعات إسلامية، وصادر عن حزب ذي جذور إسلامية، وباريغماتي نفعي، وتقاربي تصالحي مع دول وشعوب المنطقة، واهتم بالجانب الأمني، إلا أنه شابه بعض النفاق وتجاوز المبادئ، وكذلك بعض الاضطراب والارتباك في المواقف الحرجة. وقد كشفت الثورات العربية مدى الارتباك وغياب عنصر الحسم في الخطاب والسياسة الخارجية التركية، لكن المواقف والخطابات التركية خلالها، تدل في الوقت

ذاته على حجم الاهتمام التركي بشؤون هذه المنطقة، ورغبتها في التغيير الديموقراطي، وفي خلق أنظمة جديدة أكثر قبولا وترحيبا بدور تركيا في المنطقة.

إن العثمانية الجديدة، لم تكن مجرد خطابات فارغة أو شكلية، بل ضمت عددا من المواقف المهمة التي قامت بها تركيا تجاه دول المنطقة، فتركيا قد كسرت العزلة الدولية المفروضة على سوريا، ورفضت المشاركة في الحرب على العراق، وتبنت القضية الفلسطينية في المحافل الدولية، وقدمت شهدائها لكسر الحصار عن غزة، وتوسطت بين العراق وسوريا في الخلاف بينهما، وأبدت ليونة غير مسبوقة في قضية المياه التي شكلت مشكلة حقيقية لهما، كما رفضت بقوة الحرب الإسرائيلية على لبنان، والمجازر التي ارتكبتها إسرائيل في لبنان وغزة، إضافة الى أن تركيا دعمت وساعدت في المصالحة الداخلية في كل من لبنان وفلسطين والعراق، واقتصاديا وقعت اتفاقيات تجارة حرة مع عدد من الدول العربية، وألغت تأشيرات الدخول معها، وهذا يعني العثمانية الجديدة مربحة للدول العربية أيضا، وليس لتركيا فقط، لذلك لا يجب النظر إلى العثمانية الجديدة نظرة سلبية، أو أنها ذاك الشبح الذي يتربص بها، بل على الدول العربية أن تتلقفها وترحب بها، فتركيا بلد صاعد، والتوحد والتكامل معه يرفع بالضرورة من شأن المنطقة، التي انغمست في الهوان والضياع طويلا.

إن العرب وتركيا جيران لا يمكنهم الاستغناء عن بعضهم البعض، لسيل من الأسباب، لعل الحتمية الجغرافية أهمها، إضافة إلى افتقار كل منهما لما لدى الآخر من الموارد الطبيعية، وعناصر القوة التي تنقص الآخر، إضافة إلى الحاجة لتشكيل جسم إقليمي قادرة على حفظ التوازن– إن لم يكن المواجهة– مع التحالفات الدولية المختلفة، ولاسيما الإمبريالية الغربية التي عبثت في دول المنطقة طويلا، وأوقعت الوقيعة بينها، ونهبت ثرواتها، وعززت الهوة بين العرب والأتراك، صحيح أن لتركيا مصالح كبيرة في المنطقة العربية، ولكن هذا لا يعيبها، فكل بلد يبحث عن مصالحه بالدرجة الأولى، كما أن للعرب أيضا مصالح مع تركيا.

الخاتمة

إن الجمهورية التركية اليوم باتت قوة إقليمية ودولية صاعد بقوة، وتشهد تحولات واضحة سواء في بنيتها الداخلية أم على صعيد سياساتها الخارجية، ويبرهن ذلك النهضة الاقتصادية اللافتة- التي جنبتها براثن الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة- وتأثيرها ودورها النشط في محيطها وعمقها الاستراتيجي وغيرها، ما ينبئ باحتلال هذا لبلد لموقع مهم ومرموق في الساحتين الدولية والإقليمية في السنوات القادمة. إن وصول حزب العدالة والتنمية ذي الجذور الإسلامية، إلى سدة الحكم في تركيا، يعد السبب الأبرز لتلك التحولات التي شهدتها تركيا ولا زالت، والذي يحمل بجعبته مشروعا سياسيا تنمويا ضخما، يطمح الى انتشال تركيا من موقعها الهامشي، إلى نادي القوى الكبرى والمؤثرة في العالم، معتمدا على أساليب عدة، أهمها التأثير الفعال والانفتاح على المحيط ودول الجوار التي كان لتركيا سيطرة ونفوذ بها زمن الدولة العثمانية الأم، ولاسيما المنطقة العربية التي كانت تشكل جزءا أساسيا منها.

إن الاهتمام التركي بدول الجوار العربي ومنطقة الهلال الخصيب يأتي أولا وأخيرا خدمة للمصالح التركية ولاسيما الاقتصادية، دون إغفال السياسية المتمثلة بشهوة النفوذ واستحياء النفَس العثماني، والمكانة التاريخية العليا التي خسرتها تركيا بهزيمتها في الحرب العالمية الأولى، إضافة إلى المصالح الأمنية، والحرص على وحدة أراضيها وحدودها وأمنها القومي.

تبدو الظروف الداخلية التركية، والتحولات الدولية، إضافة الى حالة الضعف والتشرذم العربي، وكأنها عوامل توحدت جميعا لتصب في صالح المشروع التركي العثماني الجديد، فوصول حزب ذي خلفية إسلامية يتوق لاستعادة المكانة التركية المرموقة، ويرغب بالانفتاح على العالمين العربي والإسلامي، وحالة الغياب العربي شبه التام عن التأثير في قضايا المنطقة، وغياب الدور القيادي فيه، تفتح المجال واسعا لتركيا للدخول إلى هذه المنطقة التي بحاجة إلى من يدعم قضاياها في المحافل الدولية ويرفع من شأنها ولاسيما إذا كان جارا قريبا جغرافيا وثقافيا وحضاريا وشريكا تاريخيا مهما، ومن هنا تمارس القيادة التركية الحالية ما بات يعرف بالخطاب العثماني الجديد تجاه دول وشعوب المنطقة.

المصادر والمراجع

أبو الرب، محمد. ***دور قناة الجزيرة في تشكيل العلاقات الدولية لدولة قطر***. بيرزيت: رسالة ماجستير قدمت لجامعة بيرزيت، 2008.

أوغلى، أكمل الدين إحسان وآخرون. **العلاقات التركية العربية (من منظور تركي)**. ترجمة: فتحي النكلاوي وآخرين. الطبعة 1. اسطنبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1993.

أوغلو، أحمد داوود. **العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية**. ترجمة: ثلجي، محمد جابر وطارق عبد الجليل. الطبعة 1. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات،2010.

أويصال، أحمد. **صعود تركيا والربيع العربي**. الرياض: *مجلة البيان* – التقرير الاستراتيجي التاسع، 2012.

الباسل، رجب. **دور تركيا في القضية الفلسطينية**. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2011.

بووانو، إدريس. **إسلاميو تركيا.. العثمانيون الجدد**. الطبعة 1. دمشق: مؤسسة الرسالة، 2005.

الجاسر، محمد طه. **تركية ميدان الصراع بين الشرق والغرب**. الطبعة 1. دمشق: دار الفكر، 2002.

جعفر، عبد الوهاب. **البنيوية بين العلم والفلسفة**. الاسكندرية: دار المعارف، د.ت.

الحميري، عبد الواسع. **النص والخطاب**. ط1. بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2008.

الداقوقي، إبراهيم. **صورة الأتراك لدى العرب**. الطبعة 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001.

درويش، هدى. **الإسلاميون وتركيا العلمانيـــة**. الطبعة 1. القاهرة: دار الآفاق العربيـــة، 1998.

رضوان، وليد. **العلاقات العربية التركية**. الطبعة 1. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2006.

الزواوي، بغورة. **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو**. ط1. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. 2000.

السعدون، حميد حمد. **الطوق: مخاطر التحالف التركي- الإسرائيلي**. الطبعة 1. عمـــان: دار وائل للطباعة والنشر، 2002.

سلامة، نيفين. **صورة الولايات المتحدة كما يراها الشباب الفلسطيني**. بيرزيت: رســالة ماجستير قدمت لجامعة بيرزيت، 2007.

صالح، محسن وآخرون. **تركيا والقضية الفلسطينية**.التقريـــر (17). بيـــروت: مركـــز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010.

الصويان، أحمد وآخرون. 2012. **الأمة: واقع الإصلاح ومآلات التغيير**. الرياض: مجلة البيان- التقرير الاستراتيجي التاسع.

الطويل، رواء زكي. **مستقبل العلاقات العراقية الإيرانية التركية 1923-2007**. د ب: مركز الدراسات الإقليمية، 2008.

عبد العاطي، محمد وآخرون. **تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخـــارج**. الطبعـــة1. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2009.

عبد العزيز، هشام. **مشروع أنابيب مياه السلام التركي والمواقف العربية منــه**. د.ب: المنارة، المجلد 14، العدد 2، 2008.

عطوان، خضر عباس. **النظام السياسي في العراق: بين الإصلاح والشرعية**. الدوحــة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011.

غارودي، روجيه. **البنيوية– فلسفة موت الإنسان**. ترجمة: جورج طرابيشي. بيــروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1979.

الغول، يسري. **أثر صعود حزب العدالة والتنمية التركــي علــى العلاقــات التركيــة– الإسرائيلية**. غزة: رسالة ماجستير قدمت لجامعة الأزهر، 2011

فوكو، ميشل. **نظام الخطاب**. ترجمة د. محمد سبيلا، ط 1. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 1984.

كرامر، هاينتس. **تركيا المتغيرة: تبحث عن ثوب جديد**. الطبعــة 1. ترجمــة: فاضــل جتكر. الرياض: مكتبة العبيكان، 2001.

كركوكلي، جمال كمال. **أزمة الرئاسة التركية 2007**. الدوحــة: مركــز الدراســات الإقليمية، 2007.

كيندي، بول. **نشوء وسقوط القوى العظمى**. الطبعة 1. ترجمة: مالك البديري. عمــان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1994.

لارين، جورج. **الأيديولوجيا والهوية الثقافية الحداثة وحضور العالم الثالث**. الطبعة 1. ترجمة: فريال خليفة. القاهرة: مكتبة مدبولى، 2002

محفوض، عقيل. **سوريا وتركيا نقطة تحول أم رهان تاريخي**. الدوحة: المركز العربــي للدراسات والسياسات، 2012.

------. **جدليات المجتمع والدولة في تركيا: المؤسسة العسكرية والسياسة العامة**. الطبعة 1. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2008.

محمد، ثامر كامل ونبيل محمد سليم. **العلاقات التركية- الأمريكية والشرق الأوسط في عالم ما بعد الحرب الباردة**. الطبعة 1. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2004.

معوض، جلال. **صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية - التركية**. الطبعة 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.

ملزباتريك، ماري. **سلاطين بني عثمان**. الطبعة 1. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1986.

نور الدين، محمد. **تركيا الصيغة والدور**. الطبعة 1. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2008.

هارلند، ريتشارد. **ما فوق البنيوية فلسفة البنيوية وما بعدها**. الطبعة 1. ترجمة: لحسن أحمامة. اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2009.

هلال، رضا. **السيف والهلال: تركيا من أتاتورك إلى أربيكان**. الطبعة 1. القاهرة: دار الشروق، 1999.

وهبي، سحر محمد. **بحوث في الاتصال**. طبعة1. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 1996.

يسين، السيد "**الطريق الثالث:أيديولوجية سياسية جديدة**". *مجلة السياسات الدولية*، عدد 135 (السنة): 60- 72.

مقابلات شخصية

أويصال، أحمد.2012\4\12. أنقرة. (محاضر بجامعة عثمان غازي، ومدير مركز الشـــرق الأوسط للدراسات والتعاون – تركيا)

باكير، علي. 2012\3\3. أنقرة. (باحث في الشؤون التركية والعلاقات العربية التركية).

خشرم، عمر. 2012\2\25. أنقرة (مدير مكتب قناة الجزيرة الإخبارية في أنقرة).

الشرفا، وليد. 2011\4\2. بيرزيت. (أستاذ الإعلام بجامعة بيرزيت).

Ahmet Erginsoy. 2012\3\1. أنقرة. (ضابط سابق في الجيش التركي).

مقالات إلكترونية

أحمين، عبد الحكيم. "إسلاميو تركيا.. العثمانيون الجدد،" *الجزيـــرة نـــت* (2006/2/5) http://www.aljazeera.net/NR/exeres/5650F6A9-F2AE-462F-AA39-F4A2D6D8E981.htm

أبـــو زهـــرة، محمـــد."تركيـــا فـــي بيتنـــا.. مـــاذا تريـــد،"*موقـــع أخبـــار العـــالم* (2011\9\19)http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=47523

أبو القاسم، محمود. "دوافع تحسن العلاقات السورية التركية،" *موقـــع الأهـــرام* (2010) http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=96406&eid=1875

بيون، ديديه. "تركيا غير قابلة للاحتواء.. وهي تعي دورها الجغرافي والسياسي،" *الجزيرة نت* (2010) http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B11D4CB1-D3DA-4DA2-AF5B-C9D5223BB0ED.htm

حاشي، مهدي. "قراءة في المشهد الصومالي،" *الجزيرة نت* (2012\3\23)، http://www.aljazeera.net/analysis/pages/8eb24d2e-2422-4b4c-9a1b-2abc2ded0b8a#2

خشرم، عمر. "**الصراع من باب الاقتصاد**،" *الجزيرة نت* (2006\11\3)، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/E888A305-EBF9-4E1C-B0A2-E4605C1ABC49.htm

رصاص، محمد سيد. "العثمانية الجديدة،" *الحوار المتمدن*، العدد: 2527 (2009\1\15)، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=159596

الرمحي، محمد. "تركيا التي لا نعرف،" *موقع أخبار العالم* (2011\9\20)، http://www.akhbaralaalam.net/author_article_detail.php?id=1592

سفيان، ملوكي. "المدرسة البنائية في العلوم السياسية،" *دراسات آسيوية* (2008\7\13)، http://hawariboumadian1520.maktoobblog.com/1153358

سيف، إبراهيم. "نظرة العرب الى المعجزة الاقتصادية التركية،" *صحيفة الحياة اللندنية* (2012\12\20)، http://www.daralhayat.com/internationalarticle/341207

شومان، محمد. "الخطاب الإعلامي: غموض المفهوم واختلاف أدوات التحليل،" *الهدى للثقافة والإعلام*، http://www.siironline.org/alabwab/alhoda-culture/031.html

الصيفي، شكري. "استعادة الحكم العثماني.. الدلالات والآفاق،" *صحيفة الطليعة*، العدد1837 (17/3/2010)، http://www.taleea.com/newsdetails.php?id=13048&ISSUENO=1837

الطحان، مصطفى محمد. "حزب العدالة والتنمية، رؤية من الداخل،" *مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية* (2003\9\22)، http://www.asharqalarabi.org.uk/center/dirasat-h.htm

عبـــد الفتـــاح، بشـــير. "حـــدود التصـــعيد بـــين تركيـــا وإســـرائيل،" *الجزيـــرة نـــــت*(2010\6\10)،http://www.aljazeera.net/NR/exeres/83E4C095-6E86-401A-AAC7-BB26F98DD56B.htm

عبد القادر، نزار. "العلاقات التركية – الإسرائيلية: بين التحالف الاستراتيجي والقطيعة،" *مجلة الدفاع الوطني* (2010\10\1)، http://www.lebarmy.gov.lb/article.asp?ln=ar&id=26143

العـــلاف، إبـــراهيم خليـــل. تركيـــا والعلمانيـــة: الإســـلاميون فـــي المواجهـــة، *الجزيـــرة نـــــت*(2006/11/2)، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/679026E4-1EC1-4903-B9BA-CF62D8680B52.htm

.

فيلالي، غويني. "تحولات تركية تجاه الثورات العربية،" *الجزيرة نـــت* (30/4/2011)، http://aljazeera.net/NR/exeres/C0AC3CC2-A1D6-467D-9561-EE859D442A2F.htm

قبيسي، كمال. "أردوغان.. بائع الليموناضة في شوارع إسطنبول يثلج قلوب العرب،" *العربية نت* (2010\6\6)، http://www.alarabiya.net/articles/2010/06/06/110580.html

اللباد، مصطفى. "الدور الإقليمي التركي: الملامح والأسباب،" *مركـــز الشـــرق العربـــي للدراسات الحضارية والإستراتيجية* (2009\12\1)، http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m_abhath-01-12-09-2.htm

لطفي، منال. "تركيا من أتاتورك الى أردوغان،" *موقـــع الشـــرق الأوســـط*(2007\10\25)، http://www.aawsat.com/details.asp?section=3&article=442785&issueno=10558

لعروسي، محمد عصام. "**العلاقات** الدولية، شيء من النظرية وآخر من التطبيـــق،" *الحـــوار المتمدن*، العدد: 1766 (2006\12\16)، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=83543

محفوض، عقيل. "سوريا وتركيا: تحوّل وغموض العلاقات،"دراسة *للمركز العربيّ للأبحـــاث ودراسة السّياسات* (2012\1\2)،

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/A29A1919-AF10-437B-BEF0-7D65AFCC5563.htm?GoogleStatID=9

محلي، حسني. "الجيش التركي .. انحياز مطلق للعلمانية،" *الجزيرة نت* (2007\8\29)، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/62F2B784-341B-4EC9-A70F-80C7BF26FA65.htm

---. "الموقف التركي من الحرب على غزة،" *الجزيرة نت* (2009\1\15)، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/C8820C97-B26B-4B64-B960-1630E101E5EF.htm

نور الدين، محمد. "نحو علاقات لبنانية تركية أفضل،" *صحيفة الغد*(2010\3\3)، http://www.alghad.com/index.php/article/362949.html

د.م. "تركيا والشرق الأوسط: طموحات ومعوقات،"*مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية* (2010\10\7)، http://www.asharqalarabi.org.uk/mu-sa/sahafa-1626.htm

د.م. "الربيع العربي يُجبر تركيا على التراجع عن عضوية الإتحاد الأوروبي،" *موقع أخبار العالم* (2011\12\7)، http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=49008

مواقع إخبارية

أبوعريش. (موقع) "تحفظات تعلق المساعي القطرية– التركية." استرجعت بتاريخ 2011\11\22. http://www.abuarish.co/news/international/900-news.html

أخبار العالم. (موقع) "ترحيب بهنية في البرلمان التركي." استرجعت بتاريخ 2012\1\5. http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=49461

أخبار العالم. (موقع). "مباحثات أردنية تركية لتنويع التبادل التجاري." استرجعت بتاريخ 2011\12\13. http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=49108

أخبار العالم.(موقع). "تركيا الأكثر نموًا في العالم بعـد الصـين." اسـترجعت بتـاريخ 2011\12\12. http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=49104

أخبار العالم. (موقع). "تركيـا تطـرح نفسـها مصـدر إلهـام للعـرب." اسـترجعت بتاريخ2011\9\11.
http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=46085

أخبار العالم. (موقع). "أوغلو: نحن العثمانيون الجدد." استرجعت بتاريخ 12/5/2011.
http://www.akhbaralaalam.net/news_detail.php?id=31833

أنباء البحرين. (وكالة). "وصول القوات التركية المشاركة في اليونيفيـل الـى لبنـان." استرجعت بتاريخ 2011\10\22. http://www.bna.bh/portal/news/86730

الأنباء الكويتية. (وكالة). "أردوغـان فـي لبنـان بعـد نجـاد." اسـترجعت بتـاريخ 2010\11\20.
http://www.alanba.com.kw/AbsoluteNMNEW/templates/international2010.aspx?articleid=150839&zoneid=214&m=0

التركية. (موقع). "جول يدعو رجال الأعمال في دبـي إلـى الإسـتثمار فـي تركيـا." استرجعت بتاريخ 2012\1\1.
http://www.trtarabic.com/trtworld/ar/newsDetail.aspx?HaberKodu=4f824be5-d377-472c-987f-09a76475e45a

جريدة الشرق الأوسط. (موقع). "أردوغان يهاجم إسرائيل بشـدة." اسـترجعت بتـاريخ 2011\11\26.
http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=596875&issueno=11686

الجزيرة نت. (موقع). "تركيا تحذر والعـرب يبحثـون شـروط دمشـق." اسـترجعت بتـاريخ2011\12\11. http://www.aljazeera.net/NR/EXERES/E0369067-67BE-4C8E-BFF3-794E1273C70F.htm

الجزيرة نت.(موقع). "تركيا تتوعد دمشق وأوروبا تعاقبها." استرجعت بتاريخ 2011\11\14.
http://www.aljazeera.net/NR/EXERES/87E51C5A-B3F9-45F4-8641-41F973AF4932.htm

الجزيرة نت.(موقع). أردوغان: سيطاح بالأسد عاجلا أم آجلا. بتاريخ 25\9 \2011.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/149D6C7A-B64A-4B68-BC33-49FD9DF3448E.htm

الجزيرة نت، (موقع). "هل ليبيا وسوريا صداع لتركيا." استرجعت بتاريخ1\5\2011.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/BBCBC5C7-1764-43A4-BB1F-E7E44C4277AE.htm

الجزيرة نت. (موقع). "قمة سورية قطرية تركية بشأن لبنان." استرجعت بتاريخ 2011\1\22.
http://aljazeera.net/news/pages/00da492d-94f7-4cfd-b537-bf9094b3d12b

الجزيرة نت. (موقع). "أردوغان: إسرائيل هزمت وستهزم بلبنان." استرجعت بتاريخ 2011\1\24.
http://aljazeera.net/news/pages/3dfc105b-8663-42c1-8fbe-3ea2efe4e839

الجزيرة نت. (موقع). "مصر ترفض تدخلا تركيا بالمصالحة." استرجعت بتاريخ 2011\6\2.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/23EEC181-0733-4BA4-99F6-F8BA99AEE67C.htm

الجزيرة نت. (موقع). "أردوغان ينتقد إسرائيل وضرب إيران." استرجعت بتاريخ 2011\5\11.
http://aljazeera.net/news/pages/a6f9e6f0-f84d-446e-a01c-541252ab89d7

الجزيرة نت. (موقع). "سوريا وتركيا تعززان التعاون الاقتصادي." استرجعت بتاريخ 2009\12\24.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/A8407092-7A99-4FA9-9860-E7CF014DAC80.htm

الجزيرة نت. (موقع). "منـــاورات عســـكرية ســـورية تركيـــة." اســـترجعت بتـــاريخ 2009\10\14.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/1BD01A01-9D97-47DF-8B98-176F2D29C8E5.htm

الجزيرة نت. (موقع)." مجلس إستراتيجي سوري تركي بحلـــب." اســـترجعت بتـــاريخ 2009\10\13.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/5B368B50-F53F-4748-BC82-0D4585620AB7.htm

الجزيرة نت. (موقع). "سوريا وتركيا تحتفلان بإلغاء التأشيرات." اســـترجعت بتـــاريخ 2009\10\13.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/60E31C96-4AC5-4D8B-8E6B-E80380959FFE.htm

الجزيرة نت. (موقع). "الأسد في تركيا لبحث قضـــايا المنطقـــة." اســـترجعت بتـــاريخ 2009\9\16.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/D4A6EBC0-B5FE-4B1E-A8A6-E1751442D2A0.htm

الجزيرة نت. (موقع). "تعهد تركي بشأن مياه الفرات."اســـترجعت بتـــاريخ 2009\9\4.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/5A27EF18-B2F4-4007-BBCB-374A69E8734F.htm

الجزيرة نت. (موقع). "تركيا تتوســـط بـــين ســـوريا والعـــراق."اســـترجعت بتـــاريخ 2009\8\29.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/78D68A52-5894-4CB1-BCA7-683196D9F7DD.htm

الجزيرة نت. (موقع). "غل بدمشق: سوريا بوابة تركيا للشرق الأوسط".استرجعت بتاريخ 2009\5\15.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/0E0BC2DD-B006-48CC-980A-ACDDD7820EC0.htm

الجزيرة نت. (موقع). "أردوغان يتوجه لسوريا والجولان تتصدر أجندة مباحثاته." استرجعت بتاريخ 26\4\2008،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/57C8B696-B187-4E41-8B73-099BBF0F1720.htm

الجزيرة نت. (موقع). "الحرب الإسرائيلية على لبنان."استرجعت بتاريخ 19\4\2007.
http://www.aljazeera.net/books/pages/d2335b66-3021-416d-b5d9-b27a0b0862c8

الجزيرة نت. (موقع). أنقرة ودمشق توقعان اتفاقية منطقة تجارة حرة. استرجعت بتاريخ 26\12\2004،
http://www.aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=11403

الحياة اللندنية. (صحيفة). "داود أوغلو وحمد بن جاسم في لبنان." 19\1\2011،
http://ksa.daralhayat.com/ksaarticle/225065

الحياة اللندنية. (صحيفة). أنقرة: اعتقال رئيس الأركان السابق بتهمة التخطيط لإطاحة الحكومة." 7\1\2012،
http://www.daralhayat.com/internationalarticle/347867

سما الاخبارية، (وكالة). "غول : على الرئيس الاسد ان يكون اكثر وضوحا."استرجعت بتاريخ 20/6/ 2011، http://samanews.com/index.php?act=Show&id=98487

الشرق الأوسط، (موقع). "أردوغان: الأسد يستخف بالموقف ويصر على استخدام الوحشية ضد شعبه."استرجعت بتاريخ 11\6\2011،
http://aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=11883&article=626027

العربية نت. (موقع). "أردوغان يتهم فرنسا بارتكاب "إبادة" في الجزائر.. ويستدعي سفيره من باريس." استرجعت بتاريخ 23\12\2011.
http://www.alarabiya.net/articles/2011/12/23/184129.html

القدس العربي. (صحيفة). "أردوغان يؤكد لهنية أن إنهاء حصار غـزة أحـد شـروطه لتسوية العلاقة مع إسرائيل." 2\1\2012،
http://www.alquds.co.uk/index.asp?fname=data\2012\01\01-02\02qpt954.htm

القدس العربي. (صحيفة). أوغلو غادر بيروت بعـد محادثـات شـاملة." اسـترجعت بتاريخ16\1\2012،
http://alquds.co.uk/index.asp?fname=today%5C16qpt963.htm&arc=data%5C2012%5C01%5C01-16%5C16qpt963.htm

القدس. (صحيفة). أردوغان من طرابلس: زمن الطغاة ولى وإرادة الشـعوب لا يقـف دونهـا القمـع. نسـخة الكترونيـة. اسـترجعت بتـاريخ: 20\9\2011،
http://www.alquds.com/news/article/view/id/294986

المركز الفلسطيني للإعلام.(موقع). مشعل يبحث مع أردوغان ملفي المصالحة والعدوان على غزة." استرجعت بتاريخ 16\2\2012.
http://www.palinfo.com/site/pic/newsdetails.aspx?itemid=111394

معا الإخبارية. (وكالة). "العثمانيون" يعودون... بنـوك تركيـة فـي رام الله قريبـا." استرجعت بتاريخ 21\3\2012.
http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=470036

معا الإخبارية. (وكالة). "وصول الأسرى المحررين إلى الأردن وسوريا وتركيا وقطر." استرجعت بتاريخ 19\10\2011.
http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=430553&MARK=

معا الإخبارية. (وكالة). "هاتفه هنية مهنئا بالفوز : أردوغان يعرض وسـاطته لـرأب الصدع بين فتح وحماس." استرجعت بتاريخ 24\7\2007.
http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=71517&MARK=

ميلاد الإخبارية، (وكالة). خبر بعنوان: أردوغان: سنفرض عقوبـات علـى سـوريا." استرجعت بتاريخ 2011/10/4،
http://www.milad.ps/arb/news.php?maa=View&id=40683

BBC. (موقع). "تركيا تستعد لطرح حصار غزة أمام محكمة العدل الدولية." استرجعت بتاريخ 3\9\2011.
http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/09/110903_turkey_israel_court.shtml

BBC. (موقع). "تركيا تطرد سفير إسرائيل وتجمد الاتفاقيات العسكرية معها." استرجعت بتاريخ 2\9\2011.
http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/09/110901_flotilla_israel.shtml

BBC. (موقع). "أردوغان يصف الهجوم الإسرائيلي على "أسطول الحرية" بأنه "إرهاب دولة." استرجعت بتاريخ 31\5\2011.
http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2010/05/100531_gaza_flotilla_obama_netanyahu_new.shtml

BBC.(موقع)."العلاقات الاقتصادية التركية العربية وانعكاسها سياسيا." استرجعت بتاريخ 12\9\2009،
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7451000/7451049.stm

BBC. (موقع). "أردوجان يؤكد الوساطة التركية بين سورية واسرائيل." استرجعت بتاريخ 27\4\2008.
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7369000/7369044.stm

BBC. (موقع). "اتفاق امني بين العراق وتركيا." استرجعت بتاريخ 26\9\2007.
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7014000/7014695.stm

مقابلات تلفزيونية

أردوغان، رجب طيب. قناة الجزيرة (برنامج بلا حدود). 12\1\2011.

أوزجان، مصطفى . قناة القدس الفضائية (برنامج اتجاهات). 5\1\2011.

أوغلو، أحمد داوود. قناة الجزيرة. (برنامج: لقاء اليوم).14\2\2011.

بكري، مصطفى. قناة القدس الفضائية. (برنامج اتجاهات). 5\1\2011.

تكروري، عصام. قناة BBC. (مقابلة تلفزيونية).13/5/2011.

حاكورة، فادي. قناة BBC (مقابلة تلفزيونية). 13\5\2011.

خوري، آرنست. قناة الجزيرة (برنامج ما وراء الخبر). 25\11\2010.

دوغة، سليمان.قناة الجزيرة. (مقابلة تلفزيونية). 7\4\2011

الديباني، عبد الرحمن. قناة الجزيرة. (مقابلة تلفزيونية). 3\5\2011.

العادل، محمد. قناة الجزيرة (برنامج ما وراء الخبر). 25\11\2010.

كاميرون، ديفيد. قناة BBC. (مقابلة تلفزيونية). 1\3\2011.

المشنوق، نهاد. قناة العربية. (برنامج ستوديو بيروت) 25\11\2010.

المصادر باللغة الانجليزية

Armstrong, William "'Neo-Ottomanism', pluralism, and economic development in Turkey."*Open Democracy*. (10 March 2012). http://www.opendemocracy.net/william-armstrong/neo-ottomanism-pluralism-and-economic-development-in-turkey

Rubin, Michael. "Shifting Sides? The problems of neo-Ottomanism." (10\8\2004). http://www.meforum.org/628/shifting-sides

Taspinar, Omer. 22\9\2008. Neo-Ottomanism and Kemalist foreign policy. accessed in 15\6\2011. look at: http://www.todayszaman.com/columnists-153882-neo-ottomanism-and-kemalist-foreign-policy.html

Taspinar, Omer. 15\9\2008. **Turkey's Middle East Policies: Between Neo-Ottomanism and Kemalism**. recalled in 15\6\2011. look at: http://carnegieendowment.org/2008/10/07/turkey-s-middle-east-policies-between-neo-ottomanism-and-kemalism/39k

Trifkovic, Srdja. "Neo-Ottomanism in Action: Turkey as a Regional Power," *Balkan Studies*. (7 Feb 2012). http://www.balkanstudies.org/articles/neo-ottomanism-action-turkey-regional-power

walt, Stephen. 1998. One World, Many Theories: http://faculty.maxwell.syr.edu/hpschmitz/PSC124/PSC124Readings/WaltOneWorldManyTheories.pdf/

27\4\2009. Neo-Ottomanism Is All We Don't Need. recalled in 22\6\2011. look at: http://myrightword.blogspot.com/2009/04/neo-ottomanism-is-all-we-dont-need.html

حجم التجارة مع الشرق الأوسط (2002 – 2010\ الأرقام بآلاف الدولارات)

الصادرات	2010	2009	2007	2005	2003	2002
الإمارات العربية المتحدة	3 332 885	2 896 572	3 240 940	1 675 187	702 908	457 328
البحرين	172 024	113 628	76 651	41 915	28 856	16 936
الأراضي الفلسطينية	40 305	29 523	21 247	9 401	6 489	4 729
العراق	6 036 362	5 123 406	2 844 767	2 750 080	829 058	
إسرائيل	2 080 148	1 522 436	1 658 195	1 466 913	1 082 998	861 434
قطر	162 549	289 361	449 963	82 045	15 688	15 572
الكويت	395 051	211 242	221 292	210 349	165 941	139 037
لبنان	618 318	688 681	393 217	195 910	148 126	187 339
مصر	2 250 577	2 599 030	902 703	687 299	345 779	326 389
عُمان	129 311	105 518	91 831	39 959	22 484	31 373
سوريا	1 844 605	1 421 637	797 766	551 627	410 755	266 772
السعودية	2 217 646	1 768 216	1 486 918	962 156	741 475	554 643
الأردن	571 334	455 352	389 305	288 648	149 618	116 650
اليمن	330 392	379 263	274 289	197 193	156 069	119 362
مجموع ما يصدر للشرق الأوسط	***20 181 507***	***17 603 866***	***12 849 084***	***9 158 685***	***4 806 244***	***3 097 563***
مجموع الصادرات التركية للخارج	**113 883 219**	**102 142 613**	**107 271 750**	**73 476 408**	**47 252 836**	**36 059 089**

2002	2003	2005	2007	2009	2010	الواردات
100 805	113 597	205 442	470 092	667 857	698 421	الإمارات العربية المتحدة
18 987	15 173	18 929	119 423	24 289	71 682	البحرين
13	454	304	762	274	576	الأراضي الفلسطينية
	41 656	66 434	118 702	120 558	153 476	العراق
544 467	459 488	804 691	1 081 743	1 074 727	1 359 639	إسرائيل
10 659	8 310	50 725	29 643	85 652	177 046	قطر
26 521	15 909	41 604	90 488	184 219	214 515	الكويت
41 922	71 710	144 973	116 014	108 800	228 536	لبنان
118 173	189 397	267 246	652 988	641 552	926 476	مصر
72	1 293	3 871	24 334	16 584	39 464	عُمان
314 770	261 193	142 585	259 282	221 454	452 493	سوريا
120 828	208 521	587 196	735 702	775 784	1 380 601	السعودية
18 382	16 851	28 321	11 597	20 354	42 450	الأردن
341	130	3 085	458	310	1 044	اليمن
1 315 940	***1 403 682***	***2 365 406***	***3 711 229***	***3 942 415***	***5 746 420***	***مجموع الواردات من الشرق الأوسط***
51 553 797	**69 339 692**	**116 774 151**	**170 062 715**	**140 928 421**	**185 544 332**	**مجموع الواردات من الخارج**

2002	2003	2005	2007	2009	2010	
4 413 503	***6 209 926***	***11 524 091***	***16 560 313***	***21 546 281***	***25 927 927***	***حجم التجارة مع الشرق الأوسط***
87 612 886	**116 592 528**	**190 250 559**	**277 334 464**	**243 071 034**	**299 427 551**	**حجم التجارة مع الخارج**

المصدر: معهد المعطيات التركية TÜİK